

بِقَوْلِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ
عُقَّةٌ أَمْ عَقِيْدَةٌ؟

تَأَلِيفُ
فَضِيْلَةَ الشَّيْخِ الدُّكُوْرِ الْمُحَدَّثِ
أَبِي أَسَامَةَ

سَيِّدِ بْنِ عَبْدِ الْهَالِكِ
كَانَ اللهُ لَهُ، وَعَقَاعَتُهُ بِعَمِّهِ وَكَرْمِهِ

النَّاشِرُ

مَرْكَزُ السَّلْفِ الْقَارِئِ لِلذِّكْرِ السَّانِعِ لِهَدْيِ رَبِّهِ تَبِيَّةً

بِقَرَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عُقَاةٌ أَمْ عَقِيْدَةٌ؟

تَأَلَّفُ

فَضِيْلَةَ الشَّيْخِ الذُّكُوْرِ الْمُحَدِّثِ

أَبِي أَسَامَةَ

سَيِّدِ بْنِ عَمِيْدٍ الْهَلَالِيِّ

كَانَ اللهُ لَهُ، وَعَقَاةُهُ بِعَمَلِهِ وَكَرَمِهِ

الناشر

مركز السلف الصالح

للدراسات الإستراتيجية

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

مركز السلف الصالح
للدراسات الاستراتيجية
عمان - الأردن

Email: SASASA1957@hotmail.com

هاتف: (٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٥١٥٨٠٦)

ص . ب : (٩٨) رمز بريدي: (١٣٧٨١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة القول

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له؛ ومن يضللَّ؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن سورة البقرة أطول سورة في القرآن، وهي سورة نقضت عقيدة اليهود التي صاغت شخصيتهم التاريخية التي مارست الظلم والعدوان أينما حلوا، وحلَّت عَقْدَهُم النفسية التي شكلت عقيدتهم التي عاثت في الأرض فسادًا وإفسادًا.

لقد احتوت هذه السورة الكريمة أحوال بني إسرائيل مع الله جَلَّ جَلَالُهُ، وتضمنت مواقفهم مع رسل الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي جاءت خلاصتها المركزة في قصة البقرة التي سميت هذه السورة العظيمة باسمها: تنبيهاً على أهمِّ مقاصدها.

لقد ساق القرآن الكريم هذه القصة بأسلوب معجز حكيم بديع؛ يأخذ بمجامع القلوب المؤمنة والنفوس المطمئنة؛ ليقودها إلى مواطن الاعتبار بسنن الله الجارية في الذين خلوا من قبلنا.

فهذه القصة عصاراة مسيرة أمة انحرفت عن منهج الله حتى بلغ بها الانحراف إلى الاستخفاف بمقام الربوبية، والتواطؤ على قتل الأنبياء والمرسلين؛ لكن ربك بالمرصاد حيث أجرى فيهم سنن الجارية التي لا تحابي أحدًا، ولا تظلم فردًا.

وأمر القرآن في بيان هذه القصة عجيب؛ فقد فصل بعضها عن بعض حيث قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: ٥٤] الآيات، ثم قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا نَسُوا فَاذَرْنَاهُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]: فوضع نهاية القصة أولاً، وصدرها أخيراً، وذلك الفصل للدلالة على أن المراد تسجيل سنن بني إسرائيل في حركتهم عبر التاريخ؛ لكي يتفطن المسلم المستخلف في الأرض؛ فيفر منها فراره من الأسد؛ لتستقيم حركته في الاتجاه المستقيم الذي يحقق المقصد القويم من خلقه، والغاية المثلى من وجوده على هذه الأرض.

وبذلك يستطيع المسلم في كل زمان ومكان: أن يتعامل مع هذا العدو التاريخي للأمة الإسلامية؛ فهو يستطيع أن يتوقع تصرفاته من خلال هذه الخبرة الطويلة، التي جعلت لديه القدرة على استشراق المستقبل معهم، دون أدنى شك أو أقل تردُّد.

وفي هذا الكتاب رصدنا الخطوط العريضة لسنن بني إسرائيل عبر التاريخ، وأكدناها بصريح القرآن، وصحيح السنة المطهرة؛ وأحداث التاريخ الموثقة من مصادرهم، والمحكمة بأقوالهم الصريحة التي لا ينكرونها ولا يؤولونها.

فجاء -بحمد الله وعونه وتوفيقه- صورة جلية لمن أراد أن يقف على حقيقة يهود؛ ليتخذ منهم موقفاً يرضي الله ورسوله ﷺ، وينقذ أمة الإسلام من شباكٍ وضعت في طريقها؛ لتصدّها عن دينها، وتقطع صلتها بتاريخها؛ لتصير كالريشة في مهب الريح، أو كالأيتام على مآدب اللثام؛ أمة مريضة: لا وزن لها بين الأمم، ولا منبر لها من سيف أو قلم... وعندئذٍ تتداعى عليها الأمم؛ كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

وما أردت إلا النصح لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ فإن أصبت ووفقت؛ فمن الله وحده، وإن أخطأت وجمحت؛ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى: أَنْ يَحَقِّقَ هَذَا الْكِتَابَ غَايَتَهُ الَّتِي صُنِّفَ مِنْ أَجْلِهَا، وَوُضِعَ لِبَيَانِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ لَوَجْهِهِ خَالِصًا، وَلِدِينِهِ نَاصِرًا، وَأَنْ يَدْخِرَ لِي ثَوَابَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿الشعراء: ٨٨ و٨٩﴾.

وعلى الله قصد السبيل

وكتبه

حامدًا ومصليًا ومسلمًا

سليم بن عيد الهلالي

أبو أسامة

يوم الأربعاء - عصرًا - (٢٤ / ١١ / ١٤٣٣ هـ)

الموافق (١٠ / ١٠ / ٢٠١٢ م)

في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام

-المحمية بإذن رب البرية من كل شر وأذية-

قصة البقرة في القرآن الكريم

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدَاهُزُوا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ بَيِّنًا لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا
 يَكْرُ عَوَائِدُ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ بَيِّنًا لَنَا مَا لَوْنُهَا
 قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ بَيِّنًا
 لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ
 تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا لَئِن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَجَبُوا بِهَا وَمَا كَادُوا
 يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧٣].

التفسير المأثور

١- عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: «كانت مدينتان في بني إسرائيل: إحداهما: حصينة، ولها أبواب، والأخرى: خربة»^(١).

فكان أهل المدينة الحصينة إذا أمسوا؛ أغلقوا أبوابها، وإذا أصبحوا؛ قاموا على سور المدينة ينظرون: هل حدث فيها حولها حدث؟ فأصبحوا يوماً؛ فإذا شيخ قتيل، مطروح بأصل مدينتهم، فأقبل أهل المدينة الخربة، فقالوا: أقتلتم صاحبنا؟

وابن أخ له شاب يبكي عنده، ويقول: قتلتم عمي! قالوا: والله؛ ما فتحنا مدينتنا منذ أغلقناها، وما تندبنا^(٢) من دم صاحبكم هذا بشيء، فأتوا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأوحى الله جلَّ جلاله إلى موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً^(٣) قَالُوا أَنْتَذَبُهَا هُنَّ وَأَنْتَ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ^(٤)﴾^(٥) قَالُوا أَوْعَ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ

(١) ادعى القاصص المصري عمرو خالد في الحلقة التي بثت - فضائياً - في (٢٥ / رمضان / ١٤٣٠ هـ) - حيث تناول قصة بقرة بني إسرائيل - أن قرى بني إسرائيل كانت في منطقة البتراء الأردنية، وعند كل قرية نبع ماء، ولذلك قام بتصوير هذه الحلقة في منطقة البتراء، وهناك أخذ يرفع عقيرته بتزييف التاريخ، وتحريف الدين؛ ليقدم المشروع اليهودي الذي لا يخفى أطماعه في الأراضي الأردنية شرقي النهر.

وقد فصلت هذه الأطلاع بالوثائق وشرحتها بالحقائق في كتابي: «أفيقوا يا أهل الأردن.. بلادكم أرض الحشد والرباط».

(٢) أي: لم نصب منه شيئاً، ولم ينله منا شيء؛ كأنهم نالتهم نداوة الدم وبلله.

(٣) مشتق من (البقرة)؛ وهو: الشق، سميت به؛ لأنها تشق الأرض شقاً للحرائث، والبقرة اسم جنس، والبقرة تقع على الذكر والأنثى والهاء للإفراد؛ انظر «المعجم الوسيط» (١ / ٦٥)

(٤) أي: أنتهزى بنا؟ نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرونا بذبح البقرة! إنما قالوا ذلك؛ لبعدهما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا الحكمة فيه.

(٥) قال البغوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «معالم التنزيل» (١ / ١٠٦): «أي: من المستهزئين بالمؤمنين. وقيل:

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ^(١) بَيِّنٌ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَوَمَّرُونَ ﴿٦٨﴾
 قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تَسْرُ
 النَّظِيرِينَ^(٢) ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ
 لَمُهْتَدُونَ^(٣) ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْمَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ^(٤)
 فِيهَا قَالُوا لَكِنَّ جِنَّتٍ بِالْحَقِّ فَدَّبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ^(٥) ﴿٧١﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧١].

= من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال؛ لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل. فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله جلَّ جلاله استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها؛ لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم، وكانت تحته حكمة.

(١) الفارص: الهرمة التي لا تلد.

البكر: التي لم تلد إلا ولداً واحداً.

العوان: النصف التي بين ذلك، التي قد ولدت، وولدت ولدها.

انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/٤٩٩).

(٢) فاقع لونها: نقي لونها؛ وتسر: تُعجب.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/٥١٠): «وقوله جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ

تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾؛ أي: لكثرتها، فَمَيَّرَ لَنَا هَذِهِ الْبَقْرَةَ وَصَفَهَا وَجَلَّهَا لَنَا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ إذا بيتها لنا ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها».

(٤) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسير القرآن العظيم» (٢/٥١١-٥١٢): «أي: إنها ليست

مذللة بالخرائة، ولا معدة للسقي في السانية؛ بل هي مكرمة حسناء، صحيحة مُسَلِّمَةٌ، صحيحة لا عيب فيها.

﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾: أي: ليس فيها لون غير لونها».

وقال في «البداية والنهاية» (٢/١٦٧): «هذه الصفات أضيقت مما تقدم؛ حيث أمروا بذبح بقرة

ليست بالذللول؛ وهي: المذللة بالخرائة وسقي الأرض بالسانية. مسلِّمة؛ وهي: الصحيحة التي لا عيب فيها. وقوله: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾؛ أي: ليس فيها لون يخالف لونها، بل هي مسلِّمة من العيوب، ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها».

(٥) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/٥١٣-٥١٤): «يعني: أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة

والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد.

وفي هذا دُءٌ لهم؛ وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت؛ فلهذا ما كادوا يذبحونها».

قال: وكان في بني إسرائيل غلام شاب يبيع في حانوت له، وكان له أب شيخ كبير، فأقبل رجل من بلد آخر وطلب سلعة له عنده، فأعطاه فيها ثمنًا، فانطلق معه ليفتح حانوته، فيعطيه الذي طلب، والمفتاح مع أبيه، فإذا أبوه نائم في ظل الحانوت، فقال: أيقظه، فقال: والله؛ إن أبي لنائم كما ترى، وإني أكره أن أرؤعه من نومه، فانصرف إلى الشيخ وهو يغط نومًا، قال: أيقظه، قال: والله؛ إني لأكره أن أرؤعه من نومه، فانصرفا، فأعطاه ضعف ما أعطاه، فعطف على أبيه، فإذا هو أشد ما كان نومًا، فقال: أيقظه، قال: لا، والله؛ لا أوقظه أبدًا، ولا أرؤعه من نومه، قال: فلما انصرفا، وذهب طالب السلعة؛ استيقظ الشيخ، فقال له ابنه: يا أبته! والله؛ لقد جاء ههنا رجل يطلب سلعة كذا وكذا، فكرهت أن أرؤعك من نومك؛ فلما له الشيخ، فعوضه الله من بره لوالده: أن نتجت^(١) بقرة من بقره تلك البقرة التي يطلبها بنو إسرائيل، فأتوه، فقالوا: بعناها؟ فقال: لا أبيعكموها، قالوا: إذا نأخذها منك؟ قال: إن غضبتموني سلعتي؛ فأنتم أعلم. فأتوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: اذهبوا، فأرضوه من سلعته، فقالوا: حكمك؟ قال: حكمي أن تضعوا البقرة في كفة الميزان، وتضعوا ذهبًا صامتًا في الكفة الأخرى، فإذا مال الذهب أخذته. قال: ففعلوا، وأقبلوا بالبقرة، حتى أتوا بها إلى قبر الشيخ، وهو بين المدينتين، واجتمع أهل المدينتين، وابن أخيه عند قبره يبكي، فذبحوها، فضرب بيضعة من لحمها القبر؛ فقام الشيخ ينفذ رأسه يقول: قتلني ابن أخي! طال عليه عمري، وأراد أخذ مالي، ومات».

حسن، وهو مرفوع حكمًا: أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٧٩-٨١/٥٤) - ومن طريقه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (١٢٣/٦٤) - بإسناد حسن على شرط مسلم، وله حكم الرفع كما هو ظاهر.

٢- عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

«إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة، حتى وجدوها عند رجل في بقر له، وكانت بقرة تعجبه؛ قال: فجعلوا يعطونه بها ويأبى، حتى أعطوه ملء مسكها^(١) دنانير، فضربوه بعضوٍ منها^(٢)؛ فقام تشخب^(٣) أوداجه دمًا، فقالوا له: من قتلك؟ قال: قتلتني فلان».

حسن، مرفوع حكيمًا: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٩-٢٣٠/٧٥٥ - البقرة) بإسناد حسن على شرط البخاري، وله حكم الرفع كما لا يخفى.

٣- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

«لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها؛ لكنهم شددوا؛ فشدَّ الله عليهم^(٤)».

حسن - أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩٨/٢) - ومن طريقه الحافظ ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١٦٨/٢) - بإسناد حسن على شرط البخاري.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٥٠٤/٢): «إسناده صحيح».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا موقوف صحيح».

(١) يفتح الميم وسكون المهملة: الجلد.

(٢) كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٥٢٠/٢): «هذا البعض؛ أي: شيء كان من أعضاء هذه البقرة؛ فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معينًا في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود لنا في أمر الدين أو الدنيا؛ لَبَيَّنَهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَنَا، ولكنه أبهمه، ولم يجيء من طريق صحيح عن معصوم بيانه؛ فنحن نبهمه كما أبهمه الله».

(٣) الشَّخْبُ: السيلان، وأصل الشَّخْبُ: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كلِّ غمزة وعصرة

لضرع الشاة.

«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤٥٠/٢).

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٥٠٣/٢): «أخبر جَلَّ جَلَالُهُ عن تعنت بني

إسرائيل، وكثرة سؤالهم لرسولهم؛ ولهذا لما ضَيَّقُوا على أنفسهم ضَيَّقَ اللهُ عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت؛ لوقعت الموقع عنهم - كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد -؛ ولكنهم شددوا؛ فشدَّ عليهم، فقالوا: ﴿قَالُوا أَدْعُكَ لَكَ رَبِّكَ بَيِّنًا لَنَا مَا هِيَ؟﴾؛ أي: ما هذه البقرة؟ وأي شيء صفتها؟».

إبراز الإعجاز وإنجاز الإيجاز في قصة بقرة بني إسرائيل

جاءت قصة بقرة بني إسرائيل بأسلوب قرآني موجز معجز على غير نمط أصحاب القصص، وعلى غير نسق ترتيب أهل البلاغة والفصاحة:

فسبها جاء في آخرها: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ فَعَلْنَا أضرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ٧٢ و ٧٣﴾.

وآخرها في أولها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴿البقرة: ٦٧﴾.

وحل العقدة في وسطها: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَدَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَنْ نَجِدَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿البقرة: ٧١﴾.

قال القرطبي رحمه الله: «قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ مقدم في التلاوة، وقوله: ﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ مقدم في المعنى على جميع ما ابتداء به من شأن البقرة.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿قَتَلْتُمْ﴾ في النزول مقدما، والأمر بالذبح مؤخرا.

ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها؛ فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها، ثم وقع ما وقع من أمر القتل، فأمروا أن يضربوه ببعضها؛ ويكون ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ مقدما في المعنى على القول الأول حسب ما ذكرنا؛ لأن الواو لا توجب الترتيب.

ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد ذكر الطوفان وانقضائه في قوله: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَئَلَّا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَنْ ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿هود: ٤٠﴾. فذكر إهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه

بقوله: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُرْسِنَهَا﴾ [هود: ٤١]؛ فذكر الركوب متأخراً في الخطاب؛ ومعلوم أن ركوبهم كان قبل الهلاك.

وكذلك قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١ و ٢]، وتقديره: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً.

ومثله في القرآن كثير^(١).

قال الألوسي رَحِمَهُ اللهُ: «ولو جرى على النظم؛ لكانت قصة واحدة، ولذهبت تثنية التفریع، وقد وقع في النظم من فك التركيب والترتيب ما يضاويه في بعض القصص، وهو من المقلوب المقبول؛ لِتَضَمُّنِهِ نَكْتًا وَفَوَائِدًا»^(٢).

وهذا الأسلوب يتسق مع الغايات المنهجية لهذه القصة حيث يتضح بجلاء خطط المكر، وبروتوكولات التحايل التي وضعها بنو إسرائيل في التعامل مع الله ورسله وخلقهم على طريقتهم الملتوية وتمحُّل المعاذير، التي تدل على طبيعة بني إسرائيل وجبلتهم الموروثية، ولذلك جاءت قصة البقرة في إثر تذكيرهم بقصة أصحاب السبت التي تدور أحداثها على صناعة الحيل عند بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعَدَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۗ﴾ [٦٥] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٥ و ٦٦].

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن صناعة الحيل المحرمة منهج لبني إسرائيل^(٣):

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول - وهو بمكة عام الفتح-: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل: يا رسول الله!

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٤٤٥).

(٢) «روح المعاني» (١/ ٣٨٧).

(٣) وانظر تفضلاً (ص ١١٤).

أرأيت شحوم الميتة؛ فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا، هو حرام» ثم قال رسول الله ﷺ - عند ذلك -: «قاتل الله اليهود؛ إن الله لما حرم شحومها؛ جملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه»^(١).

وقد فهم أصحابه ﷺ من ذلك أن رسول الله ﷺ يحذر أمته مما صنعوا.

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: بلغ عمر أن سمرة باع خمراً^(٢)، فقال: قاتل الله سمرة؛ ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم؛ فجملوهما، فباعوها»^(٣).

ولذلك؛ كان أسلوب القرآن في عرض هذه القصة يأخذ بمجامع القلوب، ويهز النفوس، ويحرك الفكر للنظر والاعتبار: أن تقديم وسيلة الخلاص على ذكر السبب الذي من أجله أمروا بذبح البقرة؛ هو: الاستجابة لله، والتسليم لأمر رسوله، وعدم التلكؤ في تطبيق شرعه، والتلوُّن في دينه، والانتقاء في أحكامه.

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].
وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ونكتة ذلك: أن الاستجابة لله وللرسول تحيي القلوب الميتة، وتجعلها تخشع بعد قساوتها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

(٢) ذكر أهل العلم جملة تأويلات في كيفية بيع سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخمر؛ انظر: «فتح الباري» (٤/ ٤١٤)، و«جامع المسائل» لابن تيمية (١/ ٢٧٥ - المجموعة الثامنة)، و«إعلام الموقعين» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٠٩).

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يرد الدعاء على سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل هي كلمة تقولها العرب للزجر على طريق التبسط في الكلام.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٠)، ومسلم (١٥٨٢).

أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ كما أحيا الله قتيل بني إسرائيل ببقرتهم: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وهذا أمر ينسجم ومقاصد سورة البقرة التي وردت القصة فيها، ويدل على ذلك

أمور؛ منها:

١- أن السورة سميت بهذا الاسم؛ لورود قصة بني إسرائيل فيها؛ وفي ذلك جملة

أحاديث؛ منها:

عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صوافٍ تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».

قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة^(١).

عن النواس بن سمعان الكلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران».

ضرب لها رسول الله ﷺ ثلاثة أمثالٍ ما نسيتهنَّ بعد؛ قال: «كأنها غمامتان أو ظلتان سوداوان، بينهما شرق^(٢) أو كأنها حِزْقان^(٣) من طير صوافٍ تحاجان عن صاحبهما»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أي: ضوء وانفراج؛ لتمييز إحدى السورتين عن الأخرى؛ كما فصل بينها في المصحف

بالتسمية.

انظر: «شرح مصابيح السنة» لابن ملك (٣/ ١٩).

(٣) مثنى خرق، والمراد: جماعة وقطيع.

انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/ ٩٠-٩١).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٥).

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه؛ فرفع رأسه؛ فقال: «هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم فسَلِّم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة؛ لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أعطيته»^(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إنَّ الشيطان يقرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»^(٢).

عن عبد الرحمن بن يزيد؛ قال: لقيت أبا مسعودٍ عند البيت؛ فقلت: حديث بلغني عنك في الآيتين في سورة البقرة؛ فقال: نعم؛ قال رسول ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»^(٣).

٢- التناسب بين اسم السورة ومضمونها مع قصة البقرة:

لما كان الاسم كالرمز يدل على معناه ومقصده؛ فإن سورة البقرة هي سورة توضيح منهج الالتزام بأمر الله وشرعه، ومخالفات بني إسرائيل من أشد المخالفة لأمر الله جَلَّ جَلَالُهُ، والمناكفة لرسوله عليهم الصلاة والسلام.

ومن أوضح مخالفاتهم: قصة البقرة؛ ولذلك سميت السورة باسمها؛ لتحذير الأمة المسلمة من خطورة عدم الالتزام بأمر الله وشرعه.

٣- تناسب السورة ومقاصدها مع قصة البقرة:

سورة البقرة مقصدها الأعظم: توجيه مسيرة الالتزام بأمر الله نحو الصواب، وتوضيح منهج الله في ضوء السنة والكتاب؛ بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، أخرجه مسلم (٨٠٧).

وبيان ذلك: أن الله جَلَّ جَلَالُهُ لما أمر الناس بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم في فاتحة الكتاب بَيَّن لهم سبيل ذلك في السورة التي تليها؛ ولذلك افتتحت بقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿الَّذِي﴾ **﴿ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ لَرَبِّهِ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾** [البقرة: ١ و ٢].

ودائماً سور القرآن الكريم تتبين مقاصدها في فواتحها، وتؤكددها في خواتيمها، وذلك واضح في سورة البقرة:

فقد جاء في بدايتها: ﴿ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ لَرَبِّهِ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وختمت بقوله: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ و ٢٨٦].

وقصة البقرة خلاصة لتعاطي بني إسرائيل مع منهج الله، وطرائقهم في التعامل معه، وطرقهم في التخلص من الالتزام به، والعمل بمقتضاه.

وهذه البداية غير التقليدية توضح أن نقطة الارتكاز في قصة البقرة ليس موضوع القتل الذي استشرى في بني إسرائيل، وإنما موضوع البقرة وصاحبها الذي ترك مغنياً زائلاً براً بوالده؛ فعوضه الله أضعافاً مضاعفة ما ترك.

وبذلك؛ ينبهنا السياق القرآني إلى القضية الجوهرية في القصة؛ حيث جعل المحور الرئيس؛ هو: البقرة وصاحبها، وبقية الأحداث: القتل، والقتيل، والتنازع كمكلمات للقصة؛ مما يؤكد أن أهل التقوى والصلاح والإصلاح هم أصل الموضوع، وأن أعداءهم بتخطيطهم ومكرهم إنما يمهدون -وهم لا يشعرون- لخدمة ما أراد الله من خير لأهل

طاعته، وعاقبة حميدة لدينه^(١)؛ كما في قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) و﴿وَإَكِيدُوا﴾ (١٦) ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤْيَا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

وبهذه الحقيقة تتجلى سنة الله في هذا الدين العظيم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ و ٣٣].

وهذه البداية المعجزة حيث سبق الأمر علته وسببه يدل على عظمة القرآن؛ لأن السؤال عن العلة والسبب معناه: أن الأمر صادر من مخلوق مثلك، وبشر مساوٍ لك.. ولما كان الأمر من الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ فإنه لا يسأل عن علته قبل تنفيذه؛ لأن الله أعلم وأحكم من الذين صدر إليهم الأمر؛ فهو يعلم وهم لا يعلمون.

ومن ربط تنفيذ الأمر بعلمته؛ فكأنه قد فعله من أجل علته، وهذا يناقض الإيمان؛ لأنه يستوي فيه المؤمن والكافر؛ لأن تنفيذ الأمر من أجل السبب والعلة ليس إيماناً بالله وتصديقاً برسله؛ وقد تخطى العلة والسبب أذهان البشر، وتغيب عنها!

وأما المؤمن؛ فإنه يتلقى أمر الله طائِعاً؛ عرف علته أو لم يعرف، ويقوم بتنفيذه؛ أدرك السبب أم لم يدرك؛ لأنه من الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولذلك؛ فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ يبدأ التكليف الشرعية دائماً بخطاب: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢)، ولهذا جاء الأمر بذبح البقرة أولاً، ثم بالعلة التي ختمت بها القصة، والله أعلم.

(١) انظر - غير مأمور - كتابي: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام».

(٢) وقد أفردت «نداءات الرحمن لأهل الإيمان في القرآن» في مصنف جامع؛ يسر الله نشره على

إعجاز علمي في قصة بقرة بني إسرائيل بين كتب أهل الكتاب والقرآن الكريم

قصة بقرة بني إسرائيل ذكرت في كتب مختلفة من كتب أهل الكتاب:

التلمود البابلي.

كتاب القدوسين.

المشنا (١:٢ PAR).

التكوين (٩:١٥).

العدد (١٠:١٩-١٠).

التثنية (٧:٢١-٧).

ذكر سفر التكوين والمشنا: عمر هذه البقرة.

وذكر سفر العدد والتلمود: لون البقرة.

وقد روى التلمود قصة (داما) الذي رفض شراء مجوهرات بسعر زهيد؛ لأن مفاتيح

ماله كانت تحت رأس أبيه النائم؛ حتى لا يوقظه؛ فكافأه الله بعجلة حمراء في قطيعه.

أما رواية (سفر العدد ١٩:١-١٠) فتكلم عن «ذبيحة خطيئة»:

«وقال الرب لموسى وهارون: هذه هي متطلبات الشريعة التي أمر بها: قل لبني

إسرائيل: أن يأتوك ببقرة صفراء، سليمة، خالية من كل عيب، لم يعملها نير، فتعطونها

لأليعازر؛ ليأخذها إلى خارج المخيم وتذبح أمامه، ويغمس الكاهنُ إصبعه بدمها،

ويرش منه نحو وجه خيمة الاجتماع سبع مرات، وتحرق البقرة بجلدها ولحمها ودمها

وفرتها على مشهد منه، ثم يأخذ خشب أرز وزوفاً، وخيطاً أحمر، ويطرحها في وسط

النيران، ثم يغسل الكاهن ثيابه ويستحم بهاء، وبعد ذلك يدخل المخيم، ويظل الكاهن

نجسًا حتى المساء، ويجمع رجل طاهر دماء البقرة ويلقيها خارج المخيم في موضع ظاهر، فيظل محفوظًا لجماعة إسرائيل لاستخدامه في ماء التطهير.

إنها ذبيحة خطيئة، وعلى من جمع رماد البقرة أن يغسل ثيابه، ويظل نجسًا إلى المساء...».

وأما رواية سفر التثنية (٢١: ١-٧)؛ فتتكلم عن ذبيحة القاتل المجهول: «إذا وجدتم قتيلاً ملقى في حقل في الأرض التي يهبها الرب إلهكم لكم لامتلاكها، ولم يعرف قاتله، يقوم شيوخكم وقضاةكم بقياس المسافات الواقعة بين موضع جثة القاتل والمدن المجاورة؛ فيحضر شيوخ أقرب مدينة إلى الجثة عجلة لم يُوضع عليها محراث، ولم تجر بنير، ويأخذونها إلى واد فيه ماء دائم الجريان لم يجرث فيه ولم يزرع، فيكسرون عنق العجلة في الوادي. ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي؛ لأن الرب إلهكم قد اختارهم لخدمته، ولإعلان البركة باسم الرب، ولل قضاء في كل خصومة وكل ضربة، فيغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبة من الجثة أيديهم فوق العجلة المكسورة العنق في الوادي. ويقولون: أيدينا لم تسفك هذا الدم، وأعيننا لم تشهده...».

فهل يعقل أن يكون رسول الله النبي الأمي ﷺ - كما يدعي أعداء الإسلام قديماً وحديثاً - قد اطلع على كل الروايات اليهودية المذكورة آنفاً من كتب أهل الكتاب التي لم تكن مترجمة إلى اللسان العربي يومئذ، وألّف هذه القصة المشتتة في كتب عديدة، ومصادر متفرقة عند اليهود بعد أن استنبط العوامل المشتركة بينها؟!!

ثم؛ لا بد أن يكون ﷺ قد استبعد التفاصيل المتناقضة التي تكثر في الروايات اليهودية، وتخلو منها القصة القرآنية، وأضاف إليها الزيادات اللازمة، وعرضها بهذا الأسلوب الرباني المعجز المشوق.

إن هذا هو المحال بعينه، ولو كان هناك محال واحد في التاريخ البشري؛ لكان افتراض افتراء القرآن هذا.

بل؛ هذا من هيمنة القرآن على كتب أهل الكتاب بشتى الصور: من اطلاع على المخفي وكشفه، والفصل بين الكتب، وتصحيح مقاصد القصص:

وتأمل! كيف ينقض القرآن الكريم هذه الفرية الجاهلية:

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمِنَهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا أَبْيُوا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبْنِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٢ - ١٠٥].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكْتَبَهَا فِيهَا تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٤ - ٦].

وقال جل جلاله: ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٨].

وقال جل جلاله: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَنْتَمَا إِنِّي أَنْخَرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

وقال جل جلاله: ﴿ إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٥].

وقال جل جلاله: ﴿ إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المطففين: ١٣].

بنو إسرائيل وعقدة البقرة

كان المصريون القدماء يعبدون الحيوانات؛ ومن أهمها: العجل؛ حيث كانوا يختارونه بمواصفات محددة، ولذلك أقاموا له التماثيل، وشيّدوا لأجله المعابد، ووضعوا صورته على جدرانها.

ومن أشهر عجلهم: (أييس) الذي اتخذوا يوم ولادته عيداً، وجعلوا يوم موته مأتماً؛ لأنه عندهم مظهر لإله الشمس!!

ولبت بنو إسرائيل في مصر من دخولها زمن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى خروجهم منها زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ... فطال عليهم الأمد، ونسوا دين يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتأثروا بعقائد المصريين القدماء الوثنية التي تعظم البقر حتى أُشربوا العجل في قلوبهم!!

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ مَخْبِرًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَّا زُلْمَتُكُمْ فِي سَكِّمَاتِهَا جَاءَكُمْ بِرُؤْيُكُمْ حَتَّى إِذَا هَلَكْتُمْ كُنْتُمْ رَبْعًا ۗ وَاللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٤ و٣٥].

ولذلك ما لبثوا أن خرجوا من البحر حتى عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري الذي كان من المصريين الذين يعبدون البقر، ولم يكن من بني إسرائيل؛ كما في حديث الفتون^(١):

(١) أخرجه النسائي في «تفسيره» (٣٤٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٦١٨) وهو صحيح؛ كما بينته في كتابي: «صحيح الأنبياء المسند من أحاديث الأنبياء» (١٦٠).

«... فلما أن جاز موسى وأصحابه البحر، ودخل فرعون وأصحابه؛ التقى عليهم البحر كما أمر، فلما جاوز موسى البحر؛ قال أصحابه: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه؛ فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا هلاكه، ثم مروا بعد ذلك: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَنَطَّلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨ و ١٣٩] قد رأيتم من العبر، وسمعتم ما يكفيكم، ومضى، فأنزلهم موسى منزلاً، وقال لهم: أطيعوا هارون؛ فإني قد استخلفتكم عليكم، فإني ذاهب إلى ربي، وأجله ثلثين يوماً أن يرجع إليهم فيها، فلما أتى ربه أراد أن يكلمه في ثلثين يوماً، وقد صامهن -ليلهن ونهارهن-، وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم، فتناول موسى من نبات الأرض شيئاً؛ فمضغه، فقال له ربه حين أتاه: لم أفطرت - وهو أعلم بالذي كان -؟ قال: يا رب! إني كرهت أن أكلمك إلا وفي طيب الريح، قال: أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك؟! ارجع فصم عشراً، ثم اتنتي، ففعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما أمره به، فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك، وكان هارون قد خطبهم، وقال: إنكم خرجتم من مصر، ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع، ولكم فيهم مثل ذلك، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم ودعة استودعتموها ولا عارية، ولسنا براديين إليهم شيئاً من ذلك، ولا ممسكيه لأنفسنا، فحفر حفيراً، وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير، ثم أوقد عليه النار؛ فأحرقه؛ فقال: لا يكون لنا ولا لهم.

وكان السامري من قوم يعبدون البقر، جيران لبني إسرائيل، ولم يكن من بني إسرائيل، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا، ففضي له أن رأى أثراً فأخذ منه قبضة، فمر بهارون، فقال له هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا سامري! ألا تلقي ما في يدك؟ وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك، فقال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، فلا ألقها بشيء؛ إلا أن تدعو الله إذا ألقيت أن يكون ما أريد، فألقاها ودعا له

هارون، فقال: أريد أن تكون عجلاً، فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد؛ فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: لا والله ما كان له صوت قط، إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه، فكان ذلك الصوت من ذلك.

فتفرق بنو إسرائيل فرقاً:

فقال فرقة: يا سامري! ما هذا وأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم؛ ولكن موسى أضل الطريق!

فقال فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى، فإن كان ربنا؛ لم تكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا، وإن لم يكن ربنا؛ فإننا نتبع قول موسى.

وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان، وليس بربنا، ولن نؤمن به، ولا نصدق.

وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل، وأعلنوا التكذيب به، فقال لهم هارون: يا قوم! إنما فتتم به، وإن ربكم الرحمن، قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم أحلفنا؟ هذه أربعون قد مضت، فقال سفهاؤهم: أخطأ ربه؛ فهو يطلبه ويتبعه! فلما كلم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له ما قال؛ أخبره بما لقي قومه من بعده، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً، قال لهم ما سمعتم في القرآن، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وألقى الألواح من الغضب، ثم إنه عذر أخاه بعذره، واستغفر له، فانصرف إلى السامري، فقال له: ما حملك على ما صنعت، قال: قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت إليها، وعميت عليكم، فقدفتها ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ ١١٠ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿ [طه: ٩٦ و ٩٧]، ولو كان إلهًا لم نخلص إلى ذلك منه، فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة، واغبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون، فقالوا لجماعتهم: يا موسى! سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها،

فيكفر عنا ما عملنا، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك، لا يألوا الخير - خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل -، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة، فرجفت بهم الأرض واستحيا عليه السلام من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل، فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَأَىٰ أَنهَلَكَ مَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفيهم من كان الله أطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به، فلذلك رجفت بهم الأرض، فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبَهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦ و ١٥٧].

فأراد الله جَلَّ جَلَالُهُ أن يستأصل من قلوب بني إسرائيل حبَّ العجل؛ فأمرهم أن يذبحوا بقرة من جنس ما تربوا عليه، وَأَلْفَوْه، وعبدوه من دون الله .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ:

«ومنها: أن بني إسرائيل فتنوا بالبقرة مرتين من بين سائر الدواب: ففتنوا بعبادة العجل.

وفتنوا بالأمر بذبح البقرة.

والبقرة من أبلد الحيوان؛ حتى لِيُضْرَبُ به المثل.

والظاهر: أن هذه القصة كانت بعد قصة العجل؛ ففي الأمر بذبح البقرة تنبيه على أن هذا النوع من الحيوان الذي لا يمتنع من الذبح والحرق والسقي، لا يصلح أن يكون إلهًا معبودًا من دون الله جَلَّ جَلَالُهُ، وأنه إنما يصلح للذبح والحرق والسقي والعمل»^(١).

قال القرطبي: «قال الماوردي: وإنما أمروا - والله أعلم - بذبح بقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبده من العجل؛ يهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته.

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/٣١٧).

وهذا المعنى علة في ذبح البقرة، وليس بعلّة في جواب السائل، ولكن المعنى فيه أن يحيا القتل بقتل حي؛ فيكون أظهر لقدرته في اختراع الأشياء من أصدادها»^(١).

... ولكن هيهات أن يترك بنو إسرائيل حُبَّ البقر والذهب.. فقد أشربوه في قلوبهم، وتلوّثت به عقولهم حتى أصبح قطعة من حياتهم، وجزءاً من تصوراتهم؛ وقبسا من مبادئ عقيدتهم... فهذا هو يستمر معهم بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَيَعْلُونَ الذهب الذي على صورة بقرة في زمن يوشع بن نون - فتى موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - أيام فتح بيت المقدس. عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تجبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس».

«وفي رواية: غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضْعَ امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولَمَّا بَيْنَ [بها]، ولا آخر قد بنى بنياناً، ولَمَّا يرفع سُقْفَهَا، ولا آخر قد اشترى غَنَمًا أو خَلِيفَات، وهو منتظر ولادها، قال: فغزا، فأدنى للقرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، (وفي رواية: فلقي العدو عند غيبوبة الشمس)، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، الله م! احبسها عليّ شيئاً، فحُجِبت عليه، حتى فتح الله عليه، [فغنموا الغنائم]، قال: فجمعوا ما غنموا، فأقبلت النار لتأكله، فأبت أن تطعمه، [وكانوا إذا غنموا الغنيمة بعث الله جَلَّ جَلَالُهُ عَلَيْهَا النار فأكلتها]، فقال: فيكم غُلُول؛ فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فبايعته، قال: فلصقت بيد رَجُلَيْن أو ثلاثة [يده]، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم، [قال: أجل قد غللتنا صورة وجه بقرة من ذهب]، قال: فأخرجوه له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال، وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله جَلَّ جَلَالُهُ رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا».

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/٤٤٥).

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الله أطعمنا الغنائم رحمة بنا وتخفيفاً، لما علم من ضعفنا»^(١).

ألا يدل قولهم: «أجل قد غللتنا صورة وجه بقرة من ذهب... فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب» على أن القوم أشربوا العجل في قلوبهم إلى يوم القيامة^(٢).. وتأمل قصة البقرة الحمراء تبين لك تفاصيل القضية:

البقرة التي أمر الله اليهود بذبحها يراها اليهود حمراء، وأنها ستظهر في آخر الزمان مرة أخرى لمهمة عظيمة عندهم... سوف يذبحونها... ويحرقونها... ويظهرون برمادها ساحة جبل موريا؛ حيث المسجد الأقصى المبارك.

ومن ثم يظهرون أنفسهم؛ ليستطيعوا دخول ساحات المسجد، ليعيدوا بناء هيكل سليمان المزعوم!!

جاء في سفر العدد - الإصحاح: ١٩:

«علم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعل عليها نير، فتعطونها لإيعازار الكاهن، فيخرج إلى خارج المحلة، وتذبح قدامه، ويأخذ إيعازار الكاهن من دمها بإصبعه، وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتحرق البقرة أمام عينيه؛ يحرق جلدها ولحمها ودمها مع قرننها، ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفاً وقرمزاً ويطحرنهن في وسط حريق البقرة».

واليهود جادون في تنفيذ معتقداتهم، وصادقون مع أنفسهم في تحقيق تصوراتهم على أرض الواقع، ولذلك اتخذوا عدة قرارات خطيرة تهدد المسجد الأقصى المبارك:

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٤ و ٥١٥٧)، ومسلم (١٧٤٧) وجميع الزيادات والروايات صحيحة؛ انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٠٢) لشيخنا الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ.

(٢) ولذلك جعلوا العجل الذهبي العبري رمزاً لسوقهم المالي العالمي (وول ستريت) في عاصمة الماسونية العالمية (نيويورك).

١- في عيد الأنوار اليهودي سنة (١٩٩٦م) اجتمعت لجنة حاخامات المستوطنات، وأصدروا فتوى تحث اليهود على الحجّ إلى جبل الهيكل.

وكانت هذه الفتوى مفاجئة لعموم اليهود؛ لأن الاعتقاد الذي سار عليه اليهود هو عدم جواز زيارة جبل الهيكل قبل ظهور البقرة الحمراء؛ ليتم تطهيره برمادها (!) خشية وطء (قدس الأقداس) الذي يوجد فيه (تابوت العهد) بالأقدام (!!)

واليهود مختلفون في توقيت بناء الهيكل ومن سيقوم ببنائه:

فعامتهم يرون هدم المسجد الأقصى؛ ليقام على أنقاضه الهيكل المزعوم؛ لكن عند ظهور البقرة الحمراء.

والحريديم (المتدينون) لا يرون بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى؛ لأن هذه المهمة سيقوم بها المسيح المنتظر؛ أي: المسيح الدجال حينما يخرج، ويملك العالم!!

٢- وفي (٢٥/٧/٢٠٠١م) سمحت المحكمة العليا في الكيان اللقيط لليهود لحركة أمعاء جبل الهيكل؛ بوضع الحجر الأساس للهيكل الثالث قرب باب المغاربة في القدس القديمة.

٣- وفي سنة (٢٠٠٢م) زعموا: أن البقرة الحمراء ولدت، وسموها (Melody)... لكنها لما كبرت اكتشفوا في جسمها بقعة داكنة تختلف عن لونها.

ومن ذلك اليوم استنفروا علماء الوراثة، وخبراء التهجين، وشياطين الاستنساخ؛ لإنتاج بقرة حمراء (لاشية فيها) يوضحه:

٤- في مستوطنة (بيت شلومو) توجد مزرعة أبقار ومعهد تجارب؛ لإجراء البحوث الوراثة التي من شأنها التوصل إلى إنتاج بقرة حمراء (لاشية فيها)؛ لحرقها، واستخدام رمادها في تطهير جبل الهيكل!

وفي ولاية (لويزيانا) الأمريكية تجرى عملية إعداد قطع من الأبقار الحمراء!!

٥- ولذلك أعد اليهود العدة، واستنفروا قواهم؛ يوضحه:

- أ- تقوم عائلة (نتيف) في القدس على إنتاج أدوات العبادة؛ وهي:
- أقفاح ذهبية.
 - المعول الفضي الذي سيستخدم في رفع رماد البقرة الحمراء بعد حرقها.
 - قرون ثور:
 - أحدهما ذهبي ينفخ فيه الكهنة في يوم ذبح البقرة الحمراء.
 - والآخر فضي ينفخ فيه لإعلان صيامهم في ذلك اليوم.
- ب- وتقوم أسرة (إلفي) بإعداد كسارة الحجارة التي تمتلكها في جنوب فلسطين التاريخية؛ لإنتاج مواد بناء الهيكل من عناصر طبيعية لم تمسها مطرقة أو إزميل.
- إناء الطهارة للبقرة إعلاناً ببدء مراسم التطهير.
 - الأختام المقدسة.
 - المذبح الذهبي الذي تتم فيه عملية الذبح.
 - السكاكين التي يتم بها ذبح البقرة.
- ت- وقامت عائلة (تسورفيم) بحياكة أدوات الهيكل القماشية من نوع واحد.
- ث- ويعرض معهد أبحاث الهيكل مجسمًا للهيكل، وأدوات العبادة، وملابس الحاخامات، وصور ذبح القرابين، وبوق المنادة(!)
- ٦- وتقوم أبواق الدعاية اليهودية بنشر ثقافة البقرة الحمراء وسط المسلمين وفي ديارهم، ومن ذلك:
- أ- استخدام البقرة الحمراء؛ كماركة تجارية لجبن فرنسي تنتجه مصانع بيل تحت اسم (البقرة الضاحكة) (لافاش كي ري) (سنة ١٩٢١م).
 - ب- إنتاج مجموعة ألعاب (البقرة الضاحكة) للأطفال، وأطلقوا على بعضها (Melody).

بين الدين والسياسة

اختلف بنو إسرائيل في القتل، وتنازعا في أمره، وكادت الفتنة أن تقع بينهم؛ فلما رجعوا إلى نبيهم كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَذَّ الفتنة في مهدها؛ لأنه ساسهم بشرع الله، ولم يتركهم إلى أهوائهم ومصالحهم الآنية.

وبنو إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، وترعاهم بشريعة الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

عن أبي حازم؛ قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين؛ فسمعتة يحدث عن النبي ﷺ؛ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء؛ فيكثرون».

قالوا: فما تأمرنا؟

قال: «فُوا ببيعة الأول؛ فالأول^(١)؛ أعطوهم حَقَّهُمْ؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم^(٢)».

دَلَّ هذا الحديث على وجود ذكر لمادة (السياسة) في السنة النبوية؛ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ «ومعنى تسوسهم؛ أي: يتولون أمورهم؛ كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه»^(٣).

(١) قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح صحيح مسلم» (١٢ / ٢٣١): «وفي هذا الحديث معجزة لرسول الله ﷺ».

ومعنى هذا الحديث: إذا بويع لخليفة بعد خليفة؛ فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني يحرم الوفاء بها».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٢ / ٢٣١).

وهذا يدل على أن لفظ (السياسة) عربي فصيح، وهو مصدر ساس الناس يسوسهم سياسة.

قال ابن دريد: «وسست القوم، أسوسهم سياسة، وكذلك الدواب»^(١).
وقال الجوهري: «سست الرعية سياسة، وسوس الرجل أمور الناس، على ما لم يسم فاعله: إذا مُلِّك أمرهم»^(٢).

وقال ابن منظور: «وساس الأمر سياسة: قام به»^(٣).
وقال الفيروز آبادي: «وسست الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها، وفلان مجرب قد ساس، وسيس عليه: أَدَّب وأُدِّب»^(٤).

فالكلمة عربية فصيحة؛ لأن منها اشتق لفظ (السائس)؛ وهو: مروّض الدواب من (ساس الدابة)؛ أي: قام عليها وراضها وأدّبها، وأكثر ما يكون ذلك في الخيل^(٥).

وأما الكلمة بمفهومها المعاصر؛ فهي مولدة توليداً معنوياً^(٦).
وعلى الرغم من كون لفظ (السياسة) عربي أصيل، وورود ذكر مادتها في السنة النبوية الصحيحة؛ فإنها لم ترد في القرآن الكريم بمادتها ولا بمفهومها.
لكنها بحقيقتها الشرعية والعصرية من أعظم ركائزه؛ ويجوهرها من أوضح مقاصده.

(١) «جمهرة اللغة» (١/١٧٩).

(٢) «الصحاح» (٣/٩٣٨).

(٣) «لسان العرب» (٦/١٠٨).

(٤) «القاموس المحيط» (ص ٧١٠).

(٥) انظر: «المطلع على أبواب المقنع» (ص ٢٧٣)، و«مجلة لغة العرب» (١٨/٢٩٨).

(٦) كما حققه الدكتور حامد قتيبي في «دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح» (ص ١٣١ -

قال شيخ شيوخنا محمد راغب الطباخ رَحْمَةُ اللَّهِ^(١).

«كثير من الناس- ممن لم يقرؤوا القرآن، أو لم يتدبروا آياته- يظنون أن كتاب الله جَلَّ جَلَالُهُ خال من الآيات السياسية، ومن الأمور التي إذا روعيت تكون سبباً لحياة أمة بعد موتها، ولعزتها بعد هوانها، ولكثرتها بعد قلتها، ولغناها بعد فقرها، ولاستعادة ما كان لها من مجدٍ، وما سلف من حول وطول.

في حين أن كتاب الله فيه تبيان كل شيء؛ فيه كل ما يعود على المجتمع البشري بالسعادة في معاشه ومعاده، في دنياه وآخرته.

وإذا تأملت فيه -وكنت ممن ﴿أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]- تتجلى لك آيات كثيرة تجد فيها السياسة بادية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وتعتقد اعتقاداً جازماً أنا إذا سرنا على مقتضى ما جاء فيها، وراعينا أحكامها استرجعنا ما فقدنا من عزٍّ، وعادت لنا تلك المكانة التي كانت لنا بين الأمم، وكنا معشر الأمة العربية- بل وجميع الأمة الإسلامية- نحن القابضين على زمام العالم، ومقدرات الأمم في مشارق الأرض ومغاربها».

ثم ساق الآيات (٢٤٦-٢٥١) من سورة البقرة، وفيها قصة طالوت وجالوت؛ وفسرها تفسيراً رائقاً^(٢).

ثم قال بعد ذلك:

«في هذه الآيات السَّت نموذج من السياسة في كتاب الله جَلَّ جَلَالُهُ، وإذا استقصيت ما بين دفتيه، وأمعت النظر، وتدبرت ما هنالك تجد من هذا النوع آيات كثيرة بل سوراً بتمامها لو استخلصت على حدة، وتُبعت المقاصد فيها، وبيّنت الغايات منها لجاء ذلك

(١) في محاضرة ألقاها في دار الأرقم، بمدينة حلب، ثم نشرت في مجلة «الفتح» (عدد ٧٥٣-

٧٥٥).

(٢) انظر- تفضلاً- (ص ١٠٠).

في عدة أسفار، تُعطيك كل آية منها- أو بعض آيات- نوعًا خاصًا، وأسلوبًا آخر تنكشف به دقائق الأمور، وحقائق الأشياء.

فعلى هذا؛ لم يدع القرآن العظيم منهاجًا من هذه المناهج إلا سلكه، ولا غامضًا إلا أوضحه.

وضع الصدر الأول: من خلفاء الإسلام وملوكهم وأمرائهم وقادتهم هذه الآيات نصب أعينهم؛ فاستتجوا منها قواعد وأسسًا عملوا بمقتضاها، واسترشدوا بها، واستضاءوا بمصابيحها؛ فوضحت أمامهم السبل فساروا في طريق من الحياة بينة إلى أن اقتعدوا الذروة، وحلقوا في سماء العلياء، وأسسوا من الحضارة والمدنية الحقبة ما جروا به ذيل الفخار على الأمم، وكان غرة في جبين الدهر.

فَلَنَسِرَ- إذا أردنا النجاة والحياة- على سيرهم، ولنقتف أثرهم، ولنهدت بهم؛ فإذا فعلنا ذلك، وقمنا بهذا الواجب المقدس لا نلبث- عشية أو ضحاها- إلا وقد نلنا بغيتنا، وحُزنا أمانينا، وحمدنا عند الصباح السرى» أ.هـ.

والحديث النبوي السابق يُقدِّم تعريفًا شرعيًا واضحًا للسياسة، وأن معناها يدور على رعاية شؤون الأمة، وحياطة أمور الرعية، واستصلاح أحوال الخلق؛ بإرشادهم إلى ما ينجيهم في العاجل والآجل، وبما يصلحهم لطفًا وعنفًا.

وبيان ذلك:

أ- أن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء واحد يتلو الآخر، والأنبياء يرعون شؤون أممهم ظاهرًا وباطنًا بما أوحاه الله إليهم من الكتاب والحكمة.

ب- ولما ختمت النبوة بمحمد ﷺ؛ فإن رعاية شؤون الأمة من بعده انتقلت إلى خلفائه وورثته؛ وهم: الأمراء والعلماء، وهؤلاء يسوسون الرعية بما لا يخالف الكتاب والسنة.

ت- فالسياسة هي تدبير المعاش والمعاد مع العموم على سنن العدل والاستقامة بما لا يخالف الكتاب والسنة.

ولذلك؛ فالسياسة في الشرع الميين لا تقتصر على نصوص الكتاب والسنة، بل يدخل فيها كل ما يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ، ولا نزل به وحى.

قال الإمام الرباني ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ:

«وَجَرَتْ فِي ذَلِكَ مَنَازِرَةٌ بَيْنَ أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ عَقِيلٍ وَبَيْنَ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ:

فَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: الْعَمَلُ بِالسِّيَاسَةِ هُوَ الْحَزْمُ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ إِمَامٌ.

وقال الآخر: لا سياسة إلا ما وافق الشرع.

فقال ابن عقيل: السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يشره الرسول ﷺ، ولا نزل به وحى، فإن أردت بقولك: «لا سياسة إلا ما وافق الشرع»؛ أي: لم يخالف ما نطق به الشرع؛ فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع؛ فغلط وتغليط للصحابة، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والمثل ما لا يجحده عالم بالسَّيْرِ، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة، وكذلك تحريق عليٍّ الزنادقة في الأخاديد، ونفي عمر نصر بن حجاج.

قلت: هذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعتك صعب:

فَرَّطَ فِيهِ طَائِفَةٌ؛ فَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَضَيَّعُوا الْحَقُوقَ، وَجَرَّأُوا أَهْلَ الْفُجُورِ عَلَى الْفُسَادِ، وَجَعَلُوا الشَّرِيعَةَ قَاصِرَةً لَا تَقُومُ بِمُصَالِحِ الْعِبَادِ، وَسَدَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَرِيقًا صَحِيحَةً مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي يَعْرِفُ بِهَا الْمُحَقُّ مِنَ الْمَبْطَلِ، وَعَطَّلُوهَا مَعَ عِلْمِهِمْ وَعِلْمِ النَّاسِ بِهَا: أَنَّهَا أَدْلَى حَقٍّ ظَنًّا مِنْهُمْ مُتَّافِتًا لِقَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَالَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ ذَلِكَ نَوْعٌ تَقْصِيرٍ فِي مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ، وَالتَّطْبِيقِ بَيْنَ الْوَاقِعِ وَبَيْنِهَا، فَلَمَّا رَأَى وَلَاةَ الْأَمْرِ ذَلِكَ، وَأَنَّ النَّاسَ لَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُهُمْ إِلَّا بِشَيْءٍ زَائِدٍ عَلَى مَا فَهَمَهُ هَؤُلَاءِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، فَأَحْدَثُوا لَهُمْ

قوانين سياسية ينتظم بها مصالح العالم، فتولّد من تقصير أولئك في الشريعة، وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شرّ طويل، وفساد عريض، وتفاقم الأمر، وتعذر استدراكه.

وأفرط فيه طائفة أخرى؛ فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله.

وكلا الطائفتين أثبتت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله ﷺ، فإن الله أرسل رسوله، وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط؛ وهو: العدل الذي قامت به السماوات والأرض؛ فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صُبحه بأيّ طريق كان، فذلك من شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله جلّ جلاله لم يحصر طرق العدل وأدلتها، وأماراته في نوع واحد، ويبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل يبيّن بها شرعه من الطرق: أن مقصوده إقامة الحق والعدل، وقيام الناس بالقسط، فأبى طريق استخراج بها الحق ومعرفة العدل؛ وجب الحكم بموجبها ومقتضاها.

والطرق أسباب ووسائل لا تُتراد لذواتها، إنما المراد غاياتها التي هي المقاصد، لكن نَبّه بها شرعه من الطرق على أشباهها وأمثالها، ولن تجد طريقًا من الطرق المثبتة للحق إلا وفي شرعه سبيل للدلالة عليها، وهل يُظن بالشريعة الكاملة خلاف ذلك؟

ولا نقول: إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة، بل هي جزء من أجزائها، وباب من أبوابها، وتسميتها: «سياسة» أمر اصطلاحى، وإلا: فإذا كانت عدلاً؛ فهي من الشرع، فقد حبس رسول الله ﷺ في تُهمّة، وعاقب في تُهمّة لما ظهرت أمارات الريبة على المتهم، فمن أطلق كل متهم وخلى سبيله أو حلّفه مع علمه باشتهاره بالفساد في الأرض وتُقبّ الدور وتواتر السرقات - ولا سيما مع وجود المسروق: عنده - وقال: لا أخذه إلا بشاهدي عدل، أو إقرار اختيار وطوع؛ فقولُه مخالف للسياسة الشرعية . . . ولقد حدّد أصحاب النبي ﷺ في الزنى بمجرد الحبل، وفي الخمر بالرائحة والقيء، وهذا هو

الصواب؛ فإن دليل القىء والرائحة والحَبَل على الشرب والزنى أولى من البينة قطعاً، فكيف يُظنُّ بالشرعية إلغاء أقوى الدليلين؟!

... إلى أضعاف أضعاف ذلك من السياسات العادلة التي ساسوا بها الأمة، وهي مشتقة من أصول الشريعة وقواعدها.

وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة؛ كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل^(١)، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل كل ذلك ينقسم إلى قسمين:

صحيح وفاسد؛ فالصحيح قسم من أقسام الشريعة لا قسم لها.

والباطل ضدها ومنافيه.

وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها، وهو مبني على حرف واحد؛ وهو: عموم رسالة النبي ﷺ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم يُخْرَجْ أمته إلى أحد بعده، إنما حاجتهم إلى من يُبَلِّغُهُمْ عنه ما جاء به، فلرسالته عمومات محفوظات لا يتطرق إليهما تخصيص عموم بالنسبة إلى المرسل إليه، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه مَنْ بُعث إليه من أصول الدين وفروعه، فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها، ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به^(٢).

وهكذا بقي نظام السياسة على سنن العدل والاستقامة حتى اختل ميزان الحكم؛ فأصبح عضوً وجبرياً؛ يتكادمون عليه تكادم الحمير؛ كما أخبر الصادق المصدوق:

(١) انظر - غير مأمور - كتابي: «دلائل الصواب في إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب».

(٢) «إعلام الموقعين» (٦/٥١٢-٥١٧).

أخرج أبو داود الطيالسي (٤٣٨)، ومن طريقه الإمام أحمد (٢٧٣/٤) - واللفظ له - والعراقي في «محنة القرب إلى محبة العرب» (ص ١٧٦)، والبخاري (١٥٨٨) - كشف الأستار) من طريق داود بن إبراهيم عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: كنا قعوداً في المسجد - وكان بشير رجلاً يكف حديثه^(١) - فجاء أبو ثعلبة الخشني؛ فقال: يا بشير بن سعد! أتخفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة؛ فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاصباً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت».

قلت: إسناده حسن؛ رجاله ثقات غير حبيب بن سالم؛ فهو حسن الحديث.

وله شاهد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً ورحمة، ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر؛ فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان».

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٣٨) بإسناد جيد؛ رجاله ثقات غير سعيد بن حفص النفيلي؛ فهو صدوق.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموعهما.

ومن هنا بدأ يدبُ الفصام النكد بين الدين والسياسة.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية: إلى بداية هذا الفراق المتدع والصراع المصطنع بين الشرع والسياسة؛ فقال:

(١) أي: لا يحدث كثيراً عن النبي ﷺ احتياطاً وتورعاً، أو هاب أن يتحدث في حضرة حذيفة بن اليمان؛ لأنه أعلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأحاديث الفتن؛ لكثرة سؤاله للنبي ﷺ، والله أعلم.

«وهذا كما يوجد في كثير من خطاب بعض أتباع الكوفيين وفي تصانيفهم إذا احتجَّ عليهم مُحْتَجٌّ بمن قتله النبي ﷺ، أو أمر بقتله؛ كقتله اليهودي الذي رَضَّ رأس الجارية، وكإهداره لدم السابَّة التي سَبَّتُه وكانت مُعَاهِدَةً، وكأمره بقتل اللوطي ونحو ذلك.

قالوا: هذا يعملُه سياسة!

فيقال لهم: هذه السياسة:

إن قلتهم هي مشروعة لنا؛ فهي حق؛ وهي سياسة شرعية.

وإن قلتهم: ليست مشروعة لنا؛ فهذه مخالفة للسنة.

ثم؛ قول القائل بعد هذا: سياسة:

إما أن يريد أن الناس يساسون بشريعة الإسلام.

أم هذه السياسة من غير شريعة الإسلام.

فإن قيل بالأول؛ فذلك من الدين.

وإن قيل بالثاني؛ فهو الخطأ.

لكنَّ منشأ هذا الخطأ: أن مذهب الكوفيين فيه تقصير عن معرفة سياسة رسول الله

ﷺ، وسياسة خلفائه الراشدين.

وقد ثبت في الصحيح عنه: أنه قال: «إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، كلما

مات نبي قام نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء يكثرُونَ» قالوا: فما تأمرنا؟ قال:

«أوفوا ببيعة الأول؛ فالأول، وأعطوهم حقَّهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

فلما صارت الخلافة في ولد العباس، واحتاجوا إلى سياسة الناس، وتقلَّد لهم القضاء

من تقلَّده من فقهاء العراق، ولم يكن ما معهم من العلم كافيًا في السياسة العادلة:

احتاجوا حيثنَّذ إلى وضع ولاية المظالم، وجعلوا ولاية حرب غير ولاية شرع، وتعاضم

الأمر في كثير من أمصار المسلمين، حتى صار يقال: الشرع والسياسة: وهذا يدعو

خصمه إلى الشرع، وهذا يدعو إلى السياسة؛ سوَّغ حاكماً أن يحكم بالشرع، والآخر بالسياسة.

والسبب في ذلك: أن الذين انتسبوا إلى الشرع قصَّروا في معرفة السنة، فصارت أمور كثيرة إذا حكموا؛ ضيعوا الحقوق، وعطلوا الحدود، حتى تُسْفَكَ الدماء، وتُؤَخَذَ الأموال، وتُسْتَبَاحَ المحرمات.

والذين انتسبوا إلى السياسة صاروا يسوسون بنوع من الرأي من غير اعتصام بالكتاب والسنة، وخيَّزهم الذي يحكم بلا هوى وتحري العدل، وكثير منهم يحكمون بالهوى، ويحابون القويَّ ومن يرشوهم.. ونحو ذلك.

وكذلك كانت الأمصار التي ظهر فيها مذهب أهل المدينة، يكون فيها من الحكم بالعدل ما ليس في غيرها، من جعل صاحب الحرب متبعاً لصاحب الكتاب ما لا يكون في الأمصار التي ظهر فيها مذهب أهل العراق ومن اتبعهم؛ حيث يكون في هذه والي الحرب غير متبع لصاحب العلم:

وقد قال الله جَلَّ جَلَالُهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا وَدَّعُوا وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]:

فقوام الدين بكتاب يهدي، وسيف ينصر: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

ودين الإسلام: أن يكون السيف تابعاً للكتاب؛ فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنة وكان السيف تابعاً لذلك؛ كان أمر الإسلام قائماً، وأهل المدينة أولى الأمصار بمثل ذلك.

أما على عهد الخلفاء الراشدين؛ فكان الأمر كذلك.

وأما بعدهم فهم في ذلك أرجح من غيرهم.

وأما إذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير، وكان السيف تارة يوافق الكتاب وتارة يخالفه: كان دين من هو كذلك بحسب ذلك»^(١).

ولهذا تجد أمثال ابن خلدون يُقسّم السياسة إلى عقلية وشرعية:

قال: «فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها؛ كانت سياسة عقلية، وإن كانت مفروضة من الله بشرع يقررها ويشرعها؛ كانت سياسة دينية»^(٢).

ثم يقول مُفرّقاً بين الملك السياسي والخلافة:

«الملك السياسي: حل الكافة على مقتضى النظر العقلي.

والخلافة: هي حل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها».

ثم صار هذا الفراق الواضح، والتباين الصارخ يتسع خرقه حتى صاراً في زماننا ضدين متقابلين، لا يجتمعان ألّبتة؛ فلا صلة للدين بالسياسة، ولا للسياسة بالدين.

والحديث النبوي السابق ينقض هذا التفريق من أساسه، ويقتلعه من جذوره، ويقرر بكل وضوح: أن السياسة الحقّة والدين القيم لا انفصام بينهما، ولا تعارض يعتريهما، ولا تناقض يأتيهما، ووجه ذلك:

أ- الأمم الماضية كانت الأنبياء تسوسهم، وسياسة الأنبياء في المرتبة الأولى والعليا؛ لأنها جامعة لكل ما بعدها، ومتضمنة لما فيها فضلاً عن عصمتها، وكمال رشدتها، وتمام نضجها.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/٣٩١-٣٩٣).

(٢) «المقدمة» (ص ١٧٤) بتصرف.

وقد نقد ابن خلدون السياسة العقلية والملك السياسي المجرد عن الشرع في مواطن كثيرة من «مقدمته»؛ انظر على سبيل المثال (ص ٢٣٨-٢٣٩، و٣٧٧ وما بعدها).

ومدار سياسة الأنبياء:

تحصيل المصالح وتثبيتها وتكثيرها.

ودرء المفسد وإلغائها وتقليلها.

فالأنبياء هم أئمة السياسيين المتقين وقدوتهم، ومن تنكب طريقهم؛ فلا خير فيه.

والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لم يفصلوا بين الشريعة والسياسة، ولا

بين الدين والدنيا، ولم يكن من سياستهم: دَعَّ ما لله الله، وما لقيصر لقيصر، بل كل شيء

لله جَلَّ جَلَالُهُ ماضٍ فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦].

ب- ولما ختمت النبوة بمحمد ﷺ؛ استخلفت الأمة الخلفاء؛ فصار نظام الخلافة

الراشدة يقوم على ميراث النبوة؛ وميراث النبوة جمع بين الدين والدنيا، والشريعة

والسياسة؛ بل الشريعة كلها سياسة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «الشريعة سياسة إلهية»^(١).

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ: «فأكثر السلاطين يعملون بأهوائهم وآرائهم لا بالعلم،

ويُسَمون ذلك: سياسة، والسياسة هي الشريعة»^(٢).

وقد عدَّ ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ سياسة الأمة مقصدًا رئيسًا في مقاصد القرآن الثمانية

التي عليها مدار القرآن العظيم: «. . الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن؛

القصد منه: صلاح الأمة، وحفظ نظامها..»^(٣).

(١) «تلبیس إبلیس» (ص ١٨٨).

(٢) «الفروع» (٣٨٦/٦).

(٣) «التحرير والتنوير» (١/ ٤٠).

ولذلك: اتفق علماء الشرع المحققون على فساد الدعوة القائلة بفصل الدين عن السياسة، والدولة عن الدين، وبطلان المقولة الشهيرة: «لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين»، ووجه ذلك:

هذا القول يفيد: أن السياسة لا تلتزم القيم ولا المصالح العامة للأمة، بل تدور في فلك المنفعة الشخصية الآنية، وتراها فوق الله وأوامره ونواهيه، والدين ومبادئه وقواعده.

وهي قائمة على الحيل السياسية: ناطقة بنظرية ميكافلي التي تفصل السياسة عن الأخلاق، وترى أن الغاية تسوّغ الوسيلة.

ومعلوم أن هذا ليس سياسة ولا كياسة؛ لأن البشر لا يصلحهم إلا سياسة ترعاهم بالحق والعدل، وتلتزم معايير الخير والشر، وتقوم على موازين الحق والباطل.

فالسياسة عندما ترتبط بالدين؛ فهي العدل بين الرعية، والقسمة بالسوية، ورعاية حقوق الإنسان الأساسية.

ودخول الدين في السياسة:

يوجهها إلى الخير.

ويهدئها إلى الرشد.

ويعصمها من الضلال والغي.

ويُبين لها الغايات العليا للوجود الإنساني؛ وهي:

توحيد الله وإفراده بالعبودية.

وتزكية النفوس على منهج المرسلين.

وإقامة الحق والعدل في الأمة.

ومن دون ذلك: يقع الخلل في الدين، والعلل في السياسة؛ كما حصل مع الملأ من

بني إسرائيل من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين ضربهم الله جَلَّ جَلَالُهُ لَنَا مَثَلًا فِي كِتَابِهِ:

فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ آلِهِمْ أَيْتُ
لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَنا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ
الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٦٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ
بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ
يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ
مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آءَالُ
مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿٢٦٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي
وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ
هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِالْجُنُودِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْ قَبْلِهِ قَلِيلًا عَظِبْتَ فَبَثَّ كَثِيرًا يُأَذِنُ لِلَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٢٦٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ
أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ
جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ
﴿٢٧١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿[البقرة: ٢٤٦ -

. [٢٥٢]

لقد تقدّم الملأ من بني إسرائيل إلى نبيهم من بعد موسى عليه السلام: أن يختار لهم
ملكاً يقودهم إلى معركة الحسم مع أعداء الله، وتحرير الأرض، وحماية العرض.
وهم في طلبهم مخطئون: حيث فصلوا بين أهل القيادة وأهل العبادة؛ فظنوا أنهم
على طرفي نقيض؛ ففصلوا بين الدين والدنيا، فالقائد الذي يطلبونه أمامهم لو كانوا

يصرون؛ وهو: نبئهم الذي يخاطبون؛ فإن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، أوليست المعركة الحاسمة من ضروريات سياسة الأمة؟! ويدرك نبئهم ضعفهم وغفلتهم؛ فيريد أن يرشدهم لكن بإجابة الحكيم؛ فيستوثق منهم قائلاً: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا؟﴾.

وهنا غلا الزيد المعربد مستكراً، وارتفعت حماسه إلى الذروة، وبدأ يطرح حوافز المعركة، ومسوغات القتال، وضرورة الاستعجال: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا؟﴾.

لكن هذه الحماسة الحياشة البالغة ما لبثت أن انطفأت شعلتها، وتهاوت جذوتها على مراحل الطريق: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

ومع أن ديدن بني إسرائيل النكول عن العهد، والنكوص عن الوعد، والتفطت من الطاعة، والتفرق في منتصف الطريق، والتولي عن الحق المبين، فقد خذلوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قبل: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَيْدَا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا مُّعْذِرُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢٦].

إلا أن هذه الظاهرة هي ظاهرة بشرية على كل حال، في الجماعات والمجتمعات التي لم تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغاً عالياً؛ فيحسن الانتفاع فيها بتجربة بني إسرائيل. ولذلك؛ فهي سمة ينبغي للقيادة الراشدة أن تكون منها على حذر، وأن تحسب حسابها في الطريق الشاق الوعر؛ كي لا تفاجأ بها فيتعاضمها الأمر، فهي متوقعة في الجماعات التي لم تخلص من الأوشاب، ولم تطهر من هذه العقبات، ولم تصهر في بوتقة التربية الإيمانية العالية، الطويلة الأمد، العميقة التأثير.

وفي هذا الحوار الساخن بين القيادة البصيرة والمستعجلين الذين يريدون أن يزيبوا قبل أن يحصرموا، ويطيروا قبل أن يريشوا؛ لحاجة في نفوسهم؛ فتسقط الأقنعة الزائفة، وتهاوى الشعارات البراقة، ويتضح أن الملائم من بني إسرائيل يطلبون صيداً: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ بِالْمَلِكِ مِنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

إنهم اتخذوا شعار الجهاد والقتال في سبيل الله، وتحرير الوطن السليب، والذود عن الأعراض والأولاد سُلماً.

أما دخيلة نفوسهم؛ فهي: أنهم يريدون الحكم والملك - كحركات الإسلام السياسي المعاصرة - ولا شيء غير الحكم، ولكنهم يريدون أن يأتي هذا الحكم عن طريق الدعاة إلى الله؛ ليواروا سواتهم أمام الناس، ويلزقوا عيوبهم بغيرهم كيداً ومكرًا. ويخطئ الملائم مرة أخرى عندما يتركون مقياس الدين، ويلجأون إلى مقياس الطين؛ فينغضون رؤوسهم، ويلوون أعناقهم، ويمجادلون نبينهم اختيار الله له: ﴿وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ﴾.

ولكن سرعان ما تتجلى حكمة الله في اصطفاء طالوت ملكاً، وأحقية الذاتية في ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

إنه رجل اختاره الله ، وهذه تكفي؛ فاختيار الله ليس كاختيار البشر، إن الله زاده بسطة في العلم والجسم، وهذا بيان للناس أن القيادة الراشدة التي تسير بالناس نحو خلافة على منهاج النبوة هي القائمة على ميراث النبوة، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠].

وسرعان ما يتجلى رسوخ طالوت في العلم: إنه اصطفاء الله ، فهو رباني يريد أن يربي جنده على صغار الأمور قبل كبارها؛ لأنه مُقَدِّمٌ على معركة، ومعه جيش من أمة مغلوبة ومهزومة مرة بعد أخرى، وهو يواجه جيشًا قويًا، فلا بد أن يسَلِّح جنده بقوة كامنة تستطيع الوقوف أمام القوة الظاهرة الغالبة: إنها الإرادة التي تضبط الشهوات، وتكبح النزوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الحاجات، وتؤثر الطاعات، فتجتاز الابتلاء بثبات، فلا بد للقائد الراشد أن يبلو إرادة جنده، وصمودهم وصبرهم. وانظر كيف يختار طالوت هذه التجربة: إنَّ جنده عطاش، وأمامهم نهر؛ فهو يريد ابتلاءهم؛ ليعلم من يصبر معه ممن ينكص على عقبه، ويؤثر العافية الفانية: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٢٤٩].

شربوا وارتووا، وحصلت المفاصلة والتمييز؛ لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقه وعاتقهم.

إذًا؛ فمن الخير ومن الحزم: أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف؛ لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة، لو كانوا فيهم ما زادوهم إلا خبالًا، والجيش ليست بالعدد الضخم، والتلميع الفخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق.

وهكذا يتبين أن النية الكامنة وحدها لا تكفي، ولا بدّ من التجربة العملية التي تصقل المعدن؛ ليصلب العود قبل دخول المعركة.

ولكن هذا الخذلان لم يهز القائد بل مضى في طريقه.

ولم تكن هذه الغرلة المرة الأخيرة، بل تكررت التجربة: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

إنهم لم ينكصوا، ولكنهم أمام واقع؛ يرون بأعينهم أنهم أضعف من مواجهته. ولكنها التجربة الخاتمة: تجربة الاعتزاز بالله الذي لا غالب له، وهذا مقام لا يصمد له إلا من اكتمل إيمانه، وأصبحت له موازين يستمدّها من واقع إيمانه غير الموازين التي يستمدّها الناس من واقع حالهم.

وهنا برز دور الطائفة المؤمنة، القليلة المختارة ذات الموازين الربانية: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْتَمِئُوا إِلَى اللَّهِ مِن فَعَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَتَهُ كَثِيرَةً يُأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

غالبًا ما تكون الطائفة المؤمنة قليلة؛ لأن الرقيّ إلى القمة شاق يتساقط خلاله أهل النفاق حتى ينتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار، ولكن القلة تكون هي الغالبة؛ لأنها مرتبطة بالقوي العزيز الذي لا يذل من والاه، ولا يتنصر من عاداه، ولا يُضام من لجأ إلى حماه، ولن يضل من استضاء بهداه: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهذه القلة المؤمنة الثابتة لم تزلها كثرة العدو وقوته؛ لأنها هي التي تحسم المعركة بمواصله عهدها مع الله؛ لأنه وحده واهب النصر والحياة: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠].

وكانت النتيجة التي ترقبها واستيقنوها: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا وَقَاتِلْ لِنا كَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

ويؤكد النص حقيقة: أن النتيجة بيد الله ويأذنه ومن عنده؛ ليعلمها المؤمنون؛ فيزدادوا بها علماً وثباتاً.

ويعود النص القرآني في لفظة بليغة سريعة؛ ليؤكد خطأ الملام من بني إسرائيل الذين فصلوا بين أهل العبادة وأهل القيادة؛ فظنوا أن ما لله الله وما لقيصر لقيصر، ونسوا -أو تناسوا- أن كل شيء لله، فيبرز دور داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه قتل جالوت، بينما لم يتمكن طالوت من ذلك وهو القائد الذي اختاره الله لقيادة بني إسرائيل؛ تنبيهاً للغافلين: أن أهل العلم والعبادة هم أهل القيادة، وأن عروتها لا تنفصم، ولا تقبل القسمة؛ إلا على سنن بني إسرائيل المغضوب عليهم: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ يَدِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَكَائِسَاءً ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقد كانت العبادة والقيادة في بني إسرائيل لأنبياء الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذين كانوا يسوسونهم بشرع الله جَلَّ جَلَالُهُ.

وحكمة طالوت التي أظهرها وهو يقود جنده إلى المعركة، فعلا بهم وارتفع حتى حقق بهم النصر على عدوهم بإذن الله، هذه الحكمة التي تنبئ عن بسطة العلم التي حباها الله بها طالوت مأخوذة من سياسة نبي من أنبياء بني إسرائيل؛ وهو: يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ودونك تبيان هذا المقام؛ لكيلا تضل أفهام، وتزل أقدام، أو يبقى في نفوس تردُّدٌ أو إحجام.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال النبي ﷺ: «غزاني من الأنبياء؛ فقال لقومه:

لا يتبعني رجل مَلَكٌ بضع امرأة، وهو يريد أن يبيني بها، وَلَمَّا يَبِينِ بِهَا.

ولا أحد بني بيوتنا، ولم يرفع سقوفها.

ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات^(١)، وهو ينتظر ولادتها.

(١) هي النوق الحوامل، وقد يطلق على غيرها.

فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك؛ فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور الله م احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم.

فجمع الغنائم، فجاءت - يعني: النار - لتأكلها فلم تطعمها.

فقال: إنَّ فيكم غلولا؛ فليبايعني من كل قبيلة رجل؛ فلزقت يد رجل بيده.

فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك.

فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده.

فقال: فيكم الغلول.

فجاءوا برأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار، فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا؛ فأحلها لنا»^(١).

أ- أما أن هذا النبي هو يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإن الشمس لم تحبس إلا له؛ لقول رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا يوشع ليال سار إلى بيت المقدس»^(٢).

ب- أما أنه قبل طالوت، فنص القرآن يوكده: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴿ [البقرة: ٢٤٦].

ويوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ هو فتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي دخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة بعد مرحلة التيه التي كتبت عليهم حيث لم يقاتلوا مع موسى.

ت- أما أن خطة طالوت مأخوذة من سياسة يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فظاهر أن يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر جنده أن يخرج منهم من كان قلبه متعلقاً بالرجوع والخنوع؛ لأن فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع عند اللقاء، والجبين عندما يحمى الوطيس؛ حباً في

(١) سبق تخريجه (ص ٣٤).

(٢) حديث صحيح: كما بينه شيخنا رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصحيحه» (٢٠٢)، وفيه بحث نفيس بين فيه ضعف ما خالفه، وانظر «الضعيفة» (٢/ ٣٩٥-٤٠٢).

البقاء، ومن كان كذلك؛ فهو بذرة ضعف، وثغرة يتسلَّل منها العدو؛ فلا بد من استئصاله من صفوف الجيش الزاحف.

وخطة طالوت لم تخرج عن هذه السياسة الشرعية؛ فهي ضمن قواعدها المرعية.

ث- خطة طالوت في مواجهة جالوت وجنده وجه لبسطة العلم التي حباه الله بها، وهذا العلم علمٌ موروث من الأنبياء، ولم يكن رأياً، أو تقليدًا؛ فتبين أن العلم النافع والدواء الناجع هو ميراث الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولله در القائل:

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصيبك للخلاف جهالة

بين الرسول وبين رأي فقيه

وعودًا على بدء؛ فإن إبراز القرآن لدور داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهاية المعركة، وبيان حاله، وأنه كان ملكًا نبيًّا؛ هو: للدلالة على أن أهل العلم الأثري هم الذين ينبغي أن يقودوا الأمة إلى النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض بإذن الله، وليعبد الله وحده، ويكون الدين كله لله، ويكون الذُّلُّ والصغار على من خالف أمره.

وانظر - رحمك الله - إلى هذا الغيش في التصور الذي وقع فيه الملائم من بني إسرائيل، كيف قادم في الخاتمة إلى الانحراف الكبير، والتوليُّ يوم الزحف.

فليحذر النابهون هذا المزلق؛ فإنه من سنن بني إسرائيل؛ فإياكم وإياهم.

إن الحكم إلا لله

في هذه القصة تظهر بوضوح وتبين بجلاء قضية الحكم والشريعة والتقاضي، وأنها لله وحده من قبل ومن بعد؛ لا للأهواء المتقلبة، أو المصالح المضطربة، أو للعرف الذي يصطلح عليه جيل أو أجيال، ولا يرجع إلى أصل ثابت في شرع الله، وهذا من المعلوم ضرورة في كل الرسالات: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وهاتان الآيتان من سورة يوسف:

الأولى: قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والثانية: قول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكلاهما في تقرير ذلك في ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التي هي أصل الرسالات، وأُسُّ النبوات.

وتأمل هذه المواقف في قصة البقرة تستبين لك القضية بوضوح وجلاء:

أ- قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾؛ فالامر الناهي هو الله .

ب- قول بني إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾، و﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهِيَ﴾.

فالمبين لشرعه والموضح لمراده هو الله جَلَّ جَلَالُهُ.

ت- قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ...﴾.

فالقول الفصل؛ هو: قول الله ورسوله من قبل ومن بعد.

وهذه المسألة الإيانية تقوم على جملة اعتبارات؛ منها:

١- أنها تؤسس على الإقرار برؤية الله :

فهو الخالق الذي خلق كل شيء، وله ملك السماوات والأرض وما بينهما: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهو الرزاق؛ فهل يملك أحد أن يرزق نفسه أو غيره:

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧ و ٥٨]؟

وهذا يقتضي أن يكون الحكم له وحده لا شريك له؛ لأن موجبات العبودية؛ أعني:

الخلق والرزق؛ تستلزم أن يُعبد الله وحده، وأن يكون الحكم لله وحده: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

٢- الأفضلية المقطوع بها لدين الله على قوانين البشر:

هذه الأفضلية التي يشير إليها قوله جل جلاله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُولُونَ قُلُوبُهُمْ خُوفٌ﴾ [المائدة: ٥٠].

٣- من المعلوم بدهامة لذوي العقول السليمة وأولي الفطر المستقيمة:

أن الصنعة لا تجعل لنفسها بنفسها قانوناً تسير عليه؛ وتتحرك إليه، إنما الذي يضع لها ما لها هو صانعها الذي ابتدعها وأبدعها.

ولذلك؛ فمن الجهل أن يتصور الإنسان أن بمقدوره أن يجعل لنفسه سنناً يسير عليها لا تحيد، ولا يأتيها النقص من أطرافها، أو يتولد الخلل من أنصافها، أو لا يكون العجز من أكبر أوصافها.

ومن ذلك؛ أنه لا بدّ من الرجوع إلى شرع الله الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلح الإنسان وما يصلح عليه حاله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٤- مَنْ قَدَّرَ الشَّرِيعَةَ حَقًّا قَدَّرَهَا عِلْمٌ أَنْ مَبْنَاهَا عَلَى الْحِكْمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ:

فهي عدل الله بين عباده، ورحمته في خلقه؛ فمن استقام عليها نال حياة القلوب، وظفر بِقُرَّةِ الْعْيُونِ، واعتصم بالعروة الوثقى؛ لأنها العصمة من كل شرٍّ، والسبب في كل خير، وكل نقص في العالم؛ فسببه من إضاعته.

وعجبي لا ينقضي من قوم هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا: لا يرون تمام الترقى إلا في العيش على فتات موائد الكفار وعبدة الأصنام؛ لظنهم أنهم بلغوا الغاية القصوى في التمدن والترقى، وتناسى هؤلاء أن الكفار قَصُرُوا وَانظُرْهُمْ عَلَى الدُّنْيَا؛ فهي أكبر همهم، ومبلغ علمهم: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦ و ٧].

هؤلاء يؤذون أنفسهم وأمتهم؛ لأنهم بدلوا نعمة الله نكراً، وأحلوا قومهم أحسن المنازل؛ فينبغي الأخذ على أيديهم بالتي هي أحسن للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

إن الله -تبارك ووجلَّ جلاله- لم يوجنا إلى شيء من الكتب الإلهية السابقة، بل نَحَلْنَا كِتَابًا مُفَصَّلًا لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَكَيْفَ يَجُوجُنَا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ قَوَانِينِ الْبَشَرِ وَأَوْضَاعِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَسِيَاسَاتِهِمْ؟! حاشا لله! ومعاذ الله!

وهذا من كمال أمة الإسلام وفضلها على من قبلها من الأمم؛ فإنها لكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج إلى أمر خارج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهنا عصمة الناس، وقوام العالم، وقطب السعادة في الدنيا والآخرة... فهل من مُدَكِّرٍ؟

ومن ثمَّ مَنْ يستطيع أن يدَّعي أنه أعلم من الله بحال الناس، أو أحكم من الله في تدبير شؤونهم، أو يدَّعي أن أحوالاً وحاجات جرت في حياتهم، وكأنَّ الله جَلَّ جَلالُهُ لا يعلمها وهو يُحْكِمُ شريعته ويتمُّ نعمته، أو كان عالماً بها ولكنه لم يشرعها؟ وهذا يشير إليه قول الله جَلَّ جَلالُهُ: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

لأن شواهد أفضلية دين الله على قوانين البشر لا يحصيها عدُّ، ولا يحصرها حدُّ، ولكنها تتكشف على مرِّ العصور وكرِّ الدهور، ويضلُّ الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء. ومن ذلك:

أ- أن دين الله شامل متكامل يتنظم جميع أحوال الناس وينظم حياتهم، ويتناول بالتنظيم والتوجيه والرعاية كل جوانب حياتهم في كلِّ صورها وأشكالها وألوانها، فهو لم يدع شاردة ولا واردة في حياة البشر إلا أحصاها، وأودعها في إمام مبین. وهذه الحقيقة يدركها حتى أعداء الله؛ فقد قال المشركون لسليمان رَحِمَهُ اللهُ عَنَتُهُ: «قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء؛ حتى الخراءة»^(١).

وقال جَلَّ جَلالُهُ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

ب- وهو دين يقوم على علم الله الذي خلق هذا الكائن البشري، وخلق هذا الكون الذي يعيش فيه؛ فشرع له منهجاً ربانياً إن اختاره الإنسان سلك طريق العبودية التي استقام عليها هذا الكون.

ت- وهو دين متناسق مع سنن الله في الوجود؛ لأنه دين ارتضاه مَنْ خلق هذا الكون: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

ث- وهو الدين الذي يتحرره الإنسان من العبودية لغير الله .
ففي كل مناهج البشر يتعبد الناس الناس، ويعبد الناس الناس، أما في دين الله فيخرج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

إن حكم الجاهلية ركام من أهواء البشر وعجزهم وقصورهم: سواء أكان الذي يشرع فردًا لجماعة أم طبقة لسائر الطبقات، أم جميع الطبقات وجميع القطاعات لأنفسهم^(١)؛ لأنه أهواء الناس الذين لا يتجردون من الأهواء أبدًا؛ ولأنه جهل الناس الذين لا يتجردون من الجهل أبدًا؛ ولذلك؛ فإن الحكم بغير ما أنزل الله شرٌّ وشقاء، وفساد وضنك لا ريب فيه.

ومن أصدق من الله قِيلًا: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[المائدة: ٥٠].

(١) كما في المنهج الديمقراطي الرأسمالي، وقد نقضت أصوله، وبينت عوارفه، وشرحت سوء آثاره وأخطاره في كتابي: «نقض الديمقراطية وتمهات الإسلاميين»؛ يسر الله نشره على خير وبركة.

الاستهزاء برسول الله وايذاء أنبيائه عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

لقد كان جواب بني إسرائيل لنبیهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أخبرهم بأمر الله أن يذبحوا بقرة غاية في السفاهة، ونهاية في سوء الأدب، واتهاماً لنبی الله الكليم الكريم: بأنه يسخر منهم! ويهزأ بهم! ويتلاعب فيهم: ﴿قَالُوا أَنْتَجِدُكَ نَاهُزُورًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لاقى صنوفاً من الأذى على يد بني إسرائيل؛ حتى أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ذكره في كتابه:

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكَوْنُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وأخبر عنه رسول الله ﷺ في سنته حيث قصَّ علينا رسول الله ﷺ أنموذجاً من هذا الأذى الذي ألحقه بنو إسرائيل ببني الله الكريم الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا سَتِيْرًا، لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ؛ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ (وفي طريق: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة؛ ينظر بعضهم إلى سواة بعض، وكان موسى يغتسل وحده)، فَأَذَاهُ مِنْ آذَاهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: [والله] مَا يَسْتَرُ هَذَا التَّسْتِرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ؛ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا آدِرَةٌ^(١)، وَإِمَّا آفَةٌ (وفي رواية: ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أَنَّهُ آدِرٌ)، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَبْرِئَهُ عَمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَّغَ؛ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ:

(١) هو انتفاخ في الخصيتين!!

ثوبى [يا] حجر! ثوبى [يا] حجر! حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل، فأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، (وفي رواية: حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى)، [فقالوا: والله ما بموسى من بأس]، وأبراه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه».

[قال أبو هريرة]: فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً (وفي طريق: ستة أو سبعة)، فذلك قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكَوْنُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (١٦) ﴿١﴾ [الأحزاب: ٦٩].

لقد عاش موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بني إسرائيل حالات إيذاء ما بعدها من إيذاء.. ألحقوا به الأذى وهم يعلمون أنه نبيُّ مرسل وكليم مقرب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِلِم تُوذُوْنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥) ﴿١﴾ [الصف: ٥].

إن بني إسرائيل هم بنو إسرائيل .. مجرد التعامل معهم عنت وأذى.. تستوي فيه الشؤون العقيدية والأمر الدينية .. فكل من عمل في أمر له صلة بهم أو تعتدى لشأن يخصهم لا بد أن يلحقه أذاهم، ويمتد إليه شرُّهم، ولو كان نبياً مرسلًا؛ وهذا ما أكده رسولنا الكريم ﷺ.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: لما كان يوم حنين؛ أثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة؛ فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب، وأثرهم -يومئذ- في القسمة، قال رجل [من الأنصار]: والله؛ إن هذه القسمة ما عدل فيها! وما أريد بها وجه الله!! قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨ و ٣٤٠٤ و ٤٧٩٩)، ومسلم (٣٣٩ و ١٨٤٢).

جميع الروايات والزيادات في الصحيحين أو أحدهما.

ﷺ قال: فأتيته [وهو في أصحابه]؛ فأخبرته: (وفي رواية: فساررته) بها قال^(١)، قال: فتغير (وفي رواية: فتمعر وجهه؛ حتى كان كالصّرف) (وفي رواية: فغضب من ذلك غضبًا شديدًا، واحمر وجهه) [حتى تمت أي لم أذكره له]، ثم قال: «فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟!» قال: ثم قال: «يرحم الله موسى؛ قد أودى بأكثر من هذا؛ فصبر».

قال: قلت: لا جرم، لا أرفع إليه بعدها حديثًا^(٢).

وما زالت أسفارهم المحرفة تنضح بالأذى لنبي الله الكليم الكريم: فقد زعموا: بأن الرب أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بسرقة أموال المصريين: «أن يتكلم في مسامع الشعب، وأن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها: أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين، وأيضًا الرجل موسى كان عظيمًا جدًا في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب»^(٣).

ثم نسبوا إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينئذ تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة ذهب وثيابًا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين»^(٤).

(١) فيه جواز نقل الأخبار للغير إذا كان ذلك بقصد النصيحة، وليس الإفساد، مع تحري الصدق واجتتاب الأذى، وقَلَّ من ينتبه إلى هذا. وأما من يخشى عدم الوقوف على ما يباح من ذلك مما لا يباح؛ فطريق السلامة له الإمساك عن ذلك؛ انظر: «الفتح» (١٠/٤٧٦).

وقد بَوَّب الإمام البخاري في «صحيحه» (١٠/٤٧٥) على هذا الحديث: «باب ما أخبر صاحبه بها يقال فيه».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٦٠٢) واللفظ له.

والروايات والزيادات من الصحيحين أو أحدهما.

(٣) «سفر الخروج» (١١/٢٣).

(٤) «سفر الخروج» (٣٢/١٠ - ١٢).

«وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى؛ طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهبًا، وثيابًا، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعروهم؛ فسلبوا المصريين»^(١).

إذا كانت هذه صورة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في عيون اليهود، وهو نبهم باعترافهم، والذي أخرجهم من الاستعباد والذل والقهر إلى الحرية والأمان والرخاء والسعادة.. فما بالك بغيره من الرسل والأنبياء!؟

إن رسل الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في نظر اليهود عصابة أشرار:

١- نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَعُدُّ اليهود شيخ الأنبياء نوح العبد الصبور الشكور -عليه الصلاة وأتم التسليم- أنه كان سَكِرًا: يشرب الخمر، ويتعَرَّى في خبائه؛ حتى يرى ولده الصغير عورته؛ فيخبر أخويه ساخرًا:

«وابتدا نوح يكون فلاحًا، وغرس كَرْمًا، وشرب منه الخمر، فسكر وتعَرَّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجًا، فأخذ سام وياث الرداء، ووضعاه ومشيا إلى وراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى وراء، فلم يبصروا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك إله سام، وليكن كنعان عبدًا لهم، ليفتح الله لياث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدًا لهم»^(٢).

هكذا يتحل اليهود القصص الكاذبة، وَيُزَوِّرون العقائد الباطلة، ويمتهنون الأنبياء لخدمة مخططاتهم السياسية.. لقد اخترعوا هذه القصة الباطلة سندًا ومنتًا؛ ليظهروا الكنعانيين -سكان فلسطين الأصليين- بأنهم سلالة أب ملعون على لسان أبيه، وأن

(١) «سفر الخروج» (١٢/ ٣٥ و ٣٦).

(٢) «سفر التكوين» (٩: ٢٠ - ٢٧).

أحفاده سيكونون عبيدًا لذرية إخوانه وخاصة الساميين الذين ينتسب إليهم اليهود . .
فخلاصة هذه القصة المزعومة: أن الكنعانيين يجب أن يكونوا عبيدًا لليهود، وَخَدَمًا لبني
إسرائيل!

ومما يدل على أن القصة مزورة ومفبركة لأجل هذا الغرض السياسي: أن الذي أبصر
عورة أبيه هو (حام)؛ كما في النص السابق.. فلماذا يلعن ابنه كنعان مع أن لحام أبناء آخرين
غير كنعان كما قال اليهود أنفسهم: «وبنوحام: كوش، ومصرايم، ونوط وكنعان».
فلماذا خَصَّ كنعان من بين إخوته باللعن؟

ما ذلك إلا الحاجة سياسية في نفوسهم؛ وهو: لعن الكنعانيين سكان فلسطين
الأصليين وأعدائهم التاريخيين بالافتراء على الله ورسله!
٢- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وأما جَدُّ الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ينتسبون إليه، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ أَبْنَاؤُهُ
وَأَحْبَاؤُهُ؛ فيزعمون: أنه كان ديوثًا - وحاشاه- يدفع زوجته سارة -وحاشاها- إلى
الفاحشة في سبيل الحصول على الهدايا والعطايا:

«وحدث جوع في الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر؛ ليغترب هناك؛ لأن الجوع في
الأرض كان شديدًا، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إني قد
علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فسيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته؛
فيقتلونني، ويستبقونك؛ قولي: إنك أختي؛ ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من
أجلك.

فحدث لما دخل إبرام مصر: أن المصريين رأوا المرأة حسنة جدًا، ورآها رؤساء
فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون؛ فصنع إلى إبرام خيرًا
بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته
ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبرام، فدعا فرعون إبرام وقال: ما الذي صنعت بي؟

لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت: إنها أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ ولأن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالاً؛ فشيوعه وامراته وكل ما كان له»^(١).

وهكذا ينسجون حكايات هلامية، ذات أهداف ظلامية، وغايات إجرامية: إبراهيم عليه السلام يستخدم النساء -وحاشاه- لتحقيق أهدافه، ويأذن لامراته بالبغاء للوصول إلى غاياته؛ ليسوغوا حرب اليهود على الإنسانية والأخلاق والقيم، القائمة على الدعارة وتجارة الرقيق الأبيض وبيع النساء، ففي بروتوكولات بني صهيون نجد حثاً كبيراً للنساء اليهوديات على نشر الرذيلة وترويج البغاء، وأن لها أن تتصرف في جسدها كما تشاء.. وما ذاك إلا لأنهم يعلمون أن سلاح الجنس يضمن سيطرته في كل الأزمان ومختلف الأمكنة، ولذلك يمكن الاعتماد عليه لكسب الجولة الأخيرة في وضع النهار وتحت الأضواء الكاشفة... فاليهود أشهر من استخدم هذا السلاح تاريخياً.. وأفضل من يوظفه حالياً... وها هو أحد قادتهم الماسون؛ يقول: «كأس وغانية يفعلون بالأمة المحمدية ما لا يفعله ألف مدفع ودبابة».

ولذلك؛ فإن المرأة اليهودية أغرقت العالم بالشهوات؛ حيث تعيش فساداً عريضاً، وانحلالاً واسعاً، وانحطاطاً هابطاً؛ بشهادة من نفسها على نفسها؛ ففي كتاب: «وجه المرأة» لياغيل دايان -ابنة موشي دايان- تتحدث عن الفتاة اليهودية؛ حيث أسهبت في وصف التجمعات اليهودية الداعرة، وشبهت المرأة اليهودية بالغانيات والجواري؛ قالت: «الفتاة الإسرائيلية تستطيع أن تعيش مع أربعة وأن تعاشر عشرين، ولا يجوز أن يتشاجر اثنان من أجلها... نحن نعيش اشتراكية كاملة مطلقة».

وها هي مدينة القدس: مدينة الطهر والسلام -بعد احتلالها- حيث أصبحت مسرحاً للدعارة، وماخوراً للبغاء؛ فقد غصت بيوت الفجور التي تدار بإشراف حكومة

(١) «سفر للتكوين» (١٢: ٢٠).

اليهود، وتتوسع على سمعهم وبصرهم؛ مما يؤكد أن حكومة اليهود وأجهزتها تعدُّ أكبر راع لممارسة البغاء وتصدير الدعارة إلى جميع أنحاء العالم.

فهذه المرأة اليهودية تتاجر بجسدها، وتبيع عفتها من أجل إسرائيل الكبرى، ولذلك يعدُّ استخدام المرأة كوسيلة إغراء من الأعمدة الأساسية للسياسة اليهودية؛ فقد أكدت المقررات الماسونية التي نشرتها جريدة «التايمز» اللندنية عام (١٩٢٠م) على الدور المهم للمرأة اليهودية في إفسادهم للإنسانية، ففي المقرر التاسع: «..... ليس من بأس بأن تضحي الفتيات في سبيل الوطن القومي، وأن تكون هذه التضحية قاسية ومستنكرة؛ لأنها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل إلى أحسن النتائج، وماذا عسى أن نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن وينقاد لهن».

وفي كتاب: «المرأة في إسرائيل بين السياسة والدين» للكاتبة باسمه محمد حامد براهين واضحة: أن الموساد يرى أن أجساد النساء أفضل وسيلة للإيقاع بالزعماء الخونة، وإسقاط العملاء من خلال حرب العاهرات^(١).

وفي إحدى الوثائق الصهيونية السرية التي كتبتها (صلامون إسرائيل) وهو يهودي أظهر إسلامه عام (١٩٠٦م) نفاقاً؛ يقول: «أيها الإسرائيليون... أيها الصهاينة: لا تحجبوا

(١) بينما كنت في المراجعة النهائية لهذا الكتاب؛ فجرت (تسيبي ليفني) -رئيسة وزراء دولة اليهود ووزيرة خارجيتها الأسبق- موضوعاً خطيراً؛ باعترافها لجريدة «التايمز»: أنها أثناء عملها في جهاز الموساد قامت بعمليات خاصة أبرزها إسقاط شخصيات مهمة في علاقة جنسية بهدف ابتزازهم سياسياً ولصلحة الموساد.

وذكرت أنها مارست الجنس مع شخصيات من كبار القادة الفلسطينيين!!
جاء اعتراف (ليفني) بعد ما أباح أشهر حاخام يهودي (آري شفات) للنساء اليهوديات ممارسة الجنس مع الأعداء؛ لخدمة الكيان اليهودي، وقال: «الديانة تسمح بممارسة الجنس مع الإرهابيين من أجل الحصول على معلومات»!!

وللمزيد: ينظر مقال «حاخام إسرائيلي يبيح الجنس مع العدو مقابل جمع معلومات»؛ نشر بتاريخ (٤/١٠/٢٠١٠م) على موقع BBC العربية.

بناتكم وأخواتكم وزوجاتكم عن ضباط أعدائنا غير اليهود؛ لأن كل واحدة منهن تستطيع أن تهزم جيوشنا جراحة بفضل جمال أنوثتها، ومكرها الفريد، أدخلوا بناتكم ونساءكم قصور وبيوت زعماء رؤساء أعدائكم، ونظموا شبكات جاسوسيتنا في جميع أجهزة الدول، ولا تنسوا أيها الإخوان: أن إفساد أخلاق وعقائد الأمة هو مفتاح فريد سيفتح لنا نحن الصهاينة جميع مؤسسات الأمم، شجعوا الإباحية والانحلال وجميع الفواحش بين الشباب، وأفسدوا إيمانهم وأخلاقهم؛ لكي لا تبقى عندهم ذرة من القيم الروحية.

وهذه العملية ستجعل العرب في درجة الهمجيين، بل سيضيِّعون جميع شيمهم وشهامتهم، وبعد هذا سنفرق شملهم نهائياً^(١).

إنَّ حرب اليهود ضد العرب والمسلمين بالجنس اتخذت أبعاداً عديدة، وتشكلت في صور جديدة: لا يتصورها عقل، ولا يصدقها بشر؛ حيث تمتزج غريزة الجنس بعقدة القتل، فقد تحولت المنطقة إلى بغاء يُرَوَّج له قوَّاد محترف، ويديره عرَّاب عتيد: يربي وحش الجنس الهمجي في صدور الشعوب التي ضاعت على موائد الخونة والعملاء، ويغذيه بآلته الإعلامية حيث أعلن بعض مروجي تجارة الجنس في الدولة اليهودية: أنه يكسب من العرب مليارات الدولارات سنوياً من خلال تصدير المطبوعات العارية، أو شرائط وأفلام جنسية، أو منشطات، أو فتيات يذهبن إلى كل مكان في العالم العربي من المحيط إلى الخليج، حسب الطلب بالمواصفات العالمية المطلوبة.

وآخر ما أدخله هذا العرَّاب اليهودي الخبيث؛ هو: مكالمات الجنس الحي عبر الفضائيات (!)

٣ - لوط عَلَيْهِ السَّلَام:

(١) انظر مقالاً في مجلة «الجزيرة» (العدد ١٧١) بعنوان: «المرأة الإسرائيلية سلاح فعال ضد

وأما لوط عليه السَّلَام؛ فينسبون إليه أنه ارتكب جريمة الزنا مع بناته؛ فشرب الخمر حتى فقد وعيه، وزنى بابنته الكبرى التي أنجبت ولدًا اسمه: (مؤاب)، والصغرى التي أنجبت ولدًا اسمه: (بن عمون).

«وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل، وابنتاه معه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرًا، ونضطجع معه، فنحیی من أبینا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة—أيضًا—، فادخلي فاضطجعي معه، فنحیی من أبینا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة—أيضًا—، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فجلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً، ودعت اسمه: (مؤاب)؛ وهو: أب المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة—أيضًا— ولدت ابناً، ودعت اسمه: (بن عمون)؛ وهو: أبو بني عمون إلى اليوم»^(١).

وسبب افتراء هذه القصة:

- ١- الطعن في أعدائهم المؤابيين والعمونيين بأنهم أولاد زنا، وهذا ديدن يهود مع مخالفهم، كما سيأتي في كلام الإمام ابن قيم الجوزية^(٢).
- ٢- الترويج لزنا المحارم؛ فقد امتلأت كتبهم المحرفة بذلك، ومن ذلك:
 - قصة اغتصاب أمنون بن داود أخته ثامار بنت داود^(٣).
 - قصة اقراراف يهوذا الزنا بزوجه ابنة ثامار^(٤).

(١) «سفر التكوين» (١٩: ٣٠-٣٨).

(٢) انظر (ص ١١٠).

(٣) «صموئيل الثاني» (١١: ١٣-١٤).

(٤) «التكوين» (١٥: ٣٨-١٨).

- قصة راووين مع زوجة أبيه^(١).

- بل زعموا: أن بشالوم بن داود زنى بزوجات أبيه بناء على أوامر الرب^(٢).

٣- الغاية تسوُّغ الوسيلة؛ حيث زعم بعض أحبار اليهود: أن الهدف من وراء هذا الفعل لدى بنات لوط كان سليماً؛ وهو: إنقاذ الجنس البشري من الاندثار، وليس الهدف ممارسة الفاحشة.

وكان هذا اليهودي الخبيث يقول لبنات اليهود: ما دام الهدف سامياً والمقصد عالياً؛ وهو: قيام إسرائيل الكبرى؛ فإن جميع الوسائل متاحة وشريفة، ولو كانت مضاجعة أب أو أخ أو عم؛ لأنكن تنقذن إسرائيل الكبرى من الزوال والاندثار.

٤- داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نسبوا إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنه رأى امرأة جميلة؛ فوقع في غرامها، وضاجعها؛ فحملت منه، ثم غدر بزوجها، فدبر قتله والتخلص منه، حتى يضمها إلى زوجاته:

«وأما داود: فأقام في أورشليم وقد أرسل جيشه بقيادة مؤاب ومعه الشعب الإسرائيلي للجهاد في سبيل الله، ومقاتلة أعدائهم بني عمون، وكان في المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود رسلاً، وأخذها، فدخلت عليه، واضطجع معها، وهي مطهرة من طمئتها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود؛ قالت: إني حبلى، فأرسل داود إلى مؤاب، فقال: أرسل إلى أوريا الحثي، فأرسل مؤاب أوريا إلى داود، فأتمى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة مؤاب وسلامة الشعب، ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك، واغسل رجلك، وخرج أوريا من بيت الملك، وخرج وراءه حصاة من عند الملك، وقام أوريا على باب بيت الملك مع جميع

(١) «التكوين» (٢٢: ٣٥)، وانظر: «صموئيل الثاني»، (٢١: ١٦-٢٢).

(٢) «صموئيل الثاني» (١٦: ٢٢).

عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لا تنزل إلى بيتك؟ قال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ساكنون في الخيام، وسيدي مؤاب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب! لا أفعل هذا الأمر.

وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى مؤاب، وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديد، وارجعوا من ورائه، فيضرب ويموت، ففعل ذلك مؤاب ومات أوريا الحثي، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجُلها، نذبت بعلها، ولما وضعت المناحة، أرسل داود وضمها إلى بيته، وعزى داود بتثبيح امرأته، ودخل إليها، واضطجع معها؛ فولدت ابنًا فدعا اسمه سليمان، والربُّ أحبه^(١)، وأما الذي فعله داود؛ فقيبح في عين الرب^(٢).

٥ - سليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

أما سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في نظر يهود؛ فهو ابن زنا، ثم رجل عبد لشهوته، ثم شيخ يجري وراء ملذاته: يجمع في قصره آلاف النساء الأجنبية، حتى ملأن قلبه عشقًا، وأهينه عن الله؛ فاتجه إلى غيره، وبنى لكل واحدة منهن مذبحًا للأوثان على التلال.

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: مؤايبات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلوا إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء أهلتهم، فالنصق سليمان هؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري، فأملت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان: أن نساء أملن قلبه وراء أهله أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشروت

(١) «صموئيل الثاني» (١١: ٢٤).

(٢) المرجع نفسه (١١: ٢٧).

إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تمامًا كما داود أبيه حينئذ بني سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نساء الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لألهتهن، فغضب الرب على سليمان؛ لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر: أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب»^(١).

بل لقد نسب العهد القديم إلى نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ شعراً ماجئاً، وكلاماً داعراً، وإليك أنموذجاً مما نُسِبَ إلى هذا النبي الكريم، وهو يتغزل بعشيقته:

«ما أجمل رجلتك بالنعلين يا بنت الكريم! دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يَدَيَّ صنّاع، سرتك كأس مدورة، لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك صرة حنطة مسيجة بالسوسن، ثدياك كخشفتين توأمي ظبية، عنقك كبرج من عاج، عيناك كالبرك في حشبون عند باب بث ربيم، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق، رأسك عليك مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان، ملك قد أسر بالخصل، ما أجملك! وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات! قامتك شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد، وحنكك كأجود الخمر»^(٢).

وهكذا ينقض يهود غزلهم أنكاثاً، ويخربون بيوتهم بأيديهم:

فإذا كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في نظرهم:

ابن زنا كما في قصة أبيه داود مع زوجة قائده أوريا الحثي!

(١) «سفر الملوك الأول» (١١ - ١: ١٠).

(٢) «سفر نشيد الإنشاد» (٧ - ١ - ٩).

وينظر ما كتبه أنور السعدون في رسالته: «نشيد الإنشاد سفر الإباحة والإفساد»؛ حيث بين ما في هذا السفر من إفساد وإباحية ونشر للرذيلة باسم الرب.

ومن المقطوع به: أن صنّاع الأفلام الإباحية الداعرة اعتمدوا كثيراً على هذا السفر الإباحي مما هو في ثنايا كتب اليهود المحرمة؛ كزنا المحارم ومضاجعة البهائم وغيرها.

وشيوخ ماجن يجري وراء شهواته، وتتلاعب به النساء!
وترك عبادة الله وصبا إلى عبادة الأوثان التي أقام لها المعابد على كل تلّ.
إذا كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كما يصفون -وحاشاه- فأئى هيكلك له يريدون بناءه؟!
إذا سيكون هيكلكم المزعوم معبداً للأوثان، وماخوراً للدعارة، وساحة للشيطان
.. فاعتبروا يا أولي الأبصار!!

ولذلك؛ فإن الله لن يصلح عمل المفسدين^(١)!

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ «ومن تلاعب الشيطان بالأمة البغيضة اليهود:
أنهم يقولون بالقدح في الأنبياء وأذيتهم، وقد آذوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياته، ونسبوه إلى
ما برأه الله جَلَّ جَلَالُهُ منه، ونهى الله جَلَّ جَلَالُهُ هذه الأمة عن الاقتداء بهم في ذلك حيث
يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِهاً
﴿٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِلِمَ تُؤذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي
رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٥﴾ [الصف:
[٥].

وتأمل قوله: ﴿وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾؛ فإنها جملة في موضع
الحال؛ أي: أتؤذونني وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم؟ وذلك أبلغ في العناد.

وكذلك المسيح؛ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ
﴿٦٦﴾ [الصف: ٦].

فهذا قليل من كثير من أذاهم لأنبيائهم، وأما أذاهم لهم بالقتل والبغي؛ فأشهر من أن يذكر، ولقد بالغوا في أذى النبي ﷺ بجهدهم بالقول والفعل، حتى ردّهم الله جَلَّ جَلَالُهُ خاسئين.

ومن قدحهم في الأنبياء: ما نسبوه إلى نص التوراة: أنه لما أهلك الله أمة لوط -لفسادها-، ونجّى لوطاً بابتتيه فقط؛ ظنّت ابتناه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلاً، فقالت الصغرى للكبرى: إن أبانا شيخ، ولم يبق في الأرض إنسان يأتينا كسبيل البشر، فهل مي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه؛ لنستبقي من أبنائنا نسلاً! ففعلتا ذلك بزعمهم. فنسبوا لوطاً النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أنه سكر؛ حتى لم يعرف ابنتيه، ثم وطئها وأحبلها وهو لا يعرفها، فولدت إحداهما ولدًا أسمته: (مؤاب) -يعني: أنه من الأب -، والثانية سمت ولدها (ابن عمي) -يعني: أنه من قبيلها -.

وقد أجاب بعضهم عن هذا بأنه كان قبل نزول التوراة، فلم يكن نكاح الأقارب حراماً! والتوراة تكذيبهم؛ فإن فيها: إن إبراهيم الخليل خاف في ذلك العصر أن يقتله المصريون؛ حسداً له على زوجته سارة، فأخفى نكاحها، وقال: هي أختي، علماً منه بأنه إذا قال ذلك لم يبق للظنون إليهما سبيل.

وهذا أظهر دليل على أن تحريم نكاح الأخت كان ثابتاً في ذلك الزمان، فما ظنك بنكاح البنت الذي لم يشرع؛ ولا في زمن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ومن العجب: أنهم يجعلون المسلمين أولاد زنا، ويسمونهم: (ممازير)، واحدهم (ممزير) - وهو اسم لولد الزنا -؛ لأن شرعهم: أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت زوجاً غيره؛ فأولادهما أولاد زنا!.

وزعموا: أن ما جاءت به شريعة الإسلام من ذلك؛ هو: من موضوعات عبد الله بن سلام، قصد به أن يجعل أولاد المسلمين (ممازير) بزعمهم!

قالوا: وكان محمد ﷺ قد رأى أحلامًا تدل على أنه صاحب دولة، فسافر إلى الشام في تجارة الخديجة، واجتمع بأحبار اليهود، وقصَّ عليهم أحلامه، فعلموا أنه صاحب دولة، فأصبحوه عبد الله بن سلام، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة، ونسبوا الفصاحة والإعجاز الذي في القرآن إلى عبد الله بن سلام، وأن من جملة ما دبرَّ عبد الله بن سلام: أن الزوجة لا تحل للمطلق ثلاثًا، إلا بعد أن ينكحها رجل آخر؛ ليجعل المسلمين (عمازير) - أولادنا -!

ولا ريب أن مثل هذا البهت يروج على كثير من حيرهم، وقد خلق الله جَلَّ جَلَالُهُ لكل باطل وبهت حملة، كما جعل للحق حملة، وليس وراء هذا البهت بهت.

وليس بمستنكر من أمة قدحت في معبودها وإلهها، ونسبته إلى ما لا يليق بعظمته وجلاله، ونسبت أنبياءه إلى ما لا يليق بهم، ورمتهم بالعظائم: أن ينسبوا محمدًا - ﷺ - وَبُجِّلَ وَكُرِّمَ وَعُظِّمَ - إلى ذلك.

وعداوته لهم، وملاحمه فيهم، وإجلاؤه لهم من ديارهم وأموالهم، وسي ذراريمهم ونسائهم؛ معلوم غير مجهول .

وقد نسبت هذه الأمة الغضبية عيسى ابن مريم إلى أنه ساحر، ولد بغية، ونسبت أمه إلى الفجور!

ونسبوا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أن كان ملكًا ساحرًا، وكان أبوه عندهم ملكًا مسيحًا! ونسبوا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أنه حلَّ تكة سراويله وتكة سراويل سيدته، وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته، وأن الحائط انشق له، فرأى أباه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عاصبًا على أنامله، فلم يقم حتى نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقال: يا يوسف! تكون من الزناة، وأنت معدود عند الله جَلَّ جَلَالُهُ من الأنبياء؟! فقام حيثنذ.

ومعلوم أن ترك الفاحشة عن هذا لا مدح فيه؛ فإن أفسق الناس لو رأى هذا؛ لولَّى هاربًا، وترك الفاحشة.

وعند هذه الأمة الغضبية - أيضًا - : أن الله جَلَّ جَلَالُهُ كان قد أطلع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفًا، وبه شق البحر، وعمل المعجزات! فيقال لهم؛ فإذا كان موسى قد عمل المعجزات باسم الله؛ فلم صدقتم نبوته، وأقررتم بها وجحدتم نبوة عيسى، وقد عمل المعجزات بالاسم الأعظم؟! فأجاب بعضهم عن الإلزام: بأن الله جَلَّ جَلَالُهُ عَلَّمَ موسى ذلك الاسم، فعلمه بالوحي، وعيسى إنما تعلم من حيطان بيت المقدس!

وهذا هو اللائق ببهتهم وكذبهم على الله جَلَّ جَلَالُهُ وأنبياهم، وهو يَسُدُّ عليهم العلم بنبوة موسى؛ لأن كلا الرسولين اشترك في المعجزات والآيات الظاهرة، التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها، فإن كان أحدهما قد تعلمها بحيلة - أو بعلم -؛ فالآخر يمكن ذلك في حقه، وقد أخبرا جميعًا أن الله جَلَّ جَلَالُهُ هو الذي أجرى ذلك على أيديهما، وأنه ليس من صنعهما، فتكذيب أحدهما وتصديق الآخر؛ تفريق بين المتماثلين.

وأيضًا: فإنه لا دليل لهم على أن موسى تلقى تلك المعجزات عن الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ إلا وهو يدل على أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تلقاها - أيضًا - عن الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ فإن أمكن القدح في معجزات عيسى أمكن القدح في معجزات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وإن كان ذلك باطلاً؛ فهذا - أيضًا - باطل.

وإذا كان هذا شأن معجزات هذين الرسولين - مع بعد العهد، وتشتت شمل أمتيهما في الأرض، وانقطاع معجزاتهما -؛ فما الظن بنبوة من معجزاته وآياته تزيد على الألف؟ والعهد بها قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرناً بعد قرن، وأعظمها معجزة: كتاب باق، غرض طري لم يتغير ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن؛ وهو: القرآن العظيم، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به؛ كأنه كان يشاهده عياناً؟! (١)

(١) «إغاثة اللهفان» (٢ / ٣٤١ - ٣٤٧) بتصرف.

إن أنبياء الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بريثون مما نسبته إليهم هذه الأمة التي غضب الله عليها ولعنها، ولسنا بحاجة إلى إثبات ذلك؛ فهو أمر من لباب مسائل الاعتقاد في الإسلام؛ فمن نسب شيئاً من ذلك أو أدنى منه إلى أحد من أنبياء الله؛ فهو مشرك بالله حلال الدم.

لكننا ذكرنا شيئاً من ذلك؛ لننبه من أصيب بعمى الألوان، وأصبح بوقاً للإعلام الصهيوني، ويجري وراء السراب اليهودي؛ فتنكر لدينه، وانسلخ من أمته، وصار سوطاً مسلطاً على شعبه قمعاً وترويعاً.. لنقول لأمثال هؤلاء:

إذا كانت نظرة اليهود لرسول الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما سمعتم!

وصورة أنبياء الله عند الصهاينة ما رأيتم!!

فهل تعتقدون: أن لكم عندهم أدنى منزلة أو قيمة أو أنهم سيحولون بينكم وبين

أمر الله إذا جاء؟!!

فاعتبروا يا أولى الأبصار.

سياسة الخداع ودبلوماسية الإقناع عند بني إسرائيل - القضية الفلسطينية أنموذجاً -

تكشف قصة بقرة بني إسرائيل عن النفسية اليهودية المريضة المجبولة على المكر والخداع، والهروب من كلِّ المسؤوليات الملقاة عليهم، والواجبات المطلوبة منهم؛ بأسلوب التفاوض الذي يتمحور على سياسة الخداع، ويتمركز على دبلوماسية الإقناع. هذا الفن الذي ابتدعه حيث يتضح بجلاء: أن هذه الاستراتيجية اليهودية ضاربة في عمق الزمن، ومتجذرة في نفوس الجيل الأول من اليهود حتى يقاتل آخر هذه الأمة الإسلامية المسيح الدجال وأتباعه من اليهود.

وحتى نفهم النفسية اليهودية عند التفاوض، وندرك طرائقهم التي يسلكونها عند ممارسة هذا الخداع؛ لا بدُّ من الوقوف على ممارساتهم مع:

أولاً: الطرف الآخر:

١ - محاولة إقناع الطرف الذي يفاوضونه: أنه ليس له حقُّ في طرحه، وليس عنده برهان على قوله.

وهذا إجراء واضح في رميهم نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بفضول القول، ولغو الكلام؛ حيث زعموا: أن نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ يتهوَّس كتهوَّسهم، ويلعب كلعبهم: ﴿قَالُوا أَنْتَجِدُكَ هَازِلًا﴾؛ أي: ليس لك مرجعية في عرض فتواك، ولا برهان على دعواك؛ فأنت تهزأ بنا، وتسخر منا، وتضحك علينا، وتلاعب بنا؛ لأن هذه صفة المستهزئ، وسمة العابث، وخطة الضحك اللعوب!!

وهذا الإجراء المراد منه:

- تشكيك الطرف الآخر في نفسه.

- وفي قضيته.

- وفي حجته.

ومن ثمَّ جعله قَلَقًا:

- ليفقد توازنه.

- ويجسر المعركة من الجولة الأولى.

٢- عدم الاعتراف بالمشترك بينهم وبين الطرف الآخر:

وهذا موقف واضح في قولهم لنبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ...﴾ فكأنهم لا يعترفون بالله ربًّا لهم ولموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بل هو رب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهذه بداية التملُّص بأسلوب اللَّفِّ والدوران في حلقة مفرغة لا توصل إلى نهاية؛ لأنه ليس لها بداية، ولا تحقق غاية؛ لأنه ليس لها مرجعية ولا راية!!

وهذا الموقف يراد به:

- التخلُّص من أدنى استحقاق عليهم.

- والتملُّص من أقلِّ واجب يلزمهم.

ودليل ذلك بوضوح: موقفهم مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما طلب منهم دخول الأرض المقدسة: ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] (١).

(١) ومما يستنبط من هذه الآية، وله علاقة وثيقة بقضية فلسطين المسلمة: أن اليهود لا يمكن أن يسكنوا بلدًا شعبه متجنذر فيه، راسخ على روايه، ولذلك؛ فهم حريصون على تفرغ فلسطين المسلمة من أهلها، وتهجير سكانها؛ بكل أنواع الترهيب والترغيب.

واليهود في فلسطين السليبية لا يخفون قلقهم من النمو السكاني لمسلمي فلسطين؛ فإن فرائضهم ترتعد من (القنبلة السكانية للعرب المسلمين) . . وهذا واضح في مطالبتهم بـ(يهودية الدولة)؛ أي: إخلاء فلسطين المسلمة من سكانها العرب المسلمين.

٣- إغراق الطرف الآخر في متاهة المفاوضات، وإشغاله بتفاصيل الجزئيات:

وهذه الخطة الماكرة لا تخفى على المتأمل في مقاصد قصة بقرة بني إسرائيل، الناظر في فقهها.

فبنو إسرائيل سألوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فالمنتظر منهم: أن يتلقوا أمره بالتطبيق؛ لكنهم دخلوا في مفاوضات، ثم أكثروا من التركيز على تفاصيل الجزئيات، والتعلق بالشكليات.

ثانياً: القضية:

١- التركيز على المظهر دون الجوهر:

المتأمل في جواب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أسئلة قومه: أنها دائماً تبدأ ب ﴿إِنَّمَا بَقْرَةٌ﴾؛ لأن هذا هو جوهر القضية؛ فالله جَلَّ جَلَالُهُ أمرهم بذبح بقرة؛ لتضح القضية؛ من جميع جوانبها، وتظهر كل أبعادها، لكن قومه كلما رأوا أنهم اقتربوا من جوهر القضية فرّوا كأنهم حُرْمٌ مستنفرة إلى مواضيع لا صلة لها بالجوهر؛ وهي -على أحسن أحوالها-: مظهريات لا تقدم ولا تؤخر، وشكليات لا تضر ولا تنفع.

٢- تركيزهم على جوانب غير رئيسة، وابتعادهم عن القضية الأساس.

ركز بنو إسرائيل على قضية القتل وكأنها القضية المركزية في القصة، وإنما قطب الرحى في هذه القصة، ومربط الفرس بها؛ هو: البقرة وصاحبها الذي كان يملكها، وذلك لعدة أمور؛ منها:

١- ليظهر لنا كمال القدرة الإلهية، ومطلق المشيئة الربانية؛ فلا يكون إلا ما أراد الله

جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

= ولذلك؛ فإن تثبيت مسلمي فلسطين المغتصبة في ديارهم وعلى أرضهم، -خاصة في القدس الشريف- من أخطر ما يقلق اليهود، وأعظم ما يساعد على خروجهم صاغرين -إن شاء الله - من فلسطين المسلمة.

ب- أن جميع الأحداث تصنع؛ لتكون في نهايتها خادمة للقضية الدينية؛ حيث أن أهل الفساد والعناد والمكر والاستكبار لا يحققون شيئاً من ذلك، وإنما تكون نتيجة ذلك خيراً عظيماً لأولياء الله المتقين.

وهذا ظاهر في قصة البقرة حيث احتاج بنو إسرائيل في النهاية لصاحب البقرة؛ وهو: الغلام البار؛ فأعطوه حتى أرضوه، وهم كارهون.

وهذه مسألة نبه عليها الله جلّ جلاله في مواضع كثيرة من كتابه العزيز؛ منها:

أ- أن هذا الدين سينتشر ويزدهر ويتنصر رغم أنوف الكفار: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْمَقْدُونِ وَدِينِ لَعَلَّ يُبْظَهَرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٨ و ٩].

ب- أن الله سيتولى إبطال كيدهم وإفساد مكرهم: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رَبُّنَا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

هذه خلاصة مركزة لسياسة الخداع ودبلوماسية الإقناع عند اليهود من بدايتهم إلى يومنا هذا.

ومن نظر في المفاوضات التي تجري بينهم وبين الفلسطينيين يجدها لا تتعدى ما ذكرنا قيد أنملة؛ فهم:

١- يتقنون فن التسويق والمحاولة، ويمتهنون أسلوب الاعتراض والمغالطة؛ حتى يجعلوا خصمهم يصاب باليأس، ويشعر بدوار الرأس، فتجتاحه السامة، ويدمدم في كيانه الضجر والندامة؛ ليقول: أين المفر؟!

٢- حرصهم على إبقاء القضية في غموض وضبابية:

وهذا واضح في قضية الدولة الفلسطينية القابلة للحياة؛ فهم لا يعترفون بحدود واضحة . . ولا بسيطرة كاملة . . ولا بصلاحيات تامة . . فهي قضية في غموض . .

تزداد كل يوم إبهامًا فوق إبهام . . وخريطة الطريق إليها يملؤها الضباب . . ولذلك؛ فالرؤية معدومة!

٣- قدرتهم على خلق الأزمات أثناء المفاوضات؛ لإبقاء القضية تراوح مكانها:

ولذلك اخترعوا قضية الاستيطان؛ فصارت هي الأزمة التي طغت على القضية الأساس!

قال (إسحاق شامير) -رئيس وزراء اليهود الأسبق- عشية مؤتمر مدريد (١٩٩٠م): «إنه يستطيع التفاوض مع الفلسطينيين لمدة (٦٠) سنة دونما نتيجة».

وأطلق (نتياهو) -رئيس وزراء اليهود الحالي- شعارًا في حملته الانتخابية: «إذا أعطوا أخذوا، وإن لم يعطوا لن يأخذوا»^(١).

وها هو اليوم يتبجح بعبقريته، ويتمجّع بمهارته؛ وهو: يطرح الشروط التعجيزية على الفلسطينيين بوجوب الاعتراف بيهودية الدولة؛ ليتخلص من جميع الاستحقاقات التي لزمته، ويتملص من جميع الواجبات عليه، ويصنفي الوجود العربي الإسلامي في فلسطين المحتلة.

وهذا ما يؤكده (إيهود باراك) -رئيس دفاع دولة اليهود الأسبق- بقوله: «إن دولة إسرائيل لن تكون فقط بين نهر الأردن والبحر المتوسط»^(٢).

وهذا ما قرّره العزيز الحميد منذ زمن مديد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكُّونَ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتْيَانًا ﴿٤١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَجَبِ وَأَلْطَغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ

(١) لقد كشفت الوثائق السرية للمفاوضات التي نشرتها (الجزيرة) و (ويكيليكس): أن اليهود أخذوا كل شيء، ولم يعطوا الفلسطينيين أي شيء!!
(٢) انظر كتابي: «أفيقوا يا أهل الأردن! . . بلادكم أرض الحشد والرباط».

كَفَرُوا هَتُّوْا اَهْدَىٰ مِنَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا سَبِيْلًا ﴿٥١﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللّٰهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيْرًا ﴿٥٢﴾ اَمْ هُمْ نَصِيْبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَاِذَا لَا يُؤْتُوْنَ النَّاسَ نَصِيْرًا ﴿٥٣﴾ [النساء: ٤٩-٥٣].

وهكذا انهارت المفاوضات، وفشلت عملية السلام؛ باعتراف صائب عريقات كبير المفاوضات الفلسطينيين لـ (وكالات الانبياء العالمية)؛ حيث صرح في (٣٠/١٠/٢٠١١)؛ قائلاً: «إن الحكومة الإسرائيلية باستمرارها ببناء الاستيطان، ورفض مبدأ الدولتين على حدود (١٩٦٧م)؛ تتحمل مسؤولية انهيار عملية السلام؛ لأنها حكومة اختارت المستوطنات لا المفاوضات».

فلو أدرك المسلمون عامة والفلسطينيون خاصة هذه الاستراتيجية اليهودية؛ كما فصلها القرآن الكريم؛ لأراحوا أنفسهم، واستراحت شعوبهم، وعرفوا -جميعاً- خارطة الطريق الإسلامي إلى تحرير فلسطين، وإنقاذ الأقصى الحزين... وذلك قادم -إن شاء الله- لا محالة... ولتعلمن نبأه بعد حين! (١).

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَاِذَا جَاءَ وَعَدُ الْاٰخِرَةُ لِيَسْتَوْفُوْا وُجُوْهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوْا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوْهُ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَّلِيَسْتَبْرُوْا مَا عَلَوْا نَبِيْرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٧].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقَلْنَا مِنْۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيۤ اِسْرٰٓءِيْلَ اَسْكُنُوْا الْاَرْضَ فَاِذَا جَاءَ وَعَدُ الْاٰخِرَةُ جِئْنَا بِكُمْ لَغِيْفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠٤].

(١) انظر كتابي: «بذل المجهود في مرويات قتال اليهود».

أمر الله تثبیت لا تشتیت

لَمَّا سَأَلَ بنو إسرائيل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الفِصْلَ فِي أَمْرِ القَتِيلِ؛ قَالَ لَهُمْ نَبِيهِمْ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾؛ فَنسب الأمر إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ يريد بذلك عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَهُمْ؛ فَلَا تَتَشَتَّتْ آرَائُهُمْ؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ الأَمْرِ إِلَى اللَّهِ فِيهِ قَدَاسَةٌ عَظِيمَةٌ تَلْقَى فِي العُقُولِ إِجْلَالًا، وَفِي القُلُوبِ مَهَابَةً، وَتَرْتَبِطُ عَلَيْهَا، وَتَثْبِتُ بِهَا الأَقْدَامَ.

وتأمل هذه المواقف الجليلة في حياة الصحابة رضي الله عنهم تجد صدق ما أنبأتك به:

١- لما تخلف كعب بن مالك وصاحبه رضي الله عنه في غزوة تبوك، ثم تاب الله عليهم؛ ليتوبوا، وأنزل فيهم قرآناً؛ قال كعب رضي الله عنه: «... فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، فنزعت له ثوبياً؛ فكسوتها إياه؛ ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين، فلبستهما، فانطلقت أتأمم^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهتفون بالتوبة، ويقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس؛ فقام طلحة بن عبيدالله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال -وهو يبرق وجهه من السرور-؛ ويقول: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: فقلت: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فقال: «لا بل من عند الله»^(٢).

(١) أقصد.

(٢) جزء من حديث المخلفين: أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

وانظر للاستزادة -تكرماً- كتابي: «إتحاف السالك بفوائد حديث المخلفين من رواية كعب بن مالك رضي الله عنه».

فها أنت ترى أن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما علم أن توبته من عند الله مباشرة سكن فؤاده، وقوي على الله اعتماده واستناده، وتحرك حادي الإيمان حتى أراد أن يخرج من جميع ماله! فقال: «يا رسول الله؛ إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة . .».

٢- وهذه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما ابتليت بحادثة الإفك، ثم أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات؛ جاء رسول الله ﷺ يبشرها: وهو يضحك؛ فكانت أول كلمة تكلم بها ﷺ أن قال: «يا عائشة، أما الله؛ فقد برك»، قالت لي أُمِّي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه؛ فإني لا أحمد إلا الله جلَّ جلاله، هو الذي أنزل براءتي^(١).

والعبد إذا استيقن أن الأمر من عند الله ازداد ثباتاً، وعلم أن الله لن يُضيِّعه؛ كما حصل لأمنا هاجر أم إسماعيل عليها السلام: « . . ثم قفى إبراهيم منطلقاً إلى أهله، فتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء؛ نادته من ورائه، فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لن يضيِّعنا، ثم رجعت»^(٢). وهكذا؛ فإننا نجد أن أم إسماعيل عليها السلام لما علمت: أن الأمر من عند الله؛ زادها ذلك تثبيتاً، وصرف عنها تشتيت الفكر الذي شغلها من قبل.

وكذلك؛ فإن العبد إذا استيقن أن الأمر من عند الله تحركت حقائق الإيمان في نفسه، وتفاعلت؛ فازداد يقيناً، وهذا ما يؤكد هذا الموقف الإيماني بين مريم بنت عمران وزكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْرَيْمُ أَنْ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُ مَنْ يَشَاءُ

(١) جزء من حديث الإفك: أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

وانظر - تفضلاً - كتاب: «حديث الإفك» للإمام عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، بتحقيقي، ط دار غراس للنشر والتوزيع.

(٢) جزء من حديث طويل: أخرجه البخاري (٣٣٦٤ و ٣٣٦٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ. قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿﴾ [آل عمران: ٣٧ و ٣٨].

مريم بنت عمران عليها السلام منقطعة في المحراب لعبادة ربهها، وزكريا عليه السلام كفيها لا يفتأ يدخل عليها يتفقد أحوالها؛ فيجد عندها رزقاً متجدداً؛ فيسألها -وَحَقُّ لَه أَنْ يَسْأَلَهَا-؛ ليطمئن على سلوكها، ويعرف مصدر ما يأتيها؛ فيقول: من أين لك هذا يا مريم؛ وأنت لم تبرحي مكانك، ولم يدخله أحد سواي؟! فتجيبه ببراءة المؤمنين المتقين: هو من عند الله! ثم تذكر دليلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

عندما استيقن زكريا عليه السلام صدق كلامها، وثبات جنانها، وعلم -وهو يعلم- أن الأمر كله من عند الله؛ فعندئذ تجيش نفس زكريا عليه السلام وهو يرى الفيض الإلهي يفيض على مريم عليها السلام وهي الفتاة التي لا حول لها ولا قوة، ويتحرك في أعماقه الشوق إلى الذرية، ويطمع أن يفيض عليه ربه من نعمائه؛ كما أفاض على هذه الفتاة التي يرهاها بتكليف من الله جَلَّ جَلَالُهُ... فهي وإن كانت في رعايته، وتحت كنفه بأمر من الله؛ فإن الله لم يكلها إليه، ولا إلى غيره، بل تولاها برزق يأتيها رغداً بغير حساب... هنالك دعا زكريا عليه السلام ربه، وتوجه إلى مولاه بالدعاء، وهو على يقين: أنه لن ينساه؛ ولن يخذه، ولن يرده خائباً... والله عند حسن ظن عبده به إذا ناداه: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرْتَضِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَنْزَكَرِيًّا إِنَّا نَبِئُكَ بِغُلَامٍ اِسْمُهُ يَسْحَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿﴾ [مريم: ٢ - ٩].

وهكذا يتجلى سرُّ هذه المعادلة الإيمانية من قبل ومن بعد؛ وهو: أن الأمر من عند الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ فلا يعجزه شيء، ولا معقب لحكمه، ولا رادُّ لِقضائه؛ فيثبت فكره، ويجمع همُّه، ويُسدِّد رأيه، فلا يتشتت في مهاوي الظنون، ولا يتشعب في مهالك الوسوس.

وفي تأكيد هذه المسألة الإيمانية وردت جملة أحاديث صحيحة؛ منها:

عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الدنيا همُّه؛ فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيته؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»^(١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همُّه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همُّه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (١٨٣ / ٥) بإسناد صحيح.

وانظر «الصحيحة» (٤٠٤ و ٩٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) بإسناد ضعيف؛ لكنه جيد في المتابعات، وله شواهد من شواهد

من حديث ابن عباس وزيد بن ثابت، فهو بهما حسن، وانظر «الصحيحة» (٩٤٩).

كثرة الأسئلة والاختلاف على الأنبياء سياسة يهودية وفلسفة صهيونية

اختلاق الأسئلة وتشقيقها، وكثرة مراجعتها وتضيقها: طباع يهودية، ومن أبرز أخلاق الأمة الغضبية، وهذه السمات الرئيسة لطبيعة اليهود تبدو ظاهرة في مراجعاتهم الكثيرة مع نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لقد قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾، وهذا كاف لمن أراد الحق؛ فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ هو نبيهم الذي قادهم في رحلة الخروج من مصر فراراً من العذاب الأليم برحمة من الله ورعايته... وهذا الأمر ليس من عنده، ولا من كيسه، ولا من بنات أفكاره.. إنها هو من عند الله الذي أنقذهم من الاستعباد والذل والاستبداد والجهل... فكان جوابهم كله سفاهة وجاهالة؛ حيث اتهموا نبيهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه يهزأ بهم، ويسخر منهم، وكأنهم في مسرحية هزلية أو تمثيلية فكاهية... ويلهم أبحق لعبد يعرف الله ويقدره حتى قدره أن يجعل اسم الله مادة للمزاح والسخرية بين الناس: ﴿قَالُوا أَنْتَخَذْنَا هُزُؤًا﴾... فما كان من نبيهم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أعلمهم بربهم، وأتقاهم له؛ إلا أن يستعمل معهم أسلوب التعريض؛ ليوظ في قلوبهم مقام التفويض؛ ويلجأ إلى التلميح؛ ليعودوا إلى الطريق الصحيح؛ فاستعاذ بالله؛ ليردهم عن سفاهتهم، ويبيّن لهم أن ما ظنوه به جهل لا يليق برسول كريم: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾... وفي هذا التنبيه كفاية لمن وفقه الله.. لكنها طبيعة التلكؤ، وسياسة الالتواء، وفلسفة التسويق تحتاحهم، وتدمدم في كيانهم؛ ليزدادوا سوء أدب مع الله ورسوله: ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّينَ لَنَا مَا هِيَ﴾... سؤال يدل على أنهم لا يزالون يعتقدون أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يزال هازلاً فيما بيّنه لهم، هازئاً فيما أمرهم به.. تأمل قولهم: ﴿أَدْعُ لِنَارِكَ﴾... فكان الله جَلَّ جَلَالُهُ هو رب موسى وحده، أما هم فلا صلة لهم به.. وكان هذه القضية التي فزعوا

إلى موسى من أجلها لا تعنيهم هم بل تعني موسى وربّه.. ثم ارجع ففكر التأمل مرة أخرى في سؤالهم حيث يسألون عن ماهيتها بطريقة الاستهزاء وسبيل الإنكار: ما هي؟ .. إنها بقرة .. ألم يقل لكم نبيكم هذا من بداية الطريق بدون تقييد ولا تعقيد... إنها بقرة... بقرة وكفى! لكن موسى عليه السلام سلك معهم جادة أخرى كي لا يدخل معهم في جدل سفسطائي؛ فيجيبهم إجابة المعلم المربي بأسلوب حكيم لمن أراد الاستجابة: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ هذه صفتها وهذا سنّها: لا هرمة، ولا شابة، بل وسط بين هذا وذاك .. قد بينت لكم: ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ﴾ إن كنتم صادقين... فكان حسبهم هذا لو كانوا جادّين في تبرئة ذمتهم، وتنفيذ أمر ربهم .. لكن اليهود هم اليهود طبعوا على التعقيد، وابتدعوا منهج التضيق... ازدادوا عنادًا وتكبرًا: ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا لَوْئُهَا﴾ ... لقد شققوا الموضوع؛ فشقّ الله عليهم، وطلبوا التفصيل فجاءهم الجواب يروي الغليل ويشفي العليل: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُئُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ ... كان بإمكان أي: واحد منهم أن يأتي بأية بقرة فتجزئ عنهم وتحل قضيتهم؛ لكنهم ضيقوا على أنفسهم دائرة الاختيار، فضيق الله عليهم، فلزمهم أن يبحثوا عن بقرة ذات مواصفات عالية، لا تقنع أي فرد منهم، بل لا بدّ أن يقنعوا جميعًا بذلك... وتمضي بنو إسرائيل في تكلؤ يتلوه تكلؤ فعادوا من حيث بدؤوا يسألون عن الماهية: ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبِهَ عَلَيْنَا﴾ ... فكانوا كلما ضيقوا دائرة الاختيار ضيق الله عليهم ... وكلما شققوا أسئلتهم ضيق الله عليهم.. فجاءهم الجواب بإضافة مقاييس جديدة وأوصاف عديدة: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ لم تعد أي بقرة... إنها مواصفات عالية الجودة لن يجدها في أي مكان، ومقاييس لن يحصلوا عليها في أي زمان... لن يجدها إلا عند ذلك الفتى البار بوالده؛ فعوضه الله من برّه لوالده: أن نتجت بقرة من بقره تلك البقرة التي يطلبها بنو إسرائيل: ﴿قَالُوا لَنْ نَجِدَ بِالْحَقِّ﴾ .. الآن... ويحكم... وكان ما مضى لم يكن حقًا... وكان كلّ ما سمعتموه لم يكن صدقًا.. وكما افتروا

على الله ورسله أرادوا أن يفتتوا على ذلك الفتى البار؛ فأثوه، فقالوا: بعناها، فقال: لا أبيعكموها، قالوا: إذاً نأخذها منك؟ قال إن غصبتوني سلعتي؛ فأنتم أعلم. فأتوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: اذهبوا، فارضوه من سلعتي، فقالوا: حكمك؟ قال: حكمي: أن تضعوا البقرة في كِفَّة الميزان، وتضعوا ذهباً صامتاً في الكِفَّة الأخرى، فإذا مال الذهب أخذته... وهكذا يأبى الله إلا أن يستخرج أموالهم لبلخلمهم وشحهم دون رغبة منهم... أعطوا الفتى البار ما أراد، وأقبلوا بالبقرة، حتى أتوا بها قبر الشيخ وهو بين المدينتين، واجتمع أهل المدينتين، وابن أخيه عند قبره يبكي ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، فَضْرِبَ بَعْضِ لحمها القبر، فقام الشيخ ينفض رأسه؛ يقول: قتلني ابن أخي؛ طال عليه عمري، وأراد أخذ مالي: ﴿أَضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾... ثم مات.

لكن هل لانت قلوبهم؟

هل رجعوا عن تلكتهم؟

هل تركوا تدليسهم وتلبسهم؟

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُوقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

لقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عيناً فما لانوا!!

ورأوا الجبل عندما نتقه الله فوق رؤوسهم كأنه ظلة فما استجابوا!!

هذه طبيعة بني إسرائيل.. وهذه سياسة يهود.. إنها فلسفة صهيونية!!

هذه حقيقتهم... وتلك طبيعتهم... لم نقل ذلك تحجياً.. ولم نقرره تعدياً... وإنما هو

واقع: يشهد عليه الشرع، ويبينه الصادق المصدوق:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ؛ قال: «دعوني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء؛ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء؛ فاتوا منه ما استطعتم»^(١).

وعن أبي عمران الجوني؛ قال: كتب إليَّ عبد الله بن رباح الأنصاري: أن عبد الله بن عمرو؛ قال: هَجَّرت إلى النَّبِيِّ ﷺ يوماً؛ قال: فسمع صوت رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعْرِفُ في وجهه الغضب، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»^(٢).

ولذلك تكاثرت الأحاديث الصحاح في النهي عن هذا الطبع اليهودي، والمنهج الصهيوني؛ منها:

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن الله جَلَّ جَلالُهُ حَرَّمَ عليكم عقوق الأمهات، ووَاد البنات، ومنعاً وهات^(٣)، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال: وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً؛ فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال: وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٥).

وخير من لخص هذا الباب الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ؛ فقال:

«عن قتادة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: سألو رسول الله ﷺ حتى أحفوه في المسألة، فغضب، فصعد المنبر، فقال: «لا تسألوني عن شيء إلا بيئته»، فقام رجل كان إذا

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

(٣) أي: أن يمنع الرجل ما يجب عليه من الحقوق، أو يطلب ما لا يستحقه.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣) (١٢).

(٥) أخرجه مسلم (١٧١٥).

لاحى الرجال دُعِيَ إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله! من أبي؟ قال: «أبوك حذافة». ثم أنشأ عمر؛ فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً؛ نعوذ بالله من الفتن. وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَشْكُرُونَ أَشْيَاءَ...﴾ [المائدة: ١٠١]^(١).

نهاهم أن يسألوا مثل الذي سألت النصارى في المائدة، فأصبحوا بها كافرين، فنهى الله جَلَّ جَلَالُهُ عن ذلك، ولكن انظروا، فإذا نزل القرآن؛ فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه.

فدللت هذه الأحاديث:

- على النهي عن السؤال عما لا يحتاج إليه ما يسوء السائل جوابه؛ مثل سؤال السائل: هل هو في النار أو في الجنة؟

وهل أبوه ما ينسب إليه أو غيره؟

- وعلى النهي عن السؤال على وجه التعنت؛ والعبث والاستهزاء؛ كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم.

- وقريب من ذلك سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت؛ كما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب.

ويقرب من ذلك السؤال عما أخفاه الله عن عباده، ولم يطلعهم عليه:

كالسؤال عن وقت الساعة.

وعن الروح.

وَدَلَّتْ - أَيْضًا - على نهى المسلمين عن السؤال عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى

أن يكون السؤال سبباً لنزول التشديد فيه:

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٩)، ومسلم (٢٣٥٩) (١٣٧).

كالسؤال عن الحج؛ هل يجب كل عام أم لا؟

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم؛ فحرم من أجل مسأله»^(١).

ولم يكن النَّبِيُّ ﷺ يرخص في المسائل إلا للأعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه يتألفهم بذلك، فأما المهاجرون والأنصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الإيمان في قلوبهم؛ فهوا عن المسألة.

عن النّوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة؛ كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل النبي ﷺ^(٢).

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا: أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله، ونحن نسمع^(٣).

وكان أصحاب النَّبِيِّ ﷺ أحياناً يسألونه عن حكم حوادث قبل وقوعها؛ لكن للعمل بها عند وقوعها.

كما قالوا له: إنا لاقوا العدو غداً، وليس معنا مدى؛ أفندبح بالقصب^(٤)؟

فقوله ﷺ: «ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»؛ يدلُّ على كراهة المسائل وذمَّها، ولكن بعض الناس يزعم: أن ذلك كان

(١) أخرجه البخاري (٨٧٢٦)، ومسلم (٢٣٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

ومعنى الحديث: «أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أقام بالمدينة كزائر من غير نقلة إليها من وطنه لاستيطانها، وما منع من الهجرة إلا الرغبة في سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين، فإنه كان سمح بذلك للطائفتين دون المهاجرين».

انظر «شرح النووي على مسلم» (٦/ ١١١).

(٣) أخرجه مسلم (١٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤٣)، ومسلم (١٩٦٨) من حديث رافع بن خديج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مختصاً بزمَن النَّبِيِّ ﷺ؛ لما يخشى حينئذ من تحريم ما لم يحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أُمنَ بعد وفاته ﷺ، ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب آخر؛ وهو: انتظار نزول القرآن، حيث لا يسأل عن شيء إلا وجد تبيانه.

ومعنى هذا: أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لا بدَّ أن يبينه الله في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسولُه ﷺ، فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال؛ فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ لا بدَّ أن يبينه لهم ابتداء من غير سؤال؛ كما قال: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، وحينئذ فلا حاجة إلى السؤال عن شيء، ولا سيما قبل وقوعه والحاجة إليه، وإنما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله؛ ثم اتباع ذلك، والعمل به.

وأشار رسول الله ﷺ في هذا الحديث: إلى أن في الاشتغال بامثال أمره، واجتناب نهيهِ؛ شغلاً عن المسائل، فقال: «إذا نهيتكم عن شيء؛ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر؛ فاتوا منه ما استطعتم».

فالذي يُتَعَيَّنُ على المسلم الاعتناء به والاهتمام: أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما ينهى عنه، فتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك لا إلى غيره، وهكذا كان حال أصحاب النَّبِيِّ ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة.

فأما إن كانت همّة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع؛ فإن هذا مما يدخل في النهي، ويشط عن الجدِّ في متابعة الأمر.

وقد سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر، فقال له: رأيت النبي ﷺ يستلمه ويقبله.

فقال له الرجل: رأيت إن غلبت عنه؟ رأيت إن زوحت؟

فقال له ابن عمر: اجعل رأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله^(١).
 ومراد ابن عمر: أن لا يكون لك هم إلا في الاقتداء ﷺ بالنبي، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه؛ فإنه يفتر العزم على التصميم عن المتابعة؛ فإن التفقه في الدين والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال.
 وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كيف بكم إذا لبستكم فتنة: يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة، فإن عُرِّت يوماً؛ قيل: هذا منكر.
 قالوا: ومتى ذلك؟

قال: إذا قَلَّتْ أماناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقَلَّتْ فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتُفَقِّه لغير الدين، والثُمست الدنيا بعمل الآخرة^(٢).
 ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها، ولا يجيبون عن ذلك.

قال عمرو بن مرة: خرج عمر على الناس؛ فقال: أُحْرَج عليكم أن تسألونا عما لم يكن؛ فإن لنا فيها كان شغلاً.
 وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: لا تسألوا عما لم يكن؛ فإني سمعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لعن السائل عما لم يكن.

وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن شيء؛ يقول: كان هذا؟
 فإن قالوا: لا.
 قال: دعوه حتى يكون.

(١) أخرجه البخاري (١٦١١).

(٢) أخرجه الدارمي (١٩١ و١٩٢)، والحاكم (٨٥٧٠) بإسناد صحيح على شرط الشيخين؛ كما قال الذهبي ووافقه شيخنا الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الحديث له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد.

وقال مسروق: سألت أبي بن كعب عن شيء؟ فقال: أكان بعد؟
فقلت: لا.

فقال: أجمنا - يعني: أرحنا - حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.
وقال الأوزاعي: إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم؛ ألقى على لسانه المغاليط،
فلقد رأيتهم أقل الناس علماً.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا وهو يعيب كثرة الكلام وكثرة الفتيا، ثم قال: يتكلم
كأنه جمل مُعْتَلِمٌ^(١)؛ يقول: هو كذا، هو كذا؛ يَهْدُرُ في كلامه.

وقال: سمعت مالكا يكره الجواب في كثرة المسائل، وقال: قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:
﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلم يأت في ذلك
جواب، فكان مالك يكره المجادلة عن السنن.

وقال الهيثم بن جميل: قلت لمالك: يا أبا عبدالله! الرجل يكون عالماً بالسنن، يجادل
عنها؟

قال: لا، ولكن يخبر بالسنة؛ فإن قبلت منه، وإلا سكت.

وقال وهب: سمعت مالكا يقول: المرء في العلم يُقْسَى القلب، ويؤثر الضغن.

وقد انقسم الناس في هذا الباب أقساماً:

- فمن أتباع أهل الحديث من سدَّ باب المسائل؛ حتى قلَّ فهمه وعلمه لحدود ما
أنزل الله على رسوله، وصار حامل فقه غير فقيه.

- ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها: ما يقع في العادة
منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكليف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه، والجدال
عليه؛ حتى يتولَّد من ذلك افتراق القلوب، ويستقرَّ فيها بسببه الأهواء والشحناء

(١) هو الجمل الهائج لشدة شهوته للجماع.

والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرًا بنية المغالبة، وطلب العلوِّ والمباهاة، وصرف وجوه الناس، وهذا مما ذمّه العلماء الربانيون، ودلّت السنّة على قبحه وتحريمه.

- وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به؛ فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله، وما يفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنّة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيهما وفهمهما، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنّة والزهد والرقائق وغير ذلك.

وهذا هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي ما لا ينتفع به ولا يقع، وإنما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال، وكثرة القيل والقال.

وكان الإمام أحمد كثيرًا إذا سئل عن شيء من المسائل المحدثّة المتولّدات التي لا تقع؛ يقول: دعونا من هذه المسائل المحدثّة.

وما أحسن ما قاله يونس بن سليمان السقطي:

نظرت في الأمر، فإذا هو الحديث والرأي:

- فوجدت في الحديث ذكّر الربّ جَلَّ جَلَالُهُ، وإجلاله، وعظّمته، وذكّر العرش، وصفة الجنة والنار، وذكر النبيين والمرسلين، والحلال والحرام، والحثّ على صلة الأرحام، وجماع الخير فيه.

- ونظرت في الرأي؛ فإذا فيه المكر والغدر والحيل، وقطيعة الأرحام، وجماع الشرّ فيه.

وقال أحمد بن شبيب: من أراد علم القبر؛ فعليه بالآثار، ومن أراد علم الخبز؛ فعليه

بالرأي.

ومن سلك طريقة طلب العلم على ما ذكرناه؛ تَمَكَّنَ من فهم جواب الحوادث الواقعة غالبًا؛ لأن أصولها توجد في تلك الأصول المشار إليها، ولا بد أن يكون سلوك هذا الطريق خلف أئمة أهل الدين المجمع على هدايتهم ودرابتهم، كالشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، ومن سلك مسلكهم؛ فإن من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقهم وقع في مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به، وترك ما يجب العمل به.

وملاك الأمر كله: أن يقصد بذلك وجه الله جَلَّ جَلَالُهُ، والتقرب إليه بمعرفة ما أنزل على رسوله، وسلوك طريقه، والعمل بذلك، ودعاء الخلق إليه.

ومن كان كذلك؛ وفقه الله وسدده وألهمه رشده وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان من العلماء المدوحين في الكتاب في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ومن الراسخين في العلم.

قال نافع بن زيد: يقال: الراسخون في العلم: المتواضعون لله، والمتذللون لله في مرضاته، لا يتعاضمون على من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «أتاكم أهل اليمن؛ هم: أبر قلوبًا، وأرق أفئدة، الإيانيان، والفقهاء يمان، والحكمة يمانية»^(١).

وهذا إشارة منه إلى أبي موسى الأشعري ومن كان على طريقه من علماء أهل اليمن، ثم إلى مثل أبي موسى الخولاني، وأويس القرني، وطاووس، ووهب بن منبه، وغيرهم من علماء أهل اليمن، وكل هؤلاء من العلماء الربانيين الخائفين من الله، فكلهم علماء بالله: يخشونه، ويخافونه، وبعضهم أوسع علمًا بأحكام الله وشرائع دينه من بعض، ولم يكن تمييزهم عن الناس بكثرة قيل وقال، ولا جدال.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلم الناس بالحلال والحرام^(١)، وهو الذي يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة^(٢)، ولم يكن علمه بتوسعة المسائل وتكثيرها، وإنما كان عالماً بالله، وعالماً بأصول دينه.

وقد قيل للإمام أحمد: من نسأل بعدك؟

قال: عبد الوهاب الوراق.

قيل له: إنه ليس له اتساع في العلم.

قال: إنه رجل صالح؛ مثله يوفق لإصابة الحق.

وسئل عن معروف الكرخي؛ فقال: كان معه أصل العلم: خشية الله.

وهذا يرجع إلى قول بعض السلف: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

وهذا باب واسع؛ يطول استقصاؤه.

ولنرجع إلى شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه؛ فنقول: من لم يشتغل بكثرة المسائل التي لا يوجد مثلها في كتاب الله ولا سنة رسول ﷺ، بل اشتغل بفهم كلام الله ورسوله، وقصده بذلك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ فهو ممن امتثل أمر رسول الله ﷺ في هذا الحديث، وعمل بمقتضاه، ومن لم يكن اهتمامه بفهم ما أنزل الله على رسوله،

(١) ثبت من قول رسول الله ﷺ: «معاذ بن جبل: أعلم الناس بحلال الله وحرامه»؛ انظر «السلسلة الصحيحة» (١٤٣٦).

(٢) وثبت كذلك عن رسول الله ﷺ: «أن العلماء إذا حضروا ربهم جَلَّ جَلَالُهُ كان معاذ بين أيديهم رتوة حجر»؛ انظر «السلسلة الصحيحة» (١٠٩١).

قال ابن العطار: «أي يكون معاذ يوم القيامة أمام العلماء بمقدار مسافة الرمية بالسهم أو الحجر»؛ انظر: «العدة في شرح العمدة» (١/ ٥٧٧).

واشتغل بكثرة توليد المسائل التي قد تقع وقد لا تقع، وتكلفت أجوبتها بمجرد الرأي؛ خشي عليه أن يكون مخالفاً لهذا الحديث، مرتكباً لنهيه، تاركاً لأمره.

واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة إنما هو من ترك الاشتغال بامثال أوامر الله ورسوله، واجتناب نواهي الله ورسوله، فلو أن من أراد أن يعمل عملاً سأل عما شرعه الله في ذلك العمل؛ فامتثله، وعما نهى عنه؛ فاجتنبه؛ وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة، وإنما يعمل العامل بمقتضى رأيه وهواه، فتقع الحوادث عامتها مخالفة لما شرعه الله، وربما عسر ردها إلى الأحكام المذكورة في الكتاب والسنة لبعدها عنها.

وفي الجملة؛ فمن امتثل ما أمر به النبي ﷺ في هذا الحديث، وانتهى عما نهى عنه، وكان مشتغلاً بذلك عن غيره؛ حصل له النجاة في الدنيا والآخرة.

ومن خالف ذلك، واشتغل بخواطره وما يستحسنه؛ وقع فيما حذر منه النبي ﷺ من حال أهل الكتاب الذين هلكوا؛ بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم، وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسولهم»^(١).

(١) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم من الحكم» (ص ١٣٨-١٤٦ - بقلم) بتصرف

اليهود وصناعة الخيل

تمثل صناعة الخيل بكل أنواعها، ومختلف ألوانها، وتعدد أشكالها عند اليهود نقطة الارتكاز في دينهم، وقطب الرحى في معتقداتهم؛ فلذلك تجدهم يارسون الخيل في كل شؤون حياتهم، وجميع تصرفاتهم.

وقصة بقرة بني إسرائيل ملخص دقيق لطرائقهم في صناعة الخيل للتملص من التكاليف الشرعية، والتخلّص من الحقّ الذي جاءهم به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وما يدلّ على ذلك - بوضوح لا غموض فيه، وجلاء لا لبس يعتريه - أمور؛ منها:

١- أنها جاءت في إثر ذكر قصة أصحاب السبت التي تمثل منهج اليهود في التحايل على أوامر الله، واستحلال ما حرم عليهم:

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ **فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ٦٥ و٦٦].

وهذا السباق يوضح أن هذه القصة جاءت؛ لتبين منهجية بني إسرائيل في صناعة الخيل: «ومعلوم أنهم لم يستحلوها تكديبا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكفرا بالتوراة، وإنما استحلال تأويل واحتيال: ظاهره ظاهرا والاتقاء، وحقيقته حقيقة الاعتداء»^(١).

٢- وكذلك سياق القصة يدل على أنهم أرادوا التحايل على أوامر الله، ومن ذلك:

١- تعتُّهم في تنفيذ أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ حيث أرادوا التشديد في أمر البقرة؛ لاعتقادهم: أنَّهم كلِّمًا شَدَّدُوا قَلَّ وجود مثل هذه البقرة، وندر الحصول عليها، وانعدام جنسها!

(١) «الفتاوى الكبرى» ابن تيمية (٦ / ٢٨).

وانظر - تكملاً - «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» (ص ٣٠٩).

ب- طريقتهم في مفاوضة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بطلب التفاصيل، والإصرار على أدقها؛ ليملأ نبيُّ الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويتركهم وشأنهم.

ومن المقرر في علم الأصول: إن مراعاة السياق والسباق له أثر فاعل في الكشف عن مراد الله جَلَّ جَلَالُهُ ومراد رسوله ﷺ.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: «فلا محيص للمتفهم من رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره.

وإذ يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف؛ فإن فَرَّقَ النظر في أجزائه، فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض؛ إلا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه، لا بحسب مقصود المتكلم»^(١).

ت- وقد كشفت السُّنَّةُ نوعاً آخر من تحايلهم؛ وهو: تغيير الشكل من أجل الأكل: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح - وهو بمكة -: «إن الله ورسوله حَرَّمَ بيع الخمر، والخنزير، والأصنام».

ف قيل: يا رسول الله! أ رأيت شحوم الميتة؛ فإنه يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا، هو حرام».

ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «قاتل الله اليهود، إن الله جَلَّ جَلَالُهُ لما حرم عليهم شحومها جَمَلُوه»^(٢)، ثم باعوه؛ فأكلوا ثمنه»^(٣).

(١) «الموافقات» (٤ / ٢٦٦).

(٢) أي: أذابوه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: بلغ عمر أن سمرة باع خمرًا، فقال: قاتل الله سمرة؛ ألم يعلم أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم، فجملوهما، فباعوها»^(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «قاتل الله اليهود، حرم الله عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا أثانها»^(٢).

وهكذا كان التحايل على الحكم الشرعي بإذابة شحوم الميتة حيث غَيَّرَوا شكلها من أجل أكلها، ولذلك قال الخطابي: «وفي هذا بيان بطلان كل حيلة يحتال بها للتوصل إلى محرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغيير هيئته، وتبديل اسمه»^(٣).

٣- ومما يؤكد أن التحايل منهج بني إسرائيل في التعامل مع الدين والشرع: تحذير النبي ﷺ أمته من اتباع هذا المنهج الباطل والاجتهاد العاطل.

٤- وقد وردت السنة المطهرة بتقرير أن التحايل منهجية معتمدة عند بني إسرائيل في تعاملهم مع دين الله وشرعه؛ ومن ذلك:

أ- عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: مرَّ على النبي ﷺ يهودي حَمَمًا^(٤) مجلودًا، فدعاهم ﷺ؛ فقال: «أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟».

فقالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم، فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك؛ نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرفنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٣)، ومسلم (١٥٨٢).

انظر (ص ١٥) غير مأمور.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٨٣).

(٣) انظر «معالم السنن» (٣/ ١٣٣).

(٤) التحميم: تسويد الوجه بالحمم؛ وهو: الفحم.

أقمنا عليه الحدّ، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أوّل من أحيأ أمرك إذ أماتوه».

فأمر به؛ فرجم؛ فأنزل الله جلّ جلاله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْرُوكُ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١].

يقول: اتوا محمداً ﷺ؛ فإن أمركم بالتحميم والجلد؛ فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم؛ فاحذروا، فأنزل الله جلّ جلاله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]؛ في الكفار كلها^(١).

وهذا اعتراف صريح من أبحار اليهود: أنهم اخترعوا ديناً جديداً حيث احتالوا على دين الله، وعمّلصوا من أحكام الشرع مراعاة للطبقية، ومداهنة للأشراف منهم؛ فانسلخوا من الدين؛ حيث وصفهم الله جلّ جلاله بالكفر، والظلم، والفسق.

ب- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود، وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠).

(٢) أخرجه ابن بطة في «إبطال الحيل» (ص ٦٠) بإسناد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ١٢٣)، وجوّد إسناده في «إبطال التحليل» (ص ٨٦)، وحسنه في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٢٨٧)، و«مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٢٩).

وجوّد إسناده ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٤٨)، و«حاشيته على سنن أبي داود» (٣٧٦ / ١).

وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٠٨ و ٢٥٧/ ٢).

وقال ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٣/ ٤٢٦): «ثابت».

وقال السخاوي في «الأجوبة المرضية» (١/ ٢١٤): «حسن».

وقال العلامة أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١/ ١٢٤): «وإسناده جيد».

٥- وعلى هذا المنهج أصحاب رسول الله ﷺ؛ حيث أدركوا أنه يجب ذكر تحايل بني إسرائيل تحذيرًا للأمة الإسلامية من ذلك؛ لثلاثا يقعوا في سنن بني إسرائيل:

عن عبد الواحد البنائي؛ قال: كنت مع ابن عمر، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إني أشتري هذه الحيطان تكون فيها الأعباب، ولا نستطيع أن نبيعها كلها عنبًا حتى نعصره.

= وصححه شيخنا ابن باز في «مجموع الفتاوى» (٩ / ٢٣٠).

وهذا الحديث مما اختلف قول شيخنا الإمام الألباني فيه:

- فمرة ضعفه كما في «تخريج غاية المرام في أحاديث الحلال والحرام» (١١).

- وأخرى توقف فيه كما في «الإرواء» (١٥٣٥).

- وثالثة: جود إسناده كما في «الضعيفة» (١ / ٦٠٨).

وعند دراستي للعلل التي من أجلها ضعف الحديث رأيتها لا تستقيم أمام البحث العلمي:

١- قال شيخنا: في «الإرواء»: «لكنني لم أجد ترجمة ابن مسلم هذا في «تاريخ الخطيب»».

قلت: بل ترجم له (٦ / ٨)، وقال: «أحمد بن محمد بن أحمد بن مسلم أبو الحسن المخرمي الكاتب

مولي العباس بن محمد الهاشمي: وكان ثقة».

٢- وأما إعلال الحديث بابتها بطة؛ كما فعل شيخنا: في «غاية المرام»؛ ففيه نظر لا يخفى؛ فالإمام

ابن بطة تكلم في ضبطه غير واحد من الأئمة؛ فقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٢٩-

٥٣٢): «قلت: لابن بطة مع فضله أوهام وغلط»، وقال -أيضاً- كما في «مختصر العلو» (ص ٥٣):

«وكان ابن بطة من كبار الأئمة؛ ذا زهد وفقه وسنة واتباع، وتكملوا إتيانته، وهو صدوق في نفسه»،

وقال عبيد الله الأزهرى: «ابن بطة ضعيف وعندي عنه معجم البغوي، ولا أخرج عنه في الصحيح

شيئاً»، وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤ / ١١٢): «إمام لكنه ذو أوهام».

قلت: لقد وافق حديثه الثقات في كثير من الأحاديث، وأوهامه هذه إنما وقعت منه خطأ؛ كما

حصل في روايته لحديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»؛ قال الخطيب (١٢ / ١٠٠): «هذا باطل

والحمل فيه على ابن بطة»، وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٣١): «قلت: أفحش العبارة،

وحاشى الرجل من التعمد؛ لكنه غلط، ودخل عليه إسناده في إسناده».

وبالجمل؛ فالحديث حسن؛ كما نص عليه هؤلاء الفحول رَحْمَهُمُ اللهُ، وهو الذي اختاره من

أحكام شيخنا الإمام الألباني رَحْمَةُ اللهِ.

قال: فعن ثمن الخمر تسألني^(١)؟! سأحدثك حديثاً سمعته عن رسول الله ﷺ: كنا جلوساً مع النبي ﷺ؛ إذ رفع رأسه إلى السماء، ثم أكبَّ ونكت في الأرض، وقال: «الويل لبني إسرائيل»، فقال له عمر: يا نبي الله! لقد أفرعنا قولك لبني إسرائيل، فقال: «ليس عليكم من ذلك بأس، إنهم لما حُرِّمَت عليهم الشحوم، فتواطؤوه، فبيعونه، فيأكلون ثمنه، وكذلك ثمن الخمر عليكم حرام»^(٢).

ولكن: يا للأسف! فقد وقع فئام من هذه الأمة الإسلامية في هذه السنة السيئة للأمة الغضبية:

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ:

«ومن مكايدته التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل، والمكر، والخداع: الذي يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه.

فإن الرأي رأيان:

رأي يوافق النصوص، وتشهد له بالصحة والاعتبار؛ وهو: الذي اعتبره السلف، وعملوا به.

ورأي يخالف النصوص، وتشهد له بالإبطال والإهدار؛ فهو: الذي ذمُّوه وأنكروه. وكذلك الحيل نوعان:

(١) استفهام إنكاري، والظاهر: أن الرجل كان يريد أن يخمر العصير، ثم يبيعه خمرًا، أو يبيعه لمن يتخذه خمرًا؛ ولذلك أنكر عليه ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

انظر: «الفتح الرباني» لأحمد الساعاتي (١٥ / ٢٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥٩٨٢ - ط الرسالة) بإسناد حسن إن شاء الله .

وانظر - تفضلاً - : «مجمع الزوائد» (٤ / ٨٧-٨٨).

نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ به، وترك ما نهى عنه، والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه^(١).

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمّه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ لا يجوز شيء من الحيل في إبطال حق مسلم.

وقال الميموني: قلت لأبي عبد الله: من حلف على يمين، ثم احتال لإبطالها، فهل

تجوز تلك الحيلة؟

قال: نحن لا نرى الحيلة إلا بما يجوز.

قلت: أليس حيلتنا فيها أن نتبع ما قالوا، وإذا وجدنا لهم قولاً في شيء اتبعناه؟

قال: بلى، هكذا هو.

قلت: أوليس هذا منا نحن حيلة؟

قال: نعم.

فبيّن الإمام أحمد: أن من اتبع ما شرعه الله له، وجاء عن السلف في معاني الأسماء التي علّقت بها الأحكام: ليس بمحتال الحيل المذمومة، وإن سُمّيت: حيلةً، فليس الكلام فيها.

وغرض الإمام أحمد بهذا: الفرق بين سلوك الطريق المشروعة التي شرعت لحصول مقصود الشارع، وبين الطريق التي تُسلك لإبطال مقصوده.

فهذا هو سرُّ الفرق بين النوعين، وكلامنا -الآن- في النوع الثاني.

(١) وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ لهذا النوع الجائز مائة وستة عشر مثلاً في «إعلام

الموقعين» (٣/ ٢٦١ - وما بعدها)، وثانين مثلاً في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٦٧ - وما بعدها).

قال شيخنا^(١): فالدليل على تحريم هذا النوع، وإبطاله من وجوه:

الوجه الأول: قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿البقرة: ٨ و [٩].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ الْمُنْتَفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال في أهل العهد: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢].

فأخبر جَلَّ جَلَالُهُ أن هؤلاء المخادعين مخدوعون، وهم لا يشعرون أن الله جَلَّ جَلَالُهُ خادع من خدعه، وأنه يكفي المخدوع شرَّ من خدعه.

والمخادعة؛ هي: الاحتيال والمراوغة؛ بإظهار الخير مع إبطان خلافه؛ ليحصل مقصود المخادع.

فلما كان القائل: «أمنت»؛ مظهرًا لهذه الكلمة؛ غير مرید حقيقتها المرعية المطلوبة شرعًا، بل مرید لحكمها وثمرتها فقط: مخادعًا، كان المتكلم بلفظ: «بعت»، و«اشترت»، و«طلّقت»، و«نكحت»، و«خالعت»، و«آجرت»، و«ساقيت»، و«أوصيت»؛ غير مرید لحقائقها الشرعية المطلوبة منها شرعًا، بل مرید لأمر أخرى غير ما شرعت له، أو ضد ما شرعت له: مخادعًا، ذاك مخادع في أصل الإيذان، وهذا مخادع في أعماله وشرائعه.

قال شيخنا: وهذا ضرب من النفاق في آيات الله جَلَّ جَلَالُهُ وُحدوده؛ كما أن الأول نفاق في أصل الدين.

قال^(٢): وتلخيص ذلك: أن مخادعة الله جَلَّ جَلَالُهُ حرام، والحيل مخادعة لله:

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وكلامه المشار إليه - هنا - في «بيان الدليل على بطلان التحليل» (ص ٦ - وما بعدها).

(٢) أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وانظر المرجع السابق (ص ٦٥ - وما بعدها).

بيان الأول: أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ذَمَّ المنافقين بالمخادعة، وأخبر أنه خادعهم، وخدعه للعبد عقوبة تستلزم فعله للمحرّم.

وبيان الثاني من أوجه:

أحدها: أن ابن عباس وأنسًا وغيرهما من الصحابة والتابعين أفتوا: أن التحليل ونحوه من الحيل مخادعة لله جَلَّ جَلَالُهُ، وهم أعلم بكتاب الله جَلَّ جَلَالُهُ^(١).

الثاني: أن المخادعة إظهار شيء من الخير، وإبطان خلافه.

الثالث: أن المنافق لما أظهر الإسلام، ومراده غيره، سُمِّي: مخادعًا لله جَلَّ جَلَالُهُ، وكذلك المرائي؛ فإن النفاق والرياء من باب واحد.

فإذا كان هذا الذي أظهر قولًا غير معتقد ولا مرید لما يفهم منه، وهذا الذي أظهر فعلًا غير معتقد ولا مرید لما شُرِع له: مخادعًا.

فالمحتال لا يخرج عن أحد القسمين:

إما إظهار فعل لغير مقصوده الذي شُرِع له.

أو إظهار قول لغير مقصوده الذي شُرِع له.

وإذا كان مشاركًا لهما في المعنى الذي سميا به مُحَادِعِينَ؛ وجب أن يشركهما في اسم

الخداع، وُعَلِمَ أن الخداع اسم لعموم الحيل، لا لخصوص هذا النفاق.

الوجه الثاني: أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ذَمَّ المستهزئين بأياته، والمتكلم بالأقوال التي جعل

الشارع لها حقائق ومقاصد؛ مثل كلمة الإيَّان، وكلمة الله جَلَّ جَلَالُهُ التي يستحل بها

الفروج، ومثل العهود والمواثيق التي بين المتعاقدين، وهو لا يريد بها حقائقها المقومة لها،

ولا مقاصدها التي جعلت هذه الألفاظ محصلة.

(١) بل أجمع الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على تحريم الحيل المناقضة لمقاصد الدين وإبطائها؛ انظر غير

مأمور: «الحيل في الشريعة الإسلامية» (ص ٢٢٤ وما بعدها) للدكتور محمد عبد الوهاب بحيري.

فيشبهه - والله أعلم - أن هؤلاء لما كانوا أعظم جرماً إذ هم بمنزلة المنافقين، ولا يعترفون بالذنب، بل قد فسدت عقيدتهم وأعمالهم، كانت عقوبتهم أغلظ من عقوبة غيرهم، فإن من أكل الربا والصيد الحرام عالماً بأنه حرام، فقد اقترن بمعصيته اعترافه بالتحريم، وهو إيمان بالله جَلَّ جَلَالُهُ وآياته، ويترتب على ذلك من خشية الله جَلَّ جَلَالُهُ، ورجاء مغفرته، وإمكان التوبة، ما قد يفضي به إلى خير ورحمة، ومن أكله مستحلاً له بنوع احتيالي تَأَوَّلَ فيه، فهو مصرٌّ على الحرام، وقد اقترن به اعتقاده الفاسد في حلِّ الحرام، وذلك قد يفضي به إلى شرٍّ طويل.

وقد جاء ذكر المسخ في عدة أحاديث:

كقوله في حديث أبي مالك الأشعري، الذي رواه البخاري في «صحيحه»: «ويمنسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»^(١).

فالمسخ على صورة القردة والخنازير واقع في هذه الأمة ولا بدَّ، وهو في طائفتين:

- علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله، الذين قَلَبُوا دين الله جَلَّ جَلَالُهُ وشرعه، فَقَلَّبَ الله جَلَّ جَلَالُهُ صورهم كما قلبوا دينه.

- والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم، ومن لم يُمنسخ منهم في الدنيا مُسِخَ في قبره، أو يوم القيامة.

وبكل حال؛ فالمسخ لأجل الاستحلال بالاحتيال قد جاء في أحاديث كثيرة.

قال شيخنا^(٢): «وإنما ذلك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة؛ فإنهم لو استحلوها - مع اعتقاد أن الرسول حرَّمها - كانوا كفاراً، ولم يكونوا من أمته، ولو كانوا معترفين بأنها حرام لأوشك أن لا يعاقبوا بالمسخ؛ كسائر الذين يفعلون هذه المعاصي، مع اعترافهم بأنها معصية، ولما قيل فيهم: يستحلُّون؛ فإن المستحل للشيء هو الذي يفعله

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

(٢) انظر «بيان الدليل» (ص ٧٩).

معتقدًا حلّه؛ فيشبه أن يكون استحلالهم للخمر؛ يعني: أنهم يسمونها بغير اسمها، فيشربون الأنبذة المحرمة، ولا يسمونها: خمراً، واستحلالهم المعازف باعتقادهم: أن آلات الله و مجرد سماع صوت فيه لذة، وهذا لا يحرم كأصوات الطيور^(١)، واستحلال الحرير وسائر أنواعه باعتقادهم أنه حلال في بعض الصور؛ كحال الحرّ، وحال الحكّة، فيقيسون عليه سائر الأحوال، ويقولون: لا فرق بين حال وحال.

وهذه التأويلات ونحوها واقعة في الطوائف الثلاثة الذين قال فيهم عبدالله ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ:

وهل أفسد الدين إلا الملووك

وأجبار سوء ورهباننا^(٢)

ومعلوم أنها لا تغني عن أصحابها من الله شيئاً، بعد أن بلغ الرسول ﷺ، وبين تحريم هذه الأشياء بياناً قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة.

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ؛ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...» الحديث^(٣).

وهو أصل في إبطال الحيل، وبه احتج البخاري على ذلك^(٤). فإن من أراد أن يعامل رجلاً معاملة يعطيه فيها ألفاً بألف وخمس مئة إلى أجل، فأقرضه تسع مئة، وباعه ثوباً بست مئة يساوي مائة؛ إنما نوى بإقراض التسع مئة تحصيل الربح الزائد، وإنما نوى بالست مئة التي أظهر أنها ثمن الثوب: الربا.

(١) انظر رد هذه الشبهة في «الكلام على مسألة السماع» لابن قيم الجوزية (ص ٣٦٠-٣٦٧).

(٢) وانظر «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٢٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) في صحيحه (٢/٣٢٧) في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الإيثار وغيرها.

والله يعلم من جذر قلبه، وهو يعلمه، ومن عامله يعلمه؛ ومن اطلع على حقيقة الحال يعلمه.

فليس له من عمله إلا ما نواه وقصده حقيقةً من إعطاء الألف حالةً، وأخذ الألف والخمس مئة مؤجلةً، وجعل صورة القرض وصورة البيع محللاً لهذا المحرّم.

الوجه الرابع: أن باب الحيل المحرمة مداره على تسمية الشيء بغير اسمه، وعلى تغيير صورته مع بقاء حقيقته، فمداره على تغيير الاسم مع بقاء المسمى، وتغيير الصورة مع بقاء الحقيقة.

فإن المحلّل مثلاً غير اسم التحليل إلى اسم النكاح، واسم المحلّل إلى الزوج، وغير مسمى التحليل، بأن جعل صورته صورة النكاح، والحقيقة حقيقة التحليل.

ومعلوم قطعاً: أن لعن رسول الله ﷺ على ذلك إنما هو لما فيه من الفساد العظيم، الذي اللّعة من بعض عقوبته، وهذا الفساد لم يُزل بتغيير الاسم والصورة، مع بقاء الحقيقة، ولا بتقديم الشرط من صلب العقد إلى ما قبله؛ فإن المفسدة تابعة للحقيقة، لا للاسم، ولا لمجرد الصورة.

وكذلك؛ المفسدة العظيمة التي اشتمل عليها الربا، لا تزول بتغيير اسمه من الربا إلى المعاملة، ولا بتغيير صورته من صورة إلى صورة، والحقيقة معلومة متفق عليها بينهما قبل العقد، يعلمها من قلوبهما عالم السرائر، فقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد، ثم غيرا اسمه إلى المعاملة، وصورته إلى التبايع الذي لا قصد لهما فيه ألبتة، وإنما هو حيلة ومكر، ومخادعة لله جلّ جلاله ولرسوله ﷺ.

وأى فرق بين هذا وبين ما فعلته اليهود من استحلال ما حرّم الله عليهم من الشحوم بتغيير اسمه وصورته؟ فإنهم أذابوه حتى صار ودكاً، وباعوه، وأكلوا ثمنه، وقالوا: إنما أكلنا الثمن، لا الثمن، فلم نأكل شحمًا.

وكذلك؛ من استحلَّ الخمر باسم النبيذ، كما في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: أنه قال: «ليشربنَّ ناس من أمتي الخمر: يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير»^(١).

وإنما أتى هؤلاء من حيث استحلوا المحرمات بما ظنَّوه من انتفاء الاسم، ولم يلتفتوا إلى وجود المعنى المحرَّم وثبوته!

وهذا بعينه هو شبهة اليهود من استحلال بيع الشحم بعد جمِّه، واستحلال أخذ الحيتان يوم الأحد بما أوقعوها به يوم السبت في الحفائر والشباك من فعلهم يوم الجمعة، وقالوا: ليس هذا صيد يوم السبت، ولا استباحةً لنفس الشحم.

بل الذي يستحلُّ الشراب المسكر؛ زاعمًا: أنه ليس خمرًا، مع علمه: أن معناه: معنى الخمر، ومقصوده: مقصوده، وعمله: عمله؛ أفسد تأويلًا، فإنَّ الخمر اسم لكلِّ شرابٍ مسكرٍ؛ كما دلت عليه النصوص الصحيحة الصَّرِيحة^(٢).

فهؤلاء إنما شربوا الخمر استحلالًا لما ظنوا أن المحرَّم مجرد ما وقع عليه اللفظ، وأن ذلك اللفظ لا يتناول ما استحلَّوه.

وكذلك؛ شبهتهم في استحلال الحرير والمعازف؛ فإن الحرير أبيع للنساء وأبيع للضرورة، وفي الحرب، وقد قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٠٠)، وأبي داود (٣٦٨٨)، وورد تأمَّنًا عند ابن ماجه (٤٠٢٠)، وصححه شيخنا الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «الصحيحة» (١ / ١٨٤)، و«تحريم آلات الطرب» (ص ٤٥).

(٢) وقد بين ابن قيم الجوزية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جنائية التأويل على الإسلام، وأن خراب العالم وفساد الدين والدنيا بسبب فتح باب التأويل.

انظر «إعلام الموقعين» (٤ / ١٩٢)، و«الصواعق المرسله» (١ / ٣٤٨).

والمعازف قد أبيع بعضها في العرس ونحوه، وأبيع الحداء، وأبيع بعض أنواع الغناء!

وهذه الشبهة أقوى بكثيرٍ من شبه أصحاب الحيل، فإذا كان من عقوبة هؤلاء: أن يسمح بعضهم قردهً وخنازير، فما الظنُّ بعقوبة من جرّمهم أعظم، وفعلهم أقبح؟ فالقوم الذين يُخسف بهم ويُمسخون، إنما فعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد، الذي استحلّوا به المحارم بطريق الحيلة، وأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته في تحريم هذه الأشياء، ولذلك مُسخوا قردهً وخنازير، كما مُسخ أصحاب السبت بما تأوّلوا من التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم، وخسف ببعضهم كما خسف بقارون؛ لأن في الخمر والحريز والمعازف من الكبر والخيلاء ما في الزينة التي خرّج فيها قارون على قومه، فلما مسخوا دين الله جلّ جلاله مسخهم الله، ولما تكبروا عن الحقّ أذنبهم الله جلّ جلاله، فلما جمعوا بين الأمرين جمع الله لهم بين هاتين العقوبتين، وما هي من الظالمين ببعيد.

ومن المعلوم: أن الربا لم يجرم لمجرد صورته ولفظه، وإنما حرّم لحقيقته ومعناه ومقصوده، وتلك الحقيقة والمعنى والمقصود قائمة في الحيل الربويّة كقيامها في صريحه سواء، والمتعاقدان يعلمان ذلك من أنفسهما، ويعلمه من شاهد حالهما، والله يعلم أن قصدهما نفس الربا، وإنما توسلا إليه بعقدٍ غير مقصود، وسمياه باسم مستعارٍ غير اسمه!

ومعلوم: أن هذا لا يدفع التحريم، ولا يرفع المفسدة التي حرّم الربا لأجلها، بل يزيدها قوةً وتأكيّداً من وجوه عديدة:

منها: أنه يقدم على مطالبة الغريم المحتاج بقوة لا يقدم بمثلها المرابي صريحاً؛ لأنه واثق بصورة العقد واسمه.

ومنها: اعتقاده أن ذلك تجارة حاضرة مُدارة، والنفوس أرغب شيء في التجارة، فهو في ذلك بمنزلة من أحبّ امرأةً حبّاً شديداً، ويمنعه من وصلها كونها محرمةً عليه، فاحتال لها أن أوقع بينه وبينها صورة عقدٍ لا حقيقة له، يأمن به من بشاعة الحرام

وشناعته، فصار يأتيها آمنًا، وهما يعلمان في الباطن أنها ليست زوجته، وإنما أظهرها صورة عقيد يتوصلان به إلى الغرض.

ومن المعلوم: أن هذا يزيد المفاصد التي حرم الحكيم الخبير لأجلها الربا والزنى قوة؛ فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ حَرَّمَ الرِّبَا لما فيه من ضرر المحتاج، وتعريضه للفقر الدائم، والدين اللازم الذي لا ينفك عنه، وتولُّد ذلك وزيادته إلى غاية تجتاحه وتسلبه متاعه وأثابه؛ كما هو الواقع في الواقع.

فالربا أخو القمار، الذي يجعل المقمور سلبياً حزيناً محسوراً.

فمن تمام حكمة الشريعة الكاملة المنتظمة لمصالح العباد: تحريمه، وتحريم الذريعة الموصلة إليه، فكيف يُظنُّ بالشارع مع كمال حكمته أن يبيح التحيُّل والمكر على حصول هذه المفسدة، ووقوعها زائدة متضاعفة بأكل المحتال فيها مال المحتاج أضعافاً مضاعفة؟ ولو سلك مثل هذا بعض الأطباء مع المرضى لأهلكهم، فإن ما حرم الله جَلَّ جَلَالُهُ ورسوله ﷺ من المحرمات إنما هو حمية لحفظ صحة القلب، وقوة الإيَّان، كما أن ما يمنع منه الطبيب مما يضرُّ المريض حمية له، فإذا احتال المريض أو الطبيب على تناول ذلك المؤذي بتغيير صورته، مع بقاء حقيقته وطبعه، أو تغيير اسمه مع بقاء مسماه، ازداد المريض بتناوله مرضاً إلى مرضه، وترامى به إلى الهلاك، ولم ينفعه تغير صورته ولا تبدل اسمه.

وأنت إذا تأملت الحيل المتضمنة لتحليل ما حرم الله جَلَّ جَلَالُهُ، وإسقاط ما أوجب، وحل ما عقد، وجدت الأمر فيها كذلك، ووجدت المفسدة الناشئة منها أعظم من المفسدة الناشئة من المحرمات الباقية على صورها وأسمائها، والوجدان شاهد بذلك.

فإنه جَلَّ جَلَالُهُ إنما حَرَّمَ هذه المحرمات وغيرها لما اشتملت عليه من المفاصد المضرة بالدنيا والدين، ولم يحرمها لأجل أسمائها وصورها.

ومعلوم: أن تلك المفاصد تابعة لحقائقها، لا تزول بتبدُّل أسمائها، وتغيُّر صورها.

ولو زالت تلك المفاصد بتغير الصورة والأسماء؛ لما لعن الله جَلَّ جَلَالُهُ اليهود على تغيير صورة الشحم واسمه بإذابته؛ حتى استحدث اسم الودك وصورته، ثم أكلوا ثمنه، وقالوا: لم نأكله، وكذلك تغيير صورة الصيد يوم السبت بالصيد يوم الأحد.

فتغيير صور المحرمات وأسمائها مع بقاء مقاصدها وحقائقها زيادة في المفسدة التي حرمت لأجلها، مع تضمنه لمخادعة الله جَلَّ جَلَالُهُ ورسوله، ونسبة المكر والخداع والغش والنفاق إلى شرعه ودينه، وأنه يُحَرِّم الشيء لمفسدة، ويبيحها لأعظم منها.

ولهذا؛ قال أيوب السخيتاني: يخادعون الله؛ كأنها يخادعون الصبيان، لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون.

وقال بشر بن السري - وهو من شيوخ الإمام أحمد -: نظرت في العلم، فإذا هو الحديث والرأي.

فوجدت في الحديث ذكر النبيين، والمرسلين، وذكر الموت، وذكر ربوبية الرب جَلَّ جَلَالُهُ وجلاله وعظمته، وذكر الجنة والنار، والحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام، وجماع الخير.

ونظرت في الرأي؛ فإذا فيه: المكر، والخديعة، والتشاح، واستقصاء الحق، والمهارة في الدين، واستعمال الحيل، والبعث على قطيعة الأرحام، والتجرؤ على الحرام.

وقال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل - وذكر أصحاب الحيل - فقال: يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ.

والرأي الذي اشتقت منه الحيل: المتضمنة لإسقاط ما أوجب الله جَلَّ جَلَالُهُ وإباحة ما حرم الله؛ هو: الذي اتفق السلف على ذمّه وعيبه.

فروى حرب عن الشعبي؛ قال: قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وأرأيت، أرأيت، فإنها هلك من كان قبلكم بـ (أرأيت، أرأيت)، ولا تقيسوا شيئاً بشيء، فتزّل قدم بعد ثبوتها».

وعن الشعبي عن مسروق؛ قال: قال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس من عام إلا والذي بعده شرُّ منه، لا أقول: أمير خير من أمير، ولا عام أخصب من عام، ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم، فينهدم الإسلام، وينتلم».

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن، أعتيهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم».

وذكر لأحمد أن امرأة كانت تريد أن تفارق زوجها، فإبى عليها، فقال لها بعض أرباب الحيل: لو ارتددت عن الإسلام؛ بنت منه، ففعلت: فغضب أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: من أفتى بهذا أو علمه أو رضي به؛ فهو كافر.

وكذلك قال عبد الله بن المبارك، ثم قال: ما أرى الشيطان يحسن مثل هذا حتى جاء هؤلاء؛ فتعلمه منهم.

وقال يزيد بن هارون: أفتى أصحاب الحيل بشيء لو أفتى به اليهود والنصارى؛ كان قبيحًا، أفتوا رجلًا حلف أن لا يطلق امرأته بوجه من الوجوه، فبذلت له مالًا كثيرًا في طلاقها، فأفتوه بأن يقبل أمها أو يباشرها.

قلت: ومن تأمل الشريعة ورزق فيها فقه نفس؛ رآها قد أبطلت على أصحاب الحيل مقاصدهم، وقابلتهم بنقيضها، وسدَّت عليهم الطرق التي فتحوها للتحيُّل الباطل. فمن ذلك: أن الشارع منع المتحيُّل على الميراث بقتل مورثه ميراثه، ونقله إلى غيره دونه لما احتال عليه بالباطل.

ومن ذلك: بطلان وصية الموصى له بهال إذا قتل الموصي. ونظائر ذلك كثيرة.

فالمحتال بالباطل معامل بنقيض قصده شرعًا وقدرًا^(١).

(١) انظر تأصيل هذه القاعدة في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٩٣).

وقد شاهد الناس عيانًا: أنه من عاش بالمكر مات بالفقر.

ولهذا عاقب الله جَلَّ جَلَالُهُ من احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت الجداد بحرمانهم الثمرة كلها.

وعاقب من احتال على الصيد المحرم بأن مسخهم قردة وخنازير.

وعاقب من احتال على أكل أموال الناس بالربا بأن يُمَحِّقَ ماله؛ كما قال جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، فلا بد أن يمحق مال المرابي، ولو بلغ ما بلغ.

وأصل هذا: أن الله جَلَّ جَلَالُهُ جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضد ما قصدوا له بتلك الجرائم.

فجعل عقوبة الكاذب: إهدار كلامه، وردَّه عليه.

وجعل عقوبة من تكبَّر عن قبول الحقِّ والانقياد له: أن ألزمه من الذلِّ والصَّغار

بحسب ما تكبَّر عنه من الحقِّ.

وجعل عقوبة من استكبر عن عبوديته وطاعته: أن صيَّره عبدًا لأهل عبوديته

وطاعته.

وجعل عقوبة من التذَّب بدنه كلُّه وروحه بالوطء الحرام: إيلام بدنه وروحه بالجلد

والرجم، فيصل الأم إلى حيث وصلت اللذة.

وشرع النبي ﷺ عقوبة من اطلع في بيت غيره: أن تفلع عينه بعودٍ ونحوه؛ إفسادًا

للعضو الذي خانته به، وأولجه بيته بغير إذنه، واطلع به على حرمة.

وعاقب كلَّ خائن: بأنه يضلُّ كيده ويبطله، ولا يهديه لمقصوده، وإن نال بعضه،

فالذي ناله سبب لزيادة عقوبته وخيبته: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الشَّاكِرِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وهذا باب واسع جدًا، عظيم النفع، فمن تدبره يجده متضمنًا لمعاقبة الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

من خرج عن طاعته بأن يعكس عليه مقصوده شرعًا وقدرًا، دنيا وأخرى.

وقد اطردت سنته الكونية جَلَّ جَلَالُهُ في عبادته، بأن من مكر بالباطل؛ مُكِرَّ به، ومن احتال؛ أُحتِيل عليه، ومن خادع غيره؛ خُدِع.

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

فلا تجد ماكرًا إلا وهو مكمور به، ولا مخادعًا إلا وهو مخدوع، ولا محتالًا إلا وهو محتال عليه.

وإذا تدبرت الشريعة وجدتها قد أتت بسدِّ الذرائع إلى المحرمات، وذلك عكس باب الحيل الموصلة إليها.

فالحيل وسائل وأبواب إلى المحرمات، وسدِّ الذرائع عكس ذلك.

فبين البابين أعظم تناقض، والشارع حرم الذرائع، وإن لم يقصد بها المحرم؛ لإفضائها إليه، فكيف إذا قصد بها المحرم نفسه؟!

فنهى الله جَلَّ جَلَالُهُ عن سبِّ آلهة المشركين؛ لكونه ذريعة إلى أن يسبوا الله جَلَّ جَلَالُهُ عَدُوًّا وكفرًا، على وجه المقابلة.

وأخبر النبي ﷺ أن: «من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه».

قالوا: وهل يشتم الرجل والديه؟!

قال: «نعم؛ يسب أباً الرجل؛ فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه»^(١).

ولما جاءت صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تزوره ﷺ، وهو معتكف قام معها؛ ليوصلها إلى بيتها، فرأهما رجلان من الأنصار، فقال: «على رسلكما؛ إنها صفية بنت حيمي»؛ فقالا: سبحان الله! يا رسول الله! فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢١٩)، ومسلم (٢١٧٥) عن صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فسد الذريعة إلى ظنهما بالسوء بإعلامهما: أنها صافية.
 وحرَم الخلوَّة بالمرأة الأجنبية، والسفر بها، والنظر إليها لغير حاجة؛ حسماً للمادة،
 وسدّاً للذريعة.

ومنع النساء إذا خرجن إلى المسجد من الطيب والبخور.
 ومنعهن من التسييح في الصلاة لثأبة تنوب، بل جعل لهن التصفيق.
 ونهى المرأة أن تصفَ لزوجها امرأة غيرها؛ حتى كأنه ينظر إليها.
 ونهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن فاعله.
 ونهى عن تعلية القبور وتشريفها، وأمر بتسويتها.
 ونهى عن البناء عليها، وتخصيصها، والكتابة عليها، والصلاة إليها وعندها؛ كلُّ
 ذلك سدّاً للذريعة اتخاذاها أوثاناً.

وهذا كله حرام على من قصده ومن لم يقصده، بل على من قصد خلافه؛ سدّاً
 للذريعة.

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، لكون هذين الوقتين وقت
 سجود الكفار للشمس، ففي الصلاة نوع تشبه بهم في الظاهر، وذلك ذريعة إلى الموافقة
 والمشابهة في الباطن.

وكذلك النهي عن الصلاة بعد العصر، وبعد الفجر، وإن لم يحضر وقت سجود
 الكفار للشمس، مبالغة في هذا المقصود، وحماية لجانب التوحيد، وسدّاً للذريعة الشرك
 بكل ممكن.

ونهى الله جَلَّ جَلَالُهُ النساء: **﴿يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾**
 [النور: ٣١]، فلما كان الضرب بالرَّجُل ذريعة إلى ظهور صوت الخللخال: الذي هو
 ذريعة إلى ميل الرجال إليهن نهاهن عنه.

وأمر الله جَلَّ جَلَالُهُ الرجال والنساء بغضِّ أبصارهم، لما كان النظر ذريعة إلى الميل والمحبة التي هي ذريعة إلى موقعة المحذور.

ونهى عن استقبال رمضان بيوم أو يومين؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى الزيادة في الصوم الواجب؛ كما فعل أهل الكتاب.

ونهى عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة؛ لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة، فإنه إذا أشبه الهدى الهدى؛ أشبه القلب القلب، وقد قال ﷺ: «من تشبه بقوم؛ فهو منهم»^(١).

وأمر بالتسوية بين الأولاد في العتية، وأخبر أن تخصيص بعضهم بها جور لا يصلح، ولا ينبغي الشهادة عليه، وأمر فاعله برده، ووعظه، وأمره بتقوى الله جَلَّ جَلَالُهُ، وأمره بالعدل؛ لكون ذلك ذريعة ظاهرة قريبة جداً إلى وقوع العداوة بين الأولاد وقطيعة الرحم بينهم، كما هو المشاهد عياناً، فلو لم تأت السنة الصحيحة الصريحة التي لا معارض لها بالمتع منه؛ لكان القياس وأصول الشريعة، وما تضمنته من المصالح ودرء المفاسد يقتضي تحريمه.

ومن ذلك: أنه جَلَّ جَلَالُهُ نهى الصحابة أن يقولوا للنبي ﷺ: ﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، مع قصدهم المعنى الصحيح، وهو المراعاة؛ لئلا يتخذ اليهود هذه اللفظة ذريعة إلى السبِّ، ولئلا يتشبهوا بهم، ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسداً.

ومن ذلك؛ أن النبي ﷺ منع الرجل من أخذ نظير حقه بصورة الخيانة ممن خانه، وجحد حقه، وإن كان إنما يأخذ حقه أو دونه، فقال لمن سأله عن ذلك: «أدَّ الأمانة إلى

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف ..»: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠ و ٩٢)، وعبد بن حميد (٨٤٨) وغيرهم بإسناد جيد. وأخرج هذه الجملة أبو داود (٤٣٠١).

وانظر «إرواء الغليل» (١٢٦٩)، و«جلباب المرأة المسلمة» كلاهما لشيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٢٠٣).

من ائتمنك، ولا تخن من خانك»^(١)؛ لأن ذلك ذريعة إلى إساءة الظنّ به، ونسبته إلى الخيانة، ولا يمكنه أن يحتج عن نفسه، ويقيم عذره، مع أن ذلك -أيضاً- ذريعة إلى أن لا يقتصر على قدر الحقّ وصفته؛ فإن النفوس لا تقتصر في الاستيفاء غالباً على قدر الحقّ^(٢). ومن ذلك: نهيه ﷺ عن الذرائع التي توجب الاختلاف، والتفرق، والعداوة، والبغضاء:

كخطبة الرجل على خطبة أخيه.

وسومه على سومه.

وبيعه على بيعه.

وسؤال المرأة طلاق ضرتها.

وقال: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما»^(٣)؛ سدّاً لذريعة الفتنة والفرقة.

ونهى عن قتال الأمراء، والخروج على الأئمة، وإن ظلموا وجاروا: ما أقاموا الصلاة؛ سدّاً لذريعة الفساد العظيم، والشرّ الكبير بقتالهم؛ كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم من الشرور أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، والدارمي (٢٦٣٩)، والحاكم (٢٢٩٦)، بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وله شواهد عن جمع من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ منهم: سمرة، وأنس، وصفوان بن أمية، وأبو أمامة، وهو بها صحيح والله أعلم.

(٢) وقد ينازع في هذا الاستدلال؛ إذ المسألة محل خلاف عند الفقهاء فيما يسمونه بمسألة الظفر، وينظر في بسطها: «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٩ / ١٦٠ وما بعدها).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) صدق رَحِمَهُ اللهُ؛ فإن الأمة الإسلامية لا تزال في تلك الشرور وهاتيك الفتن إلى يوم الناس هذا؛ وما خبر (الربيع العبري = الخريف العربي) عنا ببعيد.. بل سيبقى إلى آخر الزمان -إلا أن يشاء الله - . فالله المستعان، وعليه التكلان، ونعوذ به من الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان.

ومن ذلك: أن الشروط المضروبة على أهل الذمّة تضمنت تمييزهم عن المسلمين في اللباس، والشعور، والمراكب، والمجالس؛ لثلاث تفضي مشابهمهم للمسلمين في ذلك إلى معاملتهم معاملة المسلمين في الإكرام، والاحترام، ففي إلزامهم بتمييزهم عنهم سدًا لهذه الذريعة.

ولو لم يكن في هذا الباب إلا أن الله جَلَّ جَلَالُهُ أوجب إقامة الحدود؛ سدًا للذريعة إلى الجرائم، إذا لم يكن عليها وازع طبيعي، وجعل مقادير عقوباتها، وأجناسها، وصفاتها؛ بحسب مفاستها في نفسها، وقوة الداعي إليها، وتقاضي الطباع لها.

وبالجملته: فالمحرمات قسمان:

مفاسد.

وذرائع موصلة إليها، مطلوبة الإعدام؛ كما أن المفاسد مطلوبة الإعدام.

والقربات نوعان:

مصالح للعباد.

وذرائع موصلة إليها.

ففتح باب الذرائع في النوع الأول؛ كسد باب الذرائع في النوع الثاني، وكلاهما مناقض لما جاءت به الشريعة، فبين باب الحيل وباب سدّ الذرائع أعظم تناقض.

وكيف يظن بهذه الشريعة العظيمة الكاملة، التي جاءت بدفع المفاسد، وسدّ أبوابها، وطرقها: أن تُجَوِّزَ فتح باب الحيل، وطرق المكر على إسقاط واجباتها، واستباحة محرّماتها، والتدرُّع إلى حصول المفاسد التي قصدت دفعها؟!!

وإذا كان الشيء الذي قد يكون ذريعة إلى الفعل المحرّم:

إما بأن يقصد به ذلك المحرّم.

أو بأن لا يقصد به، وإنما يقصد به المباح نفسه، لكن قد يكون ذريعة إلى المحرّم،

يجرمه الشارع بحسب الإمكان، ما لم يعارض ذلك مصلحة راجحة تقتضي حلّه.

فالتذرع إلى المحرمات بالاحتيال عليها أولى أن يكون حراماً.

وأولى بالإبطال والإهدار، إذا عرف قصد فاعله.

وأولى أن لا يعان فاعله عليه، وأن يُعامل بنقيض قصده، وأن يبطل عليه كيد

ومكره.

وهذا بحمد الله جَلَّ جَلَالُهُ بَيِّنٌ لمن له فقه وفهم في الشرع ومقاصده.

وقد استدلل البخاري في «صحيحه»^(١) على بطلان الحيل بقوله ﷺ: «لا يجمع بين

متفرق، ولا يفرق بين مجتمع؛ خشية الصدقة».

فإن هذا النهي يَعُمُّ ما قبل الحول وما بعده.

واحتج بقوله ﷺ في الطاعون: «إذا وقع بأرض وأنتم بها؛ فلا تخرجوا فراراً منه»^(٢).

وهذا من دقة فقهه رَحِمَهُ اللهُ؛ فإنه إذا كان قد نهى ﷺ عن الفرار من قدر الله جَلَّ جَلَالُهُ إذا

نزل بالعبد رضى بقضاء الله جَلَّ جَلَالُهُ وتسليماً لحكمه، فكيف بالفرار من أمره ودينه إذا نزل

بالعبد؟!!

واحتج أحمد: على بطلان الحيل وتحريمها بلعنة رسول الله ﷺ للمحلل^(٣).

واحتج ابن عباس، وبعده أيوب السخيتاني وغيره من السلف بأن الحيل مخادعة لله

جَلَّ جَلَالُهُ، وقد قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾

[البقرة: ٩]؛ قال ابن عباس: «ومن يخادع الله يخدعه».

ولا ريب أن من تدبر القرآن والسنة ومقاصد الشارع؛ جزم بتحريم الحيل وبطلانها؛

فإن القرآن دلَّ على أن المقاصد والنيات معتبرة في التصرف والعتادات؛ كما هي معتبرة في

(١) برقم (٦٩٥٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ حيث ذكره ضمن كتاب الحيل في

«صحيحه».

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٧٣)، ومسلم (٢٢١٨) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) مضى تخريجه (ص ١٣٦).

القربات والعبادات، فيجعل الفعل حلالاً أو حراماً، وصحيحاً أو فاسداً، وصحيحاً من وجه، فاسداً من وجه، كما أن القصد والنية في العبادات تجعلها كذلك.

وشواهد هذه القاعدة كثيرة جداً في الكتاب والسنة.

فمنها: قوله **جَلَّ جَلَالُهُ** في آية الرجعة: ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١]، وذلك نصٌّ في أن الرجعة إنما تثبت لمن قصد الصلاح دون الضرار، فإذا قصد الضرار؛ لم يُملكه الله **جَلَّ جَلَالُهُ** الرجعة.

ومن ذلك: قوله **جَلَّ جَلَالُهُ**: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ [النساء: ١٩]؛ فهذا دليل على أنه إذا عضلها لتفتدي نفسها منه، وهو ظالم لها بذلك، لم يحلَّ له أخذ ما بذلته له، ولا يملكه بذلك.

ومن ذلك: قوله **جَلَّ جَلَالُهُ**: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]؛ فحرم **جَلَّ جَلَالُهُ** أن يأخذ منها شيئاً مما آتاها، إذا كان قد توسل إليه بالعضل.

والحيل في عرف الفقهاء إذا أطلقت: يقصد بها الحيل التي تُستحلُّ بها المحارم، كحيل اليهود، وكل حيلة تتضمن إسقاط حقِّ الله **جَلَّ جَلَالُهُ**، أو لآدمي، فهي مما يُستحلُّ بها المحارم. إذا عرف ذلك؛ فالمحرَّم أن يقصد بالعقود الشرعية غير ما شرعها الله **جَلَّ جَلَالُهُ** ورسوله له، فيصير مخادعاً لله **جَلَّ جَلَالُهُ** ورسوله ﷺ، كائدًا لدينه، ماکراً بشرعه، فإن مقصوده: حصول الشيء الذي حرمه الله **جَلَّ جَلَالُهُ** ورسوله بتلك الحيلة، وإسقاط الذي أوجبه بتلك الحيلة.

ومما لا يسع أحدٌ ردهً: أن الله **جَلَّ جَلَالُهُ** أغنانا بما شرعه لنا من الخيفية السمحة، وما يسره من الدين على لسان رسوله ﷺ، وسهله للأمة عن الدخول في الأصار والأغلال، وعن ارتكاب طرق المكر، والخداع، والاحتيال؛ كما أغنانا عن كل باطل ومحرم وضارٍّ، بما هو أنفع لنا منه: من الحقِّ والمباح النافع.

فأغنانا بأعياد الإسلام عن أعياد الكفار والمشركين: من أهل الكتاب، والمجوس،
والصابئين، وعبدة الأصنام.

وأغنانا بوجوه التجارات والمكاسب الحلال، عن الربا، والميسر، والقيار.

وأغنانا بنكاح ما طاب لنا من النساء مثني وثلاث ورباع، عن الزنا، والفواحش.

وأغنانا بأنواع الأشربة اللذيذة النافعة للقلب والبدن، عن الأشربة الخبيثة المسكرة:
المذهبة للعقل والدين.

وأغنانا بأنواع الملابس الفاخرة: من الكتان، والقطن، والصوف، عن الملابس
المحرمة: من الحرير، والذهب.

وأغنانا عن سماع الآيات وقرآن الشيطان بسماع الآيات وكلام الرحمن.

وأغنانا عن الاستقسام بالأزلام^(١)؛ طلباً لما هو خير وأنفع لنا باستخارته التي هي
توحيد، وتفويض، واستعانة، وتوكل.

وأغنانا عن طلب التنافس في الدنيا وعاجلها بما أحبه لنا وندبنا إليه من التنافس في
الآخرة، وما أعد لنا فيها، وأباح الحسد في ذلك^(٢)، وأغنانا به عن الحسد على الدنيا
وشهواتها.

وأغنانا بالفرح بفضله ورحمته - وهما: القرآن والإيمان - عن الفرح بما يجمعه أهل
الدنيا من المتاع، والعقار، والأثمان؛ فقال جل جلاله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

(١) الزِّمُّ أو الزَّلْمُ: السهم الذي لا ريش عليه، وجمعه: أزلام، وكان أهل الجاهلية يستقسمون
بالأزلام: إذ كانوا يكتبون عليها الأمر أو النهي، ويضعونها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده
في الوعاء، فأبها خرج عملوا به؛ انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٨).

(٢) أي: حسد الغبطة؛ كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال: «لا حسد إلا في
اثنتين: رجل آتاه الله مالاً؛ فسَلَطَه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة؛ فهو يقضي بها ويعلمها».
أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

وأغنانا بالتكبر على أعداء الله جَلَّ جَلَالُهُ، وإظهار الفخر والخيلاء لهم، عن التكبر عن أولياء الله جَلَّ جَلَالُهُ، والفخر والخيلاء عليهم، فقال ﷺ لمن رآه يتبختر بين الصفين: «إنها لمشية يبغضها الله؛ إلا في مثل هذا الموطن»^(١).

وأغنانا بالفروسية الإيانية، والشجاعة الإسلامية، التي تأثيرها في الغضب على أعدائه، ونصرة دينه، عن الفروسية الشيطانية، التي يبعث عليها الهوى، وحمية الجاهلية. وكذلك أغنانا بالطرق الشرعية عن طرق أهل المكر والاحتيال.

فلا تشتد حاجة الأمة إلى شيء إلا وفيها جاء به الرسول ﷺ ما يقتضي إباحته وتوسعته؛ بحيث لا يوجههم فيه إلى مكر واحتيال، ولا يلزمهم الآصار والأغلال، فلا هذا من دينه، ولا هذا.

كما أغنانا بالبراهين والآيات التي أرشد إليها القرآن عن الطرق المتكلفة المتعسفة المعقدة، التي باطلها أضعاف حقها، من الطرق الكلامية، التي الصحيح منها؛ «كلحم جمل غثٌ على رأس جبل وعمر، لا سهل؛ فيرتقى، ولا سمين؛ فيثقل»^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٦٠٦)، وابن إسحاق في «السيرة» (١٢/٣)، ومن طريقه البيهقي في «الدلائل» (٢٣٤/٣)، وهو حسن بمجموع طرقه، وقد قاله ﷺ لأبي دجاجة رخصة في الخيلاء بالحرب لما في ذلك من الإرهاب على أعداء الله.

انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠٦/٥).

(٢) اقتباس من حديث أم زرع، أخرجه: البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨) من حديث عائشة ل.

وقوله: (الغث)؛ أي: المهزول.

(لا سهل فيرتقى)؛ أي: الجبل، لا يستطاع الصعود عليه.

(ولا سمين)؛ أي: اللحم.

(فيثقل)؛ أي: تنقله الناس إلى بيوتهم؛ ليأكلوه، بل يتركوه رغبة عنه؛ لرداءته.

ونحن نعلم علمًا لا نشك فيه: أن الحيل التي تتضمن تحليل ما حرمه الله جَلَّ جَلَالُهُ، وإسقاط ما أوجبه لو كانت جائزة لسنَّها الله جَلَّ جَلَالُهُ، وندب إليها لما فيها من التوسعة، والفرج للمكروب، والإغاثة للملهوف، كما ندب إلى الإصلاح بين الخصمين.

فهلَّا ندب النبي ﷺ إلى الحيل، وحضَّ عليها؛ كما حضَّ على إصلاح ذات البين؟ بل لم يزل يُحذِّر من الخداع، والمكر، والنفاق، ومشابهة أهل الكتاب؛ باستحلال محارمه بأدنى الحيل!

ولو كان مقصود الشارع إباحة تلك المحرمات: التي رتب عليها أنواع الدَّمِّ والعقوبات، وسدَّ الذرائع الموصلة إليها لم يجرمها ابتداءً، ولا رتبَّ عليها العقوبة، ولا سدَّ الذرائع إليها، وكان ترك أبوابها مفتحة أسهل من المبالغة في غلقها وسدّها، ثم يفتح لها أنواع الحيل، حتى ينقَّب المحتال عليها من كل ناحية، فهذا مما تصان عنه الشرائع، فضلًا عن أكملها شريعة، وأفضلها دينًا.

وقد قدمنا: أن الضرر والمفاسد الحاصلة من تلك المحرمات لا يزول بالاحتيال والتنقيب عليها، بل تقوى وتشتد مفاسدها»^(١).

(١) «إغاثة اللهفان» (١/٣٣٨ وما بعدها) باختصار وتصرف.

بنو إسرائيل والغلو

نفوس اليهود خبيثة تملؤها اللّجاجة، ويسكنها الفساد، ويستوطنها التنطع والتعمّق؛ فلا تهدأ إلا على مركب العنت، ولا تمر إلا على جسر من الغلو، وهذا واضح في قصة البقرة:

فإن القضية لا تستحق كلّ هذه المفاوضات بينهم وبين نبيهم كليم الله عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولا تستوجب كلّ هذا التّشديد؛ فلو أنهم عندما استعرضوا البقر؛ أخذوا إحداها؛ لكفتهم؛ كما قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها؛ لكنهم شدّدوا؛ فشدّد الله عليهم»^(١).

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وهو يذكر العبر المستفادة من قصة البقرة: «... ومنها: أنه لا ينبغي مقابلة أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ بالتعنّت، وكثرة الأسئلة، بل يبادر إلى الامتثال؛ فإنهم لما أمروا أن يذبحوا بقرة؛ كان الواجب عليهم: أن يبادروا إلى الامتثال بذبح أيّ بقرة انفقت، فإن الأمر بذلك لا إجمال فيه ولا إشكال، بل هو بمنزلة قوله: أعتق رقبة، وأطعم مسكيناً، وصم يوماً، ونحو ذلك، ولذلك غلط من احتج بالآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، فإن الآية غنيّة عن البيان المنفصل، مبيّنة نفسها، ولكن لما تعتّبوا وشدّدوا؛ شدّد عليهم»^(٢).

وهذا الذي وقع فيه بنو إسرائيل من مظاهر الغلو عندهم؛ وهو: مما نهاهم الله عنه:

(١) مضي تخريجه (ص ١٥).

(٢) «إغاثة اللفهان» (٢/٣١٥).

فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ولما وقع بنو إسرائيل في الغلو هلكوا، وتفرَّقوا طرائق قديداً:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال لي رسول الله ﷺ ذات غداة العقبة (١) - وهو وهو على راحلته -: «القط لي حصي»؛ فلقطت له سبع حصيات هن حصي الخذف (٢)؛ فقال: «أمثال هؤلاء؛ فارموا»، ثم قال: «يا أيها الناس! إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (٣).

وسبب ورود حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ينه على أمر مهم؛ وهو: أن الغلو يبدأ بالأمر الصغير، والشيء الحقيق، ولن يلبث إلا الوقت اليسير حتى يتسع خطره، ويتطير شرره؛ حتى يقول الغلاة على الله غير الحق، فضلوا وأضلوا، فمن الغلو تأتي جميع الانحرافات، فحق عليهم القول؛ فأهلكهم الله.

(١) أي صباح جمرة العقبة الكبرى، وهو صباح يوم النحر.

(٢) حذفت الحصاة؛ أي: رميتها بطرفي الإبهام والسبابة، والمراد الحصى الصغار؛ انظر: «المصباح

المنير» (١/١٦٥).

(٣) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣٢٤٨) وأبو يعلى (٢٤٢٧) و

(٢٤٧٢)، وابن الجارود (٤٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٤٧)، والحاكم (١٧١١) بإسناد

صحيح؛ انظر: «الصحيحة» (١٢٨٣).

ولذلك حذرنا رسول الله ﷺ من اتباع سنن النصارى؛ مبيِّناً: أن الغلو مناف لحقيقة العبودية؛ فقال: «لا تطروني؛ كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١).

ولقد بيّن رسول الله ﷺ: أن عاقبة الغلو والتنطع والتشدّد في العبودية: الهلاك؛ فقال ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً^(٢).

ولقد قاوم الرسول ﷺ كلَّ اتجاه إلى الغلو في العبودية، وأنكر على من أراد أن يُجرِّم على نفسه النوم بالليل، وآخر الأكل بالنهار، وآخر إتيان النساء، وآخر أكل اللحم، وبعضهم همّ بالاختصاص مبالغة في التعبد، وزيادة في التزهّد، وفي أمثالهم قال رسول الله ﷺ: «من رغب عن سنتي؛ فليس مني»^(٣).

ورحم الله شيخ الإسلام القائل: «دين الله وسط: بين الغالي فيه والجاهلي عنه»^(٤). وما ذلك؛ إلا لأنه من كيد الشيطان: «أنه يشام»^(٥) النفس حتى يعلم أيّ القوتين تغلب عليها:

قوّة الإقدام والشجاعة.

أم قوّة الانكفاف والإحجام والمهانة؟

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام؛ أخذ في تشييطه، وإضعاف همّته وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهوّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يُقصر فيه، ويتهاون به.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨١ و ٥/ ٥٨ و ٢٦١ و ١٨/ ١٩١ و ٢٨/ ٢١٣).

(٥) جاء في «مختار الصحاح» (ص ١٧١): «شام يخایل النفس: تطلع نحوها ببصره منتظراً له».

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلوَّ الهمة؛ أخذ يُقَلِّلُ عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة.
فيقصر بالأول.

ويتجاوز بالثاني.

كما قال بعض السلف: «ما أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان:

إما إلى تفريط وتقصير.

وإما إلى مجاوزة وغلو.

ولا يبالي بأيهما ظفر».

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقلَّ القليل في هذين الوادين:

وادي التقصير.

ووادي المجاوزة والتعدي.

والقليل منهم جدًّا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه:

فقوم قَصَّرَ بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد

بالوساوس.

وقوم قصر بهم عن إخراج الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع

ما في أيديهم، وقعدوا كَلًّا على الناس، مستشرفين إلى ما بأيديهم! ^(١)

وقوم قَصَّرَ بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى

أضروا بأبدانهم وقلوبهم.

وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة، فأضروا بقلوبهم وأبدانهم.

(١) وانظر لمزيد بيان حول هذه المسألة: «إتحاف السالك بفوائد حديث المخلفين من رواية كعب

بن مالك» بقلمني (ص ١٨٣).

وكذلك قصر بقوم في حقّ الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم.

وتجاوز بأخرين حتى عبدوهم.

وقصر بقوم في خلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعات؛ كالجمعة، والجماعات، والجهاد، وتعلّم العلم، وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم، والمعاصي، والآثام.

وقصر بقوم حتى منعهم من الاشتغال بالعلم الذي ينفعهم.

وتجاوز بأخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به.

وقصر بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية دون غذاء بني آدم.

وتجاوز بأخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص.

وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله ﷺ من النكاح، فرغبوا عنه بالكلية.

وتجاوز بأخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام.

وقصر بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصلاح، وأعرضوا عنهم، ولم

يقوموا بحقهم.

وتجاوز بأخرين حتى عبدوهم مع الله جلّ جلاله.

وكذلك قصر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية.

وتجاوز بأخرين حتى جعلوا الحلال ما حلّوه، والحرام ما حرّموه، وقدموا أقوالهم

على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة.

وقصر بقوم حتى قالوا: إن الله جلّ جلاله لا يقدر على أفعال عباده، ولا شاءها منهم،

ولكنهم يعملونها بدون مشيئة الله جلّ جلاله وقدرته.

وتجاوز بأخرين حتى قالوا: إنهم لا يفعلون شيئاً ألبتة، وإنما الله جلّ جلاله هو فاعل

تلك الأفعال حقيقةً، فهي نفس فعله لا أفعالهم، والعبد ليس له قدرة ولا فعل البتة.

وقصر بقوم حتى قالوا: إن رب العالمين ليس داخلاً في خلقه، ولا بائناً عنهم، ولا

هو فوقهم، ولا تحتهم، ولا خلفهم، ولا أمامهم، ولا عن أيّانهم، ولا عن شمائلهم.

وتجاوز بأخريين حتى قالوا: هو في كل مكان بذاته؛ كالهواء الذي هو داخل في كل مكان^(١).

وقصر بقوم حتى قالوا: لم يتكلم الرب بكلمة واحدة ألته.

وتجاوز بأخريين حتى قالوا: لم يزل أزلاً وأبداً قائلاً: ﴿يَا لَيْسَ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥]، ويقول لموسى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ [طه: ٢٤]، فلا يزال هذا الخطاب قائماً به ومسموعاً منه؛ كقيام صفة الحياة به.

وقصر بقوم حتى قالوا: إن الله جَلَّ جَلَالُهُ لَا يُشْفَعُ أَحَدًا فِي أَحَدٍ أَلْتَه، ولا يرحم أحدًا بشفاعة أحد.

وتجاوز بأخريين حتى زعموا: أن المخلوق يشفع عنده بغير إذنه؛ كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم.

وقصر بقوم حتى قالوا: إيهان أفسق الناس وأظلمهم؛ كإيهان جبريل وميكائيل؛ فضلاً عن أبي بكر وعمر.

وتجاوز بأخريين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة.

وقصر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب جَلَّ جَلَالُهُ وصفاته، وعطلوه منها.

وتجاوز بأخريين حتى شبهوه بخلقه، ومثلوه بهم.

وقصر بقوم حتى عادوا أهل بيت رسول الله ﷺ، وقاتلوههم، واستحلوا حرماتهم.

وتجاوز بقوم حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة: من العصمة وغيرها، وربما ادعوا

فيهم الإلهية.

وكذلك قصر باليهود في المسيح حتى كذبوه، ورموه وأمه بما برأهما الله جَلَّ جَلَالُهُ منه.

(١) والحق الذي أجمعت عليه الأمة: أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه، بائن عن خلقه، ومع هذا فهو معهم أينما كانوا بعلمه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وانظر رسالتي: «أين الله؟» وكتابي الآخر: «مهدب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية».

وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله ، وجعلوه إلهًا يُعْبَدُ مع الله .
 وقصر بقوم حتى نفوا الأسباب والقوى والطبائع والغرائز.
 وتجاوز بأخرين حتى جعلوها أمرًا لازمًا لا يمكن تغييره ولا تبديله، وربما جعلها
 بعضهم مستقلة بالتأثير.

وقصر بقوم حتى تعبدوا بالنجاسات؛ وهم: النصارى وأشباههم.
 وتجاوز بقوم حتى أفضى بهم الوسواس إلى الآصار والأغلال؛ وهم: أشباه اليهود.
 وقصر بقوم حتى تزيّنوا للناس وأظهروا لهم من الأعمال والعبادات ما يمدونهم
 عليه.

وتجاوز بقوم حتى أظهروا لهم من القبائح ومن الأعمال السيئة ما يسقطون به
 جاههم عندهم، وسموا أنفسهم: الملامتية^(١).
 وقصر بقوم حتى أهملوا أعمال القلوب، ولم يلتفتوا إليها، وعدّوها فضلًا، أو
 فضولًا.

وتجاوز بأخرين حتى قصروا نظرهم وعملهم عليها، ولم يلتفتوا إلى كثير من أعمال
 الجوارح.

وهذا باب واسع جدًا، لو تتبعناه لبلغ مبلغًا كثيرًا، وإنما أشرنا إليه أدنى إشارة^(٢).

(١) إحدى طوائف غلاة الصوفية: ممن يزعمون: أن الارتسام بالشرعية رتبة العوام، ويقتحمون
 ما يلامون عليه من المعاصي؛ لأجل أغراض سامية يزعمهم. انظر: «فرق معاصرة» للدكتور غالب
 عواجي (٣/ ٨٧٥ - وما بعدها).

وقد تكلم عنهم المصنف رَحِمَهُ اللهُ فِي «مدارج السالكين» (٣/ ١٦٨ - وما بعدها).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٥-١١٨).

أهمية قول إن شاء الله في الأمور المستقبلية

لما وقع على بني إسرائيل من التشديد بغلوهم أقصاه، وأراد ربك جل جلاله أن يبلغ الأمر منتهاه؛ ألهمهم قول: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

وقد ورد ذلك في حديث ضعف مبناه؛ لكن صح معناه؛ فعن أبي هريرة جل جلاله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن بني إسرائيل استثنوا؛ فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] ما أعطوا، ولكن استثنوا»^(١).

والأصل في هذا الباب قول الله جل جلاله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ عَدَا ۗ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَأَذْكَر رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَٰذَا رِسْدًا﴾ [الكهف: ٢٣ و ٢٤].

فهذه الآية فيها أدب إسلامي عظيم، وخلق رباني رفيع؛ وهو: أن الإنسان إذا عزم على فعل مستقبلي عليه أن يربطه بمشيئة الله جل جلاله.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه ﷺ: عهد إليه أن لا يجوز على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة؛ إلا أن يصله بمشيئة الله؛ لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله»^(٢).

(١) أخرجه تمام في «فوائده» (٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٧)، وابن مردويه في تفسيره كما في «تفسير القرآن العظيم» (١١١/٢).

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة».

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٥ / ٢٢٣ - ٢٢٤).

ويقول السعدي: «فنهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ من دون أن يقرن بمشيئة الله ، وذلك لما فيه من المحذور؛ وهو: الكلام على الغيب المستقبل الذي لا يدري: هل يفعله أم لا؟ وهل يكون أم لا؟ وفيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً وذلك محذور محظور؛ لأن المشيئة كلها لله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، ولما في ذكر مشيئة الله من تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه»^(١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا إرشاد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يردَّ ذلك إلى مشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ علام الغيوب، الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون»^(٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء: عاتب الله جَلَّ جَلَالُهُ نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذوي القرنين: غداً أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك.

فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتى شقَّ ذلك عليه، وأرجف الكفار به؛ فنزلت عليه هذه السورة مُفَرَّجَةً»^(٣).

وأمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غداً كذا وكذا؛ إلا أن يُعَلِّقَ ذلك بمشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ حتى لا يكون محققاً لحكم الخبر؛ فإنه إذا قال: لأفعلن ذلك ولم يفعل كان كاذباً، وإذا قال: لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققاً للخبر

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٧٤).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ١٩٠).

(٣) لا يصح هذا في أسباب نزول الآية، وانظر كتابي: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢/ ٤٧٠ -

عنه... وهي بعد تَعَمُّ جميع أمتها؛ لأنه حكم يتردد في الناس؛ لكثرة وقوعه، والله الموفق»^(١).

وبالجمل؛ فهذه الآية الكريمة تُبَيِّنُ فضل قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وأهميتها لكلّ الأمور المستقبلية، وأن العاقل من تسلَّح بها؛ فجعل الله حسبه.

قال ابن عاشور: «وظاهر الآية اقتصار إعمالها على الإخبار بالعزم على فعل في المستقبل دون ما كان من الكلام إنشاءً مثل الإيذان»^(٢).

وقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذه الحقيقة؛ فمن ذلك:

١- ما كان من هديه ﷺ فيما يستقبله من أمره التي يعزم على فعلها، ومن ذلك ما يقوله إذا رجع من الغزو؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ: كان إذا قفل كبر ثلاثاً، وقال: «آيئون إن شاء الله تائبون، عابدون، حامدون، لربنا ساجدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»^(٣).

٢- وكذلك قوله ﷺ لعثمان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سأفعل إن شاء الله» عندما طلب منه عثمان أن يأتي إلى بيته ليصلي في مكان من البيت يتخذة عثمان مصلى يصلي فيه، وإن لم يكن مسجداً^(٤).

٣- حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: كنت مع عمر بين مكة والمدينة؛ فترأينا الهلال، وكنت رجلاً حديد البصر؛ فرأيت، وليس أحد يزعم: أنه رآه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه. قال: يقول عمر: سأراه، وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يوماً يُرِينَا مصارع أهل بدر بالأمس؛

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) «التحرير والتنوير» (١٥/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٨٤) ومسلم (١٣٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

وانظر: «كتاب حديث عثمان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دراسة تحليلية» للدكتور محمد القناص.

يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» قال: فقال عمر: فو الذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .

قال: فجلبعوا في بثر بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال: «يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان: هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني الله حقاً».

قال عمر: يا رسول الله! كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟

قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً»^(١).

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ؛ قال: «قال سليمان بن داود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله؛ لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»^(٢).

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال: «إن يأجوج ومأجوج يمحرون كل يوم، حتى إذا كادوا يروون شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فَسَنَحْفَرُهُ غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسَنَحْفَرُهُ غداً إن شاء الله جَلَّ جَلَالُهُ، واستنوا، فيعودون إليه وهو كهيبته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فَيَنْشِفُونَ الماء، وَيَتَحَصَّنُ الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدَّم الذي اجفظ^(٣)، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نَعْفًا^(٤) في

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٣)

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

(٣) أي: ملئت بالدماء.

(٤) نوع من الديدان.

أقفاثهم فيقتلون بها. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن دوابَّ الأرض لتَسْمَنَ وَتَشْكُرُ^(١) شُكْرًا مِنْ لِحْوَمِهِمْ^(٢).

هذه الأحاديث الصحيحة تُؤكِّد وجوب قول: إن شاء الله في الأمور المستقبلية؛ حتى ولو بعد كلامك إذا ذَكَرَكَ غيرك؛ كما دلَّ على ذلك ما ورد عن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ذكره صاحبه له؛ فقال له: قل: إن شاء الله؛ لأن ترك قول إن شاء الله معناها: إيكال الأمور إلى نفسك، وأنت عبد ضعيف؛ لا قوَّة لك إلا بالله العلي العظيم الذي بيده ملكوت كلِّ شيء.

قال الإمام الطحاوي في «عقيدته»: «وكل شيء يجري بتقديره، ومشيتته، ومشيتته تنفذ، لا مشيئة للعباد؛ إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلًا»^(٣).

قلت: ومن تأمل كتاب الله وتدبره وجد تفاصيل هذه الجملة واضحة لذى عينين^(٤).

عينين^(٤).

إذًا؛ فليفكر الإنسان لكن ليستشعر أنه يفكر بتدبير الله، وليخطط لكن ليعلم أنه ينفذ بتيسير الله. . وهذه العقيدة تمدُّ العبد بالثقة، وتزوده بالقوَّة، وتورثه الطمأنينة؛ فلا يشعر بالوحدة، ولا يجد الوحشة، ولا يحس باليأس، بل يبقى في كلِّ أحواله وجميع أحيانه متصلًا بالله، معتمدًا على مولاه، شاكرًا لتوفيقه، مُسَلِّمًا بقدره وقضائه.

(١) تمتلئ من السَّمَن.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وابن حبان (٦٨٢٩)، وأحمد (١٠٦٣٢)، والحاكم (٥٨٠١) بإسناد صحيح، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٧٣٥).

(٣) «العقيدة الطحاوية شرح وتعليق» للألباني (ص ٢١)، وانظر- أيضًا- (ص ٥٥).

(٤) وقد استقصاها الشيخ يحيى بن علي الحجوري وفقه الله في رسالة مستقلة: «من أهم الآداب الإسلامية قول (إن شاء الله) في الأمور المستقبلية» فلتراجع.

اليهود وتقديس المادة

من خلال أحداث قصة بقرة بني إسرائيل تظهر عقيدة اليهود المادية، وتتجلى في تقديسهم للمال، وأنهم لا يؤمنون إلا بما هو مادي تراه أعينهم، وتلمسه أيديهم! وهذه الحقيقة التي هي من أخص خصائص اليهود؛ يشبها استقراء سورة البقرة على وجه الخصوص وباقي سور القرآن الكريم على وجه العموم؛ حيث يظهر أنهم ماديون عبر جميع مراحل تاريخهم، ومن ذلك:

١- التذكير بنعمة الله .

طلب الله جَلَّ جَلَالُهُ من بني إسرائيل أن يذكروا نعمه:

فقال: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيتِي قَارَهُبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]. ولذلك لأنهم ماديون؛ ذكّرهم بنعمته المادية.

وأما أمة الإسلام المرحومة لما خاطبهم في هذا المقام:

قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

لأنها أمة غير مادية، ولا تأله المال.

وفرق كبير بين أن يكون الإنسان مع النعمة أو أن يكون مع المنعم: فالمادي لا يعيش

إلا مع النعمة، ولا يحيا إلا بها، ولا يقدر إلا إياها.

ولذلك؛ فهو يعبد الله على حرف: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ

﴾ [الحج: ١١].

وأما الرباني؛ فهو يحبُّ المنعم^(١): يحيا بذكره، ويطمئن بشكره، ويعيش في معيته، ويكون في كفه.

٢- الثمن القليل.

من آتاه الله علمًا ورفعة بآياته؛ فلا بدَّ أن يطلب بها وجه الله والدار الآخرة، وأما من جعلها سُلَّمًا للوصول إلى مالٍ، أو جاه، أو مكسب زائل؛ فقد اشترى بها ثمنًا قليلًا، وهذا ما طبقه اليهود حيث جعلوا آيات الله صفقة للحصول على مكاسب دنيوية، ومغانم فانية؛ ولذلك قال جَلَّ جَلَالُهُ مخاطبًا لهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرِيْهِمْ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ﴾ [البقرة: ٤١].

وكانهم دفعوا آيات الله التي عليها مدار خير الدنيا والآخرة، وأخذوا مقابلها عَرْضًا زائلًا، وعوضًا فانيًا، ولذلك تجدهم يُقَدِّسون المال، ويؤهلون المادة، رغم ما هو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن ادم علِّم مجانًا؛ كما علِّمت مجانًا^(٢).

٣- عبادة العجل:

عقلية اليهود الهابطة وطبيعتهم المادية الرديئة لم تجعلهم قادرين على تقدير الله حقَّ قدره، وتنزيهه عن نقائص المادة، ونقائص المخلوقين، فتصوَّروا أن الله جَلَّ جَلَالُهُ كالألهة التي يعبدها البشر؛ فلما مروا على قوم يعبدون الأصنام طلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعل لهم إلهًا ماديًا مثل هؤلاء القوم: ﴿وَجَنُوزًا بَيْنِي وَإِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتُوا عَلَيَّ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَيَّ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَنْمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ (١٣٨) **إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعَاتُهُمْ فِيهِ وَيَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿ [الأعراف: ١٣٨ و ١٣٩].

ولكن المادة التي أشربوها في قلوبهم لم تغادرهم؛ فلما ذهب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لميقات ربه، وترك أخاه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه .. لم يكد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يغيب عنهم حتى

(١) المنعم ليس من الأسماء الحسنی، وإنما هو من باب الخبر، والخبر أعم؛ وانظر: «الإنباه إلى ما ليس من أسماء الله» لصالح العصيمي (ص ٤٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٢٤٤).

عبدوا العجل: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١] . . لقد صنع لهم السامريُّ عجلًا جسدًا له خوار، وزعم: أنه إلههم وإله موسى عليه السلام: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْوَنٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وهذا الموقف برهان واضح، ودليل لائح: أنهم ماديون حتى النخاع، ولذلك قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَوْلًا سَمِينًا وَعَصِينَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَتَسَكَّمُ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٢ و ٩٣] (١).

٤- طلبهم رؤية الله جهرة:

أظهر يهود ندمهم؛ لأنهم عبدوا العجل؛ فجعل الله جَلَّ جَلَالُهُ توبتهم أن يقتلوا أنفسهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

لقد اتفق المفكرون من علماء السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ أن: «هذه صفة توبته جَلَّ جَلَالُهُ على بني إسرائيل من عبادة العجل.

قال الحسن البصري: في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾، فقال: ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع، حين قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ

(١) وقصة عجل بني إسرائيل فصلنا القول فيها في كتابنا: «عجل بني إسرائيل ومرحلة التيه: دراسات استراتيجية في الصراع الإسلامي اليهودي»؛ يسر الله إتمامه على خير وبركة.

يَرْحَمَنَارُبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿ [الأعراف: ١٤٩]؛ قال: فذلك حين يقول موسى: ﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾.

وقال أبو العالية، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس: ﴿فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾؛ أي: إلى خالقكم.

قلت: وفي قوله ههنا: ﴿إِلَى بَارِيكُمْ﴾؛ تنبيه على عظم جرمهم؛ أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم، وقد عبدتم معه غيره.

عن ابن عباس؛ قال: قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من ولد أو والد، فيقتله بالسيف، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن؛ فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به، فغفر الله للمقاتل والمقتول^(١).

وعنه؛ قال: قال موسى لقومه: توبوا إلى باريكم؛ فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم، فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم؛ قال: أمر موسى قومه عن أمر ربه جَلَّ جَلَالُهُ أن يقتلوا أنفسهم. قال: واحتبى الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضاً،

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى (٢٦١٨)، وابن جرير في «تفسيره» (٦٤/١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٦) وهو صحيح موقوفاً.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٢٩٣/٥): «وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما أبيع نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك أيضاً».

وقال البوصيري «إتحاف الخيرة المهرة» (١٢٤/٨): «هذا إسناد صحيح».

قلت: ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه لا يرى جواز الرواية عن بني إسرائيل؛ فظاهر القول: أنه مرفوع حكماً، والله أعلم.

فانجلت الظلمة عنهم، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة^(١).

وعن سعيد بن جبير ومجاهد في قوله **جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾**: قالوا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر، يقتل بعضهم بعضاً؛ لا يخنو رجل على قريب ولا بعيد، حتى ألقى موسى بثوبه، فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي؛ فقد اكتفيت؛ فذلك حين ألقى موسى بثوبه^(٢).

وقال قتادة: أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضاً، حتى بلغ الله فيهم نعمته، فسقطت الشفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل، فجعل لحبهم توبة، وللمقتول شهادة.

وقال الحسن البصري: أصابتهم ظلمة حندس^(٣)، فقتل بعضهم بعضاً، ثم انكشف عنهم، فجعل توبتهم في ذلك^(٤).

وقال السدي: في قوله: **﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾**؛ قال: فاجتلد الذين عبده والذين لم يعبده بالسيوف، فكان من قتل من الفريقين شهيداً، حتى كثر القتل، حتى كادوا أن يهلكوا، حتى قتل منهم سبعون ألفاً، وحتى دعا موسى وهارون: ربنا أهلك بني إسرائيل، ربنا البقية البقية.

فأمرهم أن يضعوا السلاح، وتاب عليهم؛ فكان من قتل منهم من الفريقين شهيداً، ومن بقي مكفراً عنه، فذلك قوله: **﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّجِيمُ﴾**^(٥).

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٦٨٠) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (١/ ٦٧٩) بإسناد صحيح.

(٣) الحندس: الليل الشديد الظلمة، وأسود حندس: شديد السواد، وجمعه: حنادس، والحنداس ثلاث نبال في آخر الشهر؛ انظر: «المعجم الوسيط» (ص ٢٠٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٠) وسنده جيد.

(٥) أخرجه ابن جرير (١/ ٦٨٠) مطولاً وابن أبي حاتم (٥٣٣) وسنده حسن.

وقال الزهري: لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسهم برزوا ومعهم موسى، فاضطربوا بالسيف، وتطاعنوا بالخنجر، وموسى رافع يديه حتى إذا أفنوا بعضهم؛ قالوا: يا نبي الله، ادع الله لنا؛ وأخذوا بعضديه يسندون يديه؛ فلم يزل أمرهم على ذلك حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض، فألقوا السلاح.

وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم، فأوحى الله جلَّ جلالهُ إلى موسى: ما يجزئك؟ أما من قتل منهم؛ فحيٌّ عندي يرزقون، وأما من بقي فقد قبلت توبته؛ فسَّرَ بذلك موسى وبنو إسرائيل^(١)«^(٢)».

لكن هذه التوبة الشديدة التي حصدت الآلاف منهم لم تستأصل طبعهم المادي، ونفوسهم التي أشربت ذلك.. لقد عادوا يريدون إلهًا ماديًا يرونه بأعينهم، ويلمسونه بأيديهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾^(٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[البقرة: ٥٥ و٥٦].

٥- قسوة قلوبهم.

لقد رأى يهود جميع تلك الآيات، ودمغتهم بالحجج البيِّنات؛ لكن قلوبهم أقسى من الحجارة؛ لأن المادة تربعت على عرشها، والمال تغلغل إلى سويدائها... ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

يقيس قلوبهم إلى الحجارة؛ فإذا هي أشد قسوة.. لقد رأوا الحجر يتفجَّر عيونًا؛ قد علم كل قوم مشربهم.. ورأوا الجبل يندك حين تجلَّى عليه الله جلَّ جلالهُ وخرَّ موسى عليه السَّلَامُ

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ٦٨٢) بإسناد جيد؛ كما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٩٥-٩٦) باختصار.

صعقاً.. لكن قلوبهم لا تلين لذكر، ولا تنبض بخشية.. فهي قاسية كالحجارة مجدبة بل أشد قسوة!!.

قال البقاعي رَحِمَهُ اللهُ: «ولما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعد التصور فضلاً عن الوقوع؛ أشار إليه بقوله ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ من القسوة؛ وهي: اشتداد التصلب والتحجر ﴿قُلُوبِكُمْ مِنْ بَدَدِ ذَلِكَ﴾؛ أي: من بعدما تقدم وصفه من الخوارق في المراجعات وغيرها تذكيراً لهم بطول إمهاله لهم جَلَّ جَلَالُهُ مع توالي كفرهم وعنادهم، وتحذيراً من مثل ما أحل بأهل السبت؛ ﴿فَهِيَ﴾؛ أي: فتسبب عن قسوتها أن كانت ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإن القلب أحى حيّ والحجر أجمد جامد، ولم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، ولأنه قد يلين.

ولما كانت القلوب بالنظر إلى حياتها ألين لين، وبالنظر إلى ثباتها على حالة أصلب شيء كانت بحيث تحير الناظر في أمرها؛ فقال ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؛ لأنها لا تلين لما حقه أن يلينها، والحجر يلين لما حقه أن يلينه، وكل وصف للحي يشابه به ما دونه أقبح فيه مما دونه، من حيث إن الحي مهياً لضد تلك المشابهة بالإدراك.

ولما كان التقدير: فإن الحجارة تفعل بالمزاولة عطف عليه مشيراً إلى مزيد قسوتهم وجلافتهم بالتأكيد قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ وزاد في التأكيد تأكيداً لذلك قوله ﴿لَمَّا يَنْفَجَرُ﴾؛ يفتح بالسعة والكثرة ﴿مِنَهُ الْأَنْهَارُ﴾ ذكر الكثير من ذلك، وتذكيراً بالحجر المتفجر لهم منه بالأنهار بضرب العصا، ثم عطف على ذلك ما هو دونه فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ﴾؛ من الشق؛ وهو: مصير الشيء في الشقين؛ أي: ناحيتين متقابلتين؛ ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ الذي هو دون النهر، ثم عطف على هذا ما هو أنزل من ذلك فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْبِطُ مِنْ حَشِيَةِ اللَّهِ﴾؛ أي: ينتقل من مكانه من أعلى الجبل إلى أسفله لأمر الملك الأعلى له بذلك، وقلوبكم لا تنقاد لشيء من الأوامر؛ فجعل الأمر في حق القلوب لما فيها من العقل كالإرادة في حق الحجارة لما لها من الجهادية، وفي ذلك تذكير لهم بالحجارة المتهافئة من الطور

عند تجلّي الرب ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، فانظروا عذاباً مثل عذاب أصحاب السبت: إما في الدنيا، وإما في الآخرة»^(١).

وقال أبو حيان رَحِمَهُ اللهُ: «... مَعْنَى ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ استبعاد القسوة بعد ما ذكر ما يوجب لين القلوب ورقّتها... لأن صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر فيه من الاعتبار والعظات ما يقتضي لين القلوب، والإنابة إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ، والتسليم لأفضيته؛ فصدر منهم غير ذلك، من غلظ القلوب وعدم انتفاعها بما شاهدت...»^(٢).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول الله توبيخاً لبني إسرائيل، وتقريراً لهم على ما شهدوه من آيات الله جَلَّ جَلَالُهُ وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ كَلَّهُ؛ فهي كالحجارة التي لا تلين أبداً، ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]»^(٣).

٦- وصف اليهود الله جَلَّ جَلَالُهُ بما لا يليق من الصفات المادية:

نظراً لعقيدة اليهود المادية الغليظة؛ فإنهم وصفوا الله بأوصاف كلها مادية لا تليق به جَلَّ جَلَالُهُ، والعهد القديم الذي بأيدي اليهود مليء بتلك الأوصاف التي لا تليق بذاته المنزهة، ومما وصف اليهود الله رب العالمين به، ومنه تتضح العقيدة المادية في حياتهم في هذا الجانب:

- زعمهم: أن الله يأكل ويشرب، ويمشي، ويصارع.

- زعمهم: بأن الله استراح في اليوم السابع (السبت) من جميع أعماله بعد أن تعب

بعد الخلق.

(١) «نظم الدرر» (١٧٣/١-١٧٤) بتصرف.

(٢) «البحر المحيط» (٤٢٧/١-٤٢٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١١٧/١).

- وصفهم الله بأنه فقير: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَكَكْتُهُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

- وصفهم الله بأن يده مغلولة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] (١).

وهذه الحقائق تبين: أن تقديس المادة عند اليهود عقيدة متجذرة في قلوبهم.

وقد اعترف اليهود أنفسهم بذلك؛ ففي سنة (٢٠٠٢م) أصدر الباحث اليهودي الفرنسي (جاك أتالي) المستشار الثقافي للرئيس الفرنسي (هنري ميران) كتاباً تحت عنوان: «اليهود: العالم والمال»: التاريخ الاقتصادي للشعب اليهودي (٢).

والناظر في أحوال العالم يرى أن اليهود ترجموا هذه العقيدة:

- إلى معسكر شرقي ملحد: يؤله المادة، ويعبدها: «لا إله والحياة مادة».

- وآخر غربي رأسمالي: يؤله المال، ويقدسه.

وقد كشف هذه الحقيقة (جيري مولر) أستاذ التاريخ بالجامعة الكاثوليكية الأمريكية في

واشنطن في كتابه: «الرأسمالية اليهودية»، الذي صدر سنة (٢٠١٠م) (٣).

(١) وانظر للاستزادة: «اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري» للدكتور فرج الله عبد

الباري (ص ١١٢-١٢٥).

(٢) انظر: قراءة في كتاب: «اليهود والمال»، إدريس الكنبوري: مقالة نشرت في موقع

الإسلام، اليوم بتاريخ (١٥ / ١ / ٢٠٠٣م).

وللاستزادة في موضوع اليهود والمال؛ انظر: «العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية»

للدكتور سعد الدين صالح، فصل (السيطرة على الاقتصاد العالمي - ص ١٩٣ وما بعدها).

(٣) انظر «جريدة الاتحاد الإماراتية» بتاريخ (٥ / ٢ / ٢٠١٠م) حيث عرضت فكرته

باختصار.

بنو إسرائيل

بين عقيدة القتل وعقيدة سفك الدماء

من يتتبع تاريخ اليهود القديم وصندوقهم الأسود الحديث، سيجد حبهم الشديد للقتل، وعشقهم الأكيد لسفك الدماء؛ حقداً على الحياة والإنسانية، واستمراراً لعقيدة السعي للفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُنْكَادِ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ و ٢٠٥].

فقد أثبت اليهود على مدى تاريخهم دموية لم تعرف البشرية مثلها؛ فلغتهم الوحيدة التي يخاطبون العالم بها؛ هي: إعمال السيف، وآلة القتل، بكل وحشية وإجرام، ومن ذلك:

- قتل الأنبياء:

اشتهر اليهود بقتل الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حتى أصبحت هذه السنة السيئة وصمة عار على جبينهم، يُذكَرون بها كلما ورد ذكرهم في الآفاق، ويوصفون بها كلما أزهقت روح بريئة، وقتلت نفس معصومة، ولأن هذه السنة السيئة من خصالهم الدنيئة، وأخلاقهم الذميمة؛ فقد ذكرها الله جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه المجيد في عدة مواضع؛ منها:

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّمَّا لَا تُهَوِّنُونَ أَنْفُسَكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ

أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلَا تُمْرُونَ
لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ بِلْبِنْتٍ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ
فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨١ و ١٨٣].

وقد ذكرت كتب التاريخ: أنهم قتلوا أشعياء، وأرميا، ودانيال، وحزقيل،
وعاموص، ويحيى، وزكريا، وحاولوا قتل المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل حاولوا قتل محمد ﷺ
بالسُّمِّ.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة؛ فأكل منها؛ فجيء بها
إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؛ فقالت: أردت لأقتلك. قال: «ما كان الله ليسلطك
على ذاك» قال أو قال: «عليّ» قال: قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «لا» قال: فما زلت أعرفها في
لهوات رسول الله ﷺ^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول ﷺ شاة فيها سُمٌّ.
فقال رسول الله ﷺ: «اجعوا لي من كان ههنا من اليهود» فجمعوا له، فقال لهم رسول الله
ﷺ: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم. قال: «هل جعلتم في هذه
الشاة سُمًّا؟» فقالوا: نعم. فقال: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: أردنا إن كنت كذابا نستريح
منك، وإن نبيا لم يضرك^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) واللفظ له.

والمعنى: أن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعرف أثر السم بتغير لون لهوات النبي ﷺ أو بتنوء
وحفر فيها؛ انظر: «منحة الباري شرح صحيح البخاري» لزكريا الأنصاري (٥ / ٣٩٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٧).

قال الزرقاني في شرحه على «المواهب اللدنية» (١٢ / ٩٤): «ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه في وقته؛
لأنهم قالوا: إن كان نبيا لم يضره، وإن كان ملكا استرحنا منه، فلما لم يؤثر فيه تيقنوا نبوته؛ فلم يضره
السم طول حياته، ولم يؤثر فيه في ذلك الوقت غير ما أثر بلهواته وغير كان يعاوده منه في أوقات».

وبقي هذا السُّمُّ يعاود رسول الله ﷺ حتى وفاته؛ فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كان النبي ﷺ يقول - في مرضه الذي مات فيه - : «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السُّمِّ»^(١).

ولذلك كان يجزم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأن رسول الله ﷺ توفي شهيداً. فعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: لأن أحلف بالله تسعاً: أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إلي من أحلف واحداً، وذلك بأن الله جَلَّ جَلَالُهُ اتخذني نبياً، وجعله شهيداً^(٢). فجمع الله لنبيه بين النبوة والشهادة مبالغة في الترفع والكرامة وعلو المنزلة عند الله تبارك وجَلَّ جَلَالُهُ.

وعقيدة القتل وعقيدة سفك الدماء جزء من النفسية اليهودية^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٨) معلقاً، ووصله البزار والحاكم وغيرهما، وهو صحيح؛ انظر فتح الباري لابن حجر (٨ / ١٣١).

(٢) أخرجه أحمد ٦ / ١١٥ - برقم ٣٦١٧، والحاكم (٥٨ / ٣) وإسناده صحيح.

(٣) هذا ثابت تاريخياً:

- فقد ذكر ذلك المؤرخ اليهودي (فلافوس يوسيفوس) المتوفى سنة (٩٥م) في تاريخه للملك انطوفوس الرابع.

- والمؤرخ الإنجليزي (أرنولد لويز) في كتابه: «طقوس الاغتيالات اليهودية».

- و(ول ديورانت) في كتابه: «قصة الحضارة».

- والدكتور (روهلنج) في كتابه: «اليهودي حسب التلمود».

- والأستاذ (حبيب فارس) في كتابه: «صراخ البريء في بوق الحرية والذباح التلمودية» في ثلاثة أجزاء، وساق بيناتها، وأورد حجتها القضائية.

- وألح إليها الكاتب الإنجليزي الشهير (شكسبير) في مسرحيته العالمية: «تاجر البندقية».

- ومعاصره (كريستوفر مارلو) في مسرحيته الشهيرة: «يهودي مالطة».

وانظر -لزوماً- كتاب: «الذباح البشرية التلمودية» لعبد العاطي جلال، وكتاب «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية» لعبد الله التل، فصل «أكلو الدماء البشرية» (ص ٧٧)، وفصل «شهوة القتل» (ص ٣٢٥).

وثمة كتاب خطير تحاول الصهيونية العالمية إخفاءه؛ لأنه يرهان واضح على عقيدة القتل، ودليل لائح على عقدة سفك الدماء... اسمه: «إظهار سر الدم المكتوم» الذي ألفه الحاخام ناويفطوس الذي اعتنق النصرانية بعد إطلاعه على جرائم اليهود، وقرأ بروتوكولاتهم السرية التي تبيح لليهودي سفك غيرهم من الأمم.

وهذا الكتاب تفسير واقعي لقصة المجازر اليهودية التي اقترفها اليهود في أقطار شتى؛ فكانوا يستنزفون دماء النصراري بسبب عقيدة تدعوهم إلى استنزاف هذه الدماء؛ لصناعة الفطيرة المقدسة في عيد الفصح اليهودي: عيد عبور بني إسرائيل خارج مصر. ومن تدبر جريمة «فطيرة الأب توما» التي وقعت في مدينة دمشق الشام سنة (١٨٤٠م) وجدها تفسر عقيدة فطيرة الدّم التي يصنعها اليهود في يوم الفصح^(١):
(فرنسوا أنطوان توما) قسٌّ من رعايا الحكومة الفرنسية في دمشق، كان يمارس الطب، صنعت من دمائه فطيرة الدّم.

فقد خرج (توما) في يوم كعاداته وتوجه إلى حارة اليهود؛ ليلصق إعلانًا على واجهات البيوت والمعابد والمحال والكنس ببيع بيت في المزاد العلني لواحد من الرعايا الفرنسيين!

= ولشيخ الأزهر السابق (سيد طنطاوي) رسالة دكتوراة بعنوان: «بنو إسرائيل في الكتاب والسنة»، كشف فيها بالوثائق جذور دموية اليهود حتى تأسيس دولتهم سنة (١٩٤٨م) في فلسطين المسلمة - حررها الله من رجسهم -.

(١) راجع محاضر التحقيق في هذه القضية في كتاب: «تاريخ سوريا عام ١٨٤٠م» للمؤرخ الفرنسي (شارل لوران).

ونشرها كذلك الدكتور محمد عبد الله الشقاوي في كتابه «الكنز المرصود في فضائح التلمود». وانظر «الكنز المرصود في قواعد التلمود» ترجمة يوسف نصر الله سنة (١٨٩٩م) (ص ٨٨ وما بعدها).

وقد صاغ القصة د. نجيب الكيلاني في روايته «دم لفطير صهيون» بأسلوب أدبي ممتع، وقد ألحق بها وثائق تاريخية للحادثة التي بنيت عليها الرواية.

لم يعد (توما) إلى الدير بعد الغروب، فخرج خادمه يبحث عنه في حارة اليهود؛ لكن لم يعد كسيده!!

بدأت الشرطة التفتيش في حارة اليهود بتتبع الإعلانات التي وضعها (توما)، وألصقها على الجدران: فوجدوا آخرها ملصقاً على دكان حلاق يهودي يدعى: سليمان، بالقرب من الكنيس اليهودي.

قبضت الشرطة على الحلاق، وأشبعوه ضرباً بالسياط؛ فاعترف بأن (توما) خطفه مجموعة من حاخامات اليهود، ودخلوا به بيت أحدهم، وأن الحاخامات دعوه بعد نصف ساعة من الغروب، وطلبوا منه ذبح (توما) الذي كان مربوط الذراعين . . فرفض الحلاق . . لكنهم أغروه بالذهب . . وأعطوه صكاً: أنه بفعله ذلك يرضي الرب، ويدخل الجنة؛ ليلعب مع أنثى الحوت التي وعد الرب اليهود الصالحين بطعامها يوم القيامة.

وبعدما ذبحوا (توما) حافظوا على دمه؛ فلم تسقط قطرة واحدة خارج الطست، ثم جَرَّوه وجَرَّدوه من ثيابه، وقطعوه إرباً إرباً، ووضعوه في كيس، وحملوه ورموه في قناة المجاري خارج حارة اليهود.

وقد جاء في محاضر التحقيق قول الحلاق: وقد استمر القسُّ على الطست نصف ساعة أو ثلثي ساعة حتى صفي دمه كاملاً، لقد كانوا حريصين على كلِّ نقطة دم حرصهم على الذهب والتلمود؛ كي يستعملوه في الفطيرة، فبعد أن وُضِعَ الدَّمُ في القنينة أرسلت إلى الحاخام موسى، وقد فعلوا ذلك اعتقاداً بأن الدَّم ضرورية لوضعه في الفطيرة، وهذا الدَّم لا يُعطى إلا للأتقياء من اليهود، وهؤلاء يرسلون الدقيق إلى الحاخام الأكبر، وهو يعجنه بنفسه، ويضع فيه الدَّم سرّاً دون أن يعلم أحد بالأمر، ثم يرسل الفطير لكل من أرسل الدقيق، وهو ملزم بإرسال الدَّم إلى اليهود الموجودين بالبلدان الأخرى.

لقد بات معروفاً: أن العقائد اليهودية التلمودية تؤكد وجوب سفك دماء غير

اليهود.

فقد جاء في التلمود: «قتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينقذ أحدًا من باقي الأمم من الهلاك، أو يخرج من حفرة يقع فيها».

والدم المسفوح من عروق غير اليهود يستعمل—أيضًا— في طقوس كثيرة؛ منها:
١- الزواج، وذلك بأن يصوم العروسان من المساء عن كل شيء حتى يتم عقد الزواج؛ فيتناولوا بيضة مسلوقة مغموسة بدماء تدعوهم إلى إيقاع الأمم الأخرى في فخاخ الغش والخداع.

٢- ختان الأطفال في اليوم الثامن من ولادتهم؛ حيث يأخذ الحاخام كأسًا من خمر ممزوجة بنقطة دم مسفوح، ويضيف إليها دم الطفل المختون، ويمزجها مزجًا قويًا، ثم يغمس خنصره في الكأس، ويدخله في فم الطفل مرتين، ويقول له: «إن حياتك هي بدمك».

٣- في التاسع من تموز يقيمون مناحات على خراب القدس، وكل يهودي ملزم بدهن جبهته من الصدغين برماد الكتان المغموس بالدم المسفوح.

وقد اضطر الرومان إلى إصدار قانون سنة (٦٥٨ م) بمنع المذابح اليهودية، ومعاقبة من يرتكبها بالقتل؛ مما جعل حاخامات اليهود يلجؤون إلى ممارستها سرًا.

ومن المذابح المسجلة في محاضر رسمية:

- ١- مذبحه بلواس سنة (١٠٧١ م).
- ٢- مذبحه نورفيش سنة (١١٤٤ م).
- ٣- مذبحه باريس سنة (١١٧٩ م).
- ٤- مذبحه قصر بريسن سنة (١١٨١ م).
- ٥- مذبحه لندن سنة (١١٨١ م).
- ٦- مذبحه دورلينجين سنة (١١٩٨ م).
- ٧- مذبحه فيسمبورج سنة (١٢٢٠ م).

٨- مذبحه ميونيخ سنة (١٢٢٥ م).

٩- مذبحه بورسعيد سنة (١٨٨١ م).

١٠- مذبحه الأستانة سنة (١٨٨٣ م).

وأما في تاريخنا المعاصر؛ فقد قام الكيان اليهودي الغاصب بكثير من المجازر الوحشية ضد المسلمين في فلسطين، ومصر، والأردن، ولبنان، وسوريا، وما جاورها من بلاد المسلمين بصورة تتقزز منها الأنفس البشرية، وتقشعر منها الأبدان.

وهذه البلاد يتعاملون معها وفق ما جاء في «سفر التثنية»: (٢٠: ١٥-١٨): «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصيباً؛ فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرّمها تحريمًا: الحثين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحوّيين، واليبوسيين؛ كما أمرك الرب إهلك؛ لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لألهتهم؛ فتخطئوا إلى الرب إهلكم».

وأما الفلسطينيون خاصة؛ فمصيرهم الإبادة الجماعية؛ ففي «سفر أرميا: إصحاح ٤٧: ٤»: «بسبب اليوم الآتي هلاك كلّ الفلسطينيين، لينقرض من صور وصيدون كل بقية تعين؛ لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور».

وفي «سفر حزقيال» (٢٥: ١٦): «فلذلك هكذا قال السيد الرب: ها أنذا أمد يدي على الفلسطينيين، وأستأصل الكريتين، وأهلك بقية ساحل البحر».

ومما لا يخفيه رئيس وزرائهم (إيهود أولمرت) إعجابه الشديد بيوشع^(١) حيث يتخذه مثلاً؛ لأنه أسس للتقاليد العسكرية اليهودية المقدسة، والتي تطبقها جيوشهم حتى يومنا هذا:

(١) نبي الله يوشع بن نون - فتى موسى عَلَيْهِمَا السَّلَام - بريء من جرائم اليهود وما افتروه عليه زوراً وبهتاناً؛ ينظر نبذة من سيرته في كتابي: «صحيح قصص الأنبياء» لابن كثير (ص ٣٦٧)، و«صحيح الأنبياء المسند من أحاديث الأنبياء» (٢/ ٦٤٥).

القتل... والسحل... وتكسير العظام.. والطرود والتهجير:

ففي سفر «يشوع»: (٨: ٢٤-٢٥): «وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية؛ حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدّ السيف حتى فنوا، إن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحدّ السيف، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً، جميع أهل عاي».

وفي «سفر صموئيل الأول» (١٥: ٣): «فالآن اذهب واضرب عباليق، وحرّموا كل ماله، ولا تعفّ عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحملاً».

وفي «سفر العدد» (٣٣: ٥٥): «وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم، ومناخس في جوانبكم؛ يضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها».

إذًا:

لا للصلح؛ ففي «سفر الخروج» (٣٤: ١٢): «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها؛ لئلا يصيروا فخاً في وسطك».

ولا سلام؛ ففي «سفر إشعياء» (٤٨: ٢٢): «لا سلام، قال الربُّ للأشرار».

وتأمل هذه الفتوى اليهودية التي قدّمها الحاخام شيمون وايزر - حاخام القطاع الأوسط - للجندي موشيه، وورد ذكرها في كتاب: «إسرائيل شاحاك»: «اعلم يا بني بأنه حسب فتاوى موسى بن ميمون: أن شرّ الأفاعي إسحق دماغها، وأن أفضل الأغيار يجب أن تستحق دماغه كالأفعى، وأما العربي فأفضل شيء تقدمه له هو أن تجعل حربتك تستقر في أمعائه».

ولذلك كان تاريخ اليهود في فلسطين كلّ مجازر، وجميعه مذابح، تُبكي الصخور الصُّمّ: «إن جرائم اليهود في فلسطين ضد شعبها العربي فاقت قدرة البشر على المقاومة والاحتمال، فهم يقتلون من يلاقون في بدء زحفهم وبعد احتلالهم».

ثم يرغمون الآخرين تحت لذع الرصاص على مغادرة منازلهم، وإخراجهم إلى البراري ومناطق احتلالهم؛ كما حدث في اللد والرملة والقرى المحيطة بهما.

وكان اليهود يقصدون إخراج العرب من ديارهم، ولهذا كانت أعمال الإرهاب إحدى وسائلهم لنزوح العرب وهجرتهم، ولعل قرية دير ياسين وما فعله اليهود فيها، وفي قرية ناصر الدين، لعل قصتهما تكفيان للحدوث عن مبررات الهجرة الفلسطينية^(١).

ودونك سرد تاريخي مختصر لتلك المجازر، وهاتيك المذابح؛ لأن التاريخ ذاكرة الأيام لمن أراد أن يتعظ بالأيام الخوالي، ويعتبر بالواقع الحالي، ويستعد للمستقبل الغالي:

- مذبحه سوق حيفا (١٩٣٧/٣/٦ م)
- مذبحه فندق الملك داود (تموز ١٩٤٦ / ٧ / ٢٢ م)
- مذبحه الطيرة قرب حيفا (١٩٤٧/١٢/١٣)
- مذبحه الخصاص (١٩٤٧/١٢/١٨)
- مذبحه قريتي الشيخ وحواصة جنوب شرق حيفا (١٩٤٧/١٢/٣١ م)
- مجزرة السراي القديم - يافا (١٩٤٨/١/٤ م)
- مجزرة الكرمل (١٩٤٨/١/١ م)
- مجزرة فندق سمير أميس (١٩٤٨/١/٦ م)
- مذبحه قرية سعسع (١٤ و ١٥ / ٢ / ١٩٤٨ م)
- مذبحه رحوفوت قرب حيفا (١٩٤٨/٢/٢٧ م)
- مذبحه كفر حسينية قرب صفد (١٩٤٨/٣/١٣ م)
- مذبحه بنيا ميناه (١٩٤٨/٣/٢٧ م)

(١) «جهاد شعب فلسطين في نصف قرن» صالح مسعود أبو بصير (ص ٤٢٤).

- مذبحة دير ياسين (١٩٤٨/٤/٩م)
- مذبحة صرفند (١٩٤٨/٤/١٠م)
- مذبحة ناصر الدين - حطين (١٩٤٨/٤/١٤م)
- مذبحة تل لتفنسكي (١٩٤٨/٤/١٦م)
- مذبحة حيفا (١٩٤٨/٤/٢٢م)
- مذبحة قالونيا - القدس (١٩٤٨/٥/٣م)
- مذبحة الطنطورة (١٩٤٨/٥/١٥م)
- مذبحة بيت دراس (١٩٤٨/٥/٢١م)
- مذبحة اللد (١٩٤٨/٧/١٢م)
- مذبحة الدوايمة (١٩٤٨/١٠/٢٨م)
- مذبحة يازور (١٩٤٩/١/٢٢م)
- مذبحة شرفات (١٩٥١/٢/٧م)
- مذبحة بيت جالا (١٩٥٢/١/٢٦م)
- مذبحة قرية فلمة (١٩٥٣/١/٢٩م)
- مذبحة مخيم البريج (١٩٥٣/٨/٢٨م)
- مذبحة قلقيلية (١٩٥٣/١٠/١٠م)
- مذبحة قبية (١٩٥٣/١٠/١٥م)
- مذبحة مخالين (١٩٥٤/٣/٩م)
- مذبحة دير أيوب (١٩٥٤/١١/٢م)

- مذبحه غزة الأولى (١٩٥٥/١١/٢م)
- مذبحه خان يونس الأولى (١٩٥٥/٥/٣٠م)
- مذبحه خان يونس الثانية (١٩٥٥/٩/١م)
- مذبحه غزة الثانية (٤ و ١٩٥٦/٥م)
- مذبحه كفر قاسم (١٩٥٦/١٠/٢٩م)
- مذبحه الرهوه (١١ و ١٩٥٦/٩/١٢م)
- مذبحه خان يونس الثالثة (١٩٥٦/١١/٣م)
- مذبحه رفح (١٩٥٦/١١/١٢م)
- مذبحه السَّموع (١٩٦٦/١١/١٣م)
- مذبحه مصنع أبي زعبل (١٩٧٠/٢/١٢م)
- مذبحه بحر البقر (١٩٧٠/٤/٨م)
- مذبحه صيدا (١٩٨٢/٦/١٦م)
- مذبحه صبرا وشاتيلا (١٩٨٢/٩/١٨-١٦م)
- مذبحه عين الحلوة (١٩٨٤/٥/١٦م)
- مذبحه سحمر (١٩٨٤/٩/٢٠م)
- مذبحه حمامات الشط (١٩٨٥/١٠/١١م)
- مذبحه الأقصى الأولى (١٩٩٠/١٠/٨م)
- مذبحه المسجد الإبراهيمي في الخليل (١٩٩٤/٢/٢٥م)
- مذبحه قانا (١٩٩٦/٤/١٨م)

- مذبحه الأقصى الثانية (١٣/٩/١٩٩٦م)
- مذبحه الأقصى الثالثة (٢٨/٩/٢٠٠٠م)
- مذبحه تخيم جنين (١-١٢/٤/٢٠٠٢م)
- مجازر قطاع غزة (٢٧/١٢/٢٠٠٨م - ١٨/١/٢٠٠٩م، وما بعدها)^(١).

(١) وانظرها مفصلة في «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» للدكتور عبد الوهاب المسيري، و«الهولوكوست الفلسطيني المفتوح» نواف الزرو، و«التطهير العرقي في فلسطين» إيلان بابيه، و«المذابح الإسرائيلية في فلسطين» داود سليمان، و«إسرائيل من الإرهاب إلى الدولة» إيلان هاليفي، و«المذابح الصهيونية بين عامي (١٩٤٧م - ١٩٩٦م)».

الاعتقالات إستراتيجية يهودية

إن قيام الفتى اليهودي باغتيال عمه من أجل حفنة من الدنانير، وقيامه بعد ذلك بإلقاء جثته على باب المدينة الحصينة، ثم أصبح يُؤلَّوَلُ ويصرخ طالباً إيجاد قاتل عمه؛ يعدُّ أساساً للسياسة اليهودية في عالم الاعتقالات المنهجية؛ حيث يقتلون القتيل، ويشهدون جنازته، ويطالبون بأخذ ثأره.

وقد أثبتت السياسات اليهودية المعاصرة: أن الاعتقال أصبح فكراً ومنهجاً منظماً لدى قادة كيان اليهود وحكوماتهم المتعاقبة.

فبعد إنشاء كيان اليهود عام (١٩٤٨م) أصبحت الاعتقالات استراتيجية راسخة عند قادتها، لا سيما أنهم شاركوا بالعديد من الاعتقالات، وعلى رأس هؤلاء شخصيات تبوأَت منصب رئيس وزراء إسرائيل من قبيل إسحاق شامير، وإسحاق رابين، وأرييل شارون، وشمعون بيريز، ومناحيم بيغن؛ حيث انضوا في إطار العصابات الصهيونية: الهاغانا، والشتيرن، والأرغون . . إلخ.

وقد يكون من أهم أعمالهم قبل عام (١٩٤٨م) التفجيرات في الأسواق العربية: في حيفا، ويافا، والقدس، وتوجت أعمالهم في اغتيال الوسيط الدولي (الكونت برنا دوت) في القدس في (١٧ / أيلول / ١٩٤٨م) بسبب صياغته تقريراً أممياً يدين كيان اليهود، ويحمّله تبعات النكبة الكبرى في عام (١٩٤٨م).

ولم تكتف سياسة الاعتقالات اليهودية بملاحقة بعض الشخصيات العربية والفلسطينية التي تعدها مناهضة لتلك السياسة واغتيالها حتى في بعض دول أوروبا وأميركا وليس في العواصم العربية مثل تونس وبيروت فحسب، بل أصبحت

استراتيجية أمنية تمارس الإرهاب الدولي على أيدي مرتزقة عالميين ضدَّ كلِّ معارضي المشروع الماسوني اليهودي.

فقد تمَّ اغتيال اللورد موين -رجل أعمال وسياسي إنجليزي- عام (١٩٤٤م). كما تورطت مجموعات من القتلة المأجورين التابعين للوكالة اليهودية في التنسيق مع الشرطة الألمانية (الغستابو) لاغتيال شخصيات يهودية؛ واضطهاد اليهود في ألمانيا وتسليط صنوف الأذى عليهم؛ لإثارة الرعب، ودفعهم للهجرة إلى فلسطين.

وتكررت عمليات مشابهة في العراق ومصر؛ حيث استهدفت اليهود هناك لدفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين، أبرزها فضيحة (لافون) في مصر عام (١٩٥٤م). واستهدف القاتل اليهودي المأجور علماء الذرة العرب في مصر والعراق، التي امتدت عقودًا طويلة، فلاحقتهم لاغتيالهم في بلدانهم أو في بلدان أخرى؛ مثل: اغتيال نبوية موسى في أمريكا عام (١٩٥٢م).

ويحيى المشدِّ في باريس (١٩٨٠م).

وسعيد السيد بدير في الإسكندرية عام (١٩٨٩م).

وهكذا أصبح الاغتيال سياسة ممنهجة واستراتيجية مُقنَّنة تبنته كل الحكومات اليهودية المتعاقبة منذ عام (١٩٤٨م).

وهذا ما أكدته تانيا زينهانت -أستاذة اللسانيات في جامعة تل أبيب- في كتابها المترجم في دار الفكر في دمشق: «أن سياسة الاغتيال السياسي ليست جديدة في إسرائيل، بل لقد استخدمتها داخل الأراضي المحتلة وخارجها منذ زمن طويل، بما في ذلك أثناء السنوات التي تلت اتفاقات أوسلو».

ويرى عوزي بنزيان -المحلل السياسي في صحيفة هآرتس الإسرائيلية-: «أن عمليات الاغتيال التي تمَّ اتخاذها من أعلى الهرم السياسي تخلق ظروفًا تحفز إسرائيل على

استئناف عملياتها العسكرية وتسرع دائرة العنف بعد مرور فترة وجيزة من الهدوء مع الفلسطينيين».

وفي الاتجاه نفسه أعلن أفرايم سينييه -نائب وزير الحرب الأسبق أكثر من مرة-: «أن جيش الاحتلال سيواصل الاغتيالات والتصفية الجسدية للفلسطينيين التي تعد وسيلة فاعلة وأكثر دقة من غيرها».

بل صرح الرئيس اليهودي السابق موشيه كتساف -في أكثر من مناسبة-: «أن اغتيال إسرائيل لكوادر فلسطينية يندرج في إطار الدفاع عن النفس».

وهذا يوضح أن اليهود الصهاينة لن يلدوا إلا فاجرًا كفازارًا.

الظاهر عنوان الباطن

القاتل اليهودي وعصابته: الذين أعانوه وآووه؛ اغتالوا القتيل، ومشوا في جنازته؛ وأدعوا: أنهم أولياء الدّم الذين يطلبون ثأره، بينما هم الذين سفكوا دمه.

لقد أخفوا ذلك عن الناس؛ لكن قرائن إدااتهم تظهر على صفحات وجوههم، وأدلة اقترافهم لجرمتهم تخرج من فلتات ألسنتهم . . يكاد المريب يقول: خذوني!

قال المسيّب بن رافع: ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله جَلَّ جَلَالُهُ، وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله، وتصديق ذلك في كلام الله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]^(١).

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «ويعني بقوله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: والله معلن ما كنتم تُسِرُّونه من قتل القتيل الذي قتلتم ثم أدارأتم فيه.. والذي كانوا يكتُمونه فيأخرجه؛ هو: قتل القاتل القتيل، كما كنتم ذلك القاتل ومن علمه ممن شايعه على ذلك؛ حتى أظهره الله وأخرجه، فأعلن أمره لمن لا يعلم أمره»^(٢).

وقال الرازي: «تدل الآية: على أنه ما يسره العبد من خير أو شرٍّ، ودام ذلك منه؛ فإن الله سيظهره»^(٣).

ومما يشهد لهذا المعنى -أيضاً- قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٠٢).

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢/ ١٢٤).

(٣) «التفسير الكبير» (٢/ ١٣٤).

قال الإمام ابن كثير: «وقال بعضهم: إنَّ للحسنة نورًا في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس.

وقال أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفتلت لسانه^(١).

والغرض: أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه؛ فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله جَلَّ جَلَالُهُ أصلح الله جَلَّ جَلَالُهُ ظاهره للناس؛ كما روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته^(٢)»^(٣).

وهذا كله يُدُلُّ على التلازم بين الظاهر والباطن:

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الارتباط بين الظاهر والباطن مما قرَّره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله الذي رواه النعمان بن بشير؛ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسوي صفوفنا حتى

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢١٥/١٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥١٠ و ٥١١) من حديث عثمان مرفوعاً بلفظ: «من كانت له سريرة صالحة أو سيئة ألبسه الله جَلَّ جَلَالُهُ منها رداء يعرف به».

قال السخاوي في «الأجوبة المرضية» (١/ ٣٠٠): «وسنده ضعيف والصحيح وفقه»، وانظر: «السلسلة الضعيفة» لشيخنا الألباني برقم (١٩٢٩).

(٢) مما ورد في كتاب عمر إلى أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ثم إياك والضجر والقلق والتأذي بالناس والتنكر بالخصوم في مواطن الحق التي توجب الله جَلَّ جَلَالُهُ بها ويكسب بها الذخر، فإنه من يصلح سريرته فيما بينه وبين ربه أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه من خلاف ذلك يشنه الله».

أخرجه البيهقي «السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١٨١).

وقد ورد مرفوعاً بلفظ: «من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته» لكنه ضعيف؛ انظر «ضعيف الجامع» (٥٣٥٦).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٨٣).

كأنها يسوي بها القداح، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوماً؛ فقال: «عباد الله! لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم (وفي رواية: قلوبكم)»^(١).

فأشار إلى أن الاختلاف في الظاهر - ولو في تسوية الصف - مما يوصل إلى اختلاف القلوب؛ فدل على أن الظاهر له تأثير على الباطن، ولذلك رأيناه ﷺ ينهى عن التفرق؛ حتى في جلوس الجماعة، ويحضرني - الآن - في ذلك حديثان:

١ - عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فرأنا حلقاً؛ فقال: «مالي أراكم عزيزين؟»^(٢).

٢ - عن أبي ثعلبة الخشني؛ قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية؛ فقال ﷺ: «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض؛ حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم»^(٣).

ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ اللهُ يَدُلُّ على تأثير الظاهر على الباطن، ومما يَدُلُّ على تأثير الباطن على الظاهر حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ؛ وفيه: «...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسد؛ فسد الجسد كله؛ ألا وهي: القلب»^(٤).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تعليقا على هذا الحديث: «فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا؛ لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق؛ كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل؛ قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر،

(١) «صحيح البخاري» (٧١٧)، «صحيح مسلم» (٤٣٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٣٠)، وقد عزاه شيخنا الألباني عزوه له.

عزيز وعزون: الحلق والجماعات ومفردها: عزة؛ انظر: «مختار الصحاح» (ص ٢٠٨).

(٣) «جلباب المرأة المسلمة» (ص ٢١٠ - ٢١٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن، وإذا أفسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»^(١).

وبهذا يتبين: أن قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن قاعدة شرعية ذات أهمية كبرى في ضبط حركة الأمة الإسلامية في جميع تصرفاتها.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: «فمن التفت إلى المسببات من حيث كانت علامة على الأسباب في الصحة أو الفساد لا من جهة أخرى؛ فقد حصل على قانون عظيم يضبط به جريان الأسباب على وزن ما شرع أو على خلاف ذلك، ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلاً على ما في الباطن؛ فإن كان الظاهر منخرماً حكم على الباطن بذلك، أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك -أيضاً-.

وهو أصل عام في الفقه وسائر الأحكام العاديات والتجريبات، بل والالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جداً، والأدلة على صحته كثيرة جداً، وكفى بذلك عمدة: أنه الحاكم في إيمان المؤمن، وكفر الكافر، وطاعة المطيع، وعصيان العاصي، وعدالة العدل، وجرح المجرور، وبذلك تنعقد العقود، وترتبط الموثيق، إلى غير ذلك من الأمور، بل هو كلية التشريع، وعمدة التكليف بالنسبة على إقامة حدود الشعائر الإسلامية الخاصة والعامة»^(٢).

وهذا باب عظيم تتبين منه ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم، ويفتح له باب معرفة الانحراف؛ ليحذره؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما الغرض: أن تتبين ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم، وأن يفتح باب إلى معرفة الانحراف؛ ليحذره.

ثم إن الصراط المستقيم؛ هو:

(١) «مجموع الفتاوى» (٧ / ١٨٧).

(٢) «الموافقات» (١ / ٢٣٤).

أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك.
 وأمور ظاهرة: من أقوال، وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون -أيضاً- عادات:
 في الطعام، واللباس، والنكاح، والمسكن، والاجتماع، والافتراق، والسفر، والإقامة،
 والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة: بينها -ولابدَّ- ارتباط ومناسبة:
 فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال؛ يوجب أموراً ظاهرة.
 وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال؛ يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.
 وقد بعث الله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنته؛ وهي: الشريعة والمنهاج الذي
 شرعه له.

فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يبين سبيل المغضوب
 عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في
 ذلك مفسدة، لأمر:

منها: أن المشاركة في الهدى الظاهر: تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى
 موافقة في الأخلاق والأعمال.

وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس لثياب أهل العلم -مثلاً- يجد من نفسه نوع انضمام
 إليهم.

واللابس لثياب الجند المقاتلة -مثلاً- يجد من نفسه نوع تحلُّق بأخلاقهم، ويصير
 طبعه مقتضياً لذلك؛ إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدى الظاهر: توجب مباينة ومفارقة، توجب الانقطاع عن
 موجبات الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما
 قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام - لست أعني: مجرد التوسُّم به ظاهراً، أو باطنياً بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنياً وظاهراً: أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين: أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر: توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهراً بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين. إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحاً محضاً، لو تجرد عن مشابهمهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم: فإنه يكون شعبة من شعب الكفر؛ فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم.

فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له، والله أعلم.

ثم قال: «وهنا نكتة قد نبهت عليها؛ وهي: أن الأمر بموافقة قوم أو بمخالفتهم: قد يكون لأن نَفْسٍ قَصِدَ موافقتهم، أو نَفْسَ موافقتهم: مصلحة، وكذلك نَفْسُ قَصِدَ مخالفتهم؛ أو نَفْسُ مخالفتهم: مصلحة؛ بمعنى: أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد أو مفسدة، وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة أو المخالفة، لو تجرد عن الموافقة والمخالفة: لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة، ولهذا نحن نتنفع بنفس متابعتنا لرسول الله ﷺ والسابقين: من المهاجرين والأنصار، في أعمال لولا أنهم فعلوها لربما قد كان لا يكون لنا فيها مصلحة؛ لما يورث ذلك: من محبتهم واتتلاف قلوبنا بقلوبهم، وأن ذلك يدعونا إلى موافقتهم في أمور أخرى، إلى غير ذلك من الفوائد.

كذلك: قد نتضرّر بمتابعتنا الكافرين في أعمال، لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها. وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة؛ لأن ذلك الفعل الذي يوافق فيه أو يخالف متضمّن للمصلحة أو المفسدة ولو لم يفعلوه؛ لكن عبّر عنه بالموافقة والمخالفة على سبيل الدلالة والتعريف؛ فتكون موافقتهم دليلاً على المفسدة، ومخالفتهم دليلاً على المصلحة.

واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التقدير: من باب قياس الدلالة.

وعلى الأول: من باب قياس العلة.

وقد يجتمع الأمران؛ أعني: الحكمة الناشئة من نفس الفعل الذي وافقناهم أو خالفناهم فيه، ومن نفس مشاركتهم فيه.

وهذا هو الغالب على الموافقة والمخالفة المأمور بهما والمنهي عنهما؛ فلا بدّ من التفتن لهذا المعنى؛ فإنه به يعرف معنى تهيّ الله لنا عن اتباعهم وموافقتهم مطلقاً ومقيداً^(١).

وإليك - يا رعاك الله - أهم ضوابط هذه العلاقة بين الظاهر والباطن:

أولاً: يحكم على الناس بالظاهر، فالإنسان يحكم عليه بما ظهر منه، ويوكل باطنه إلى

الله .

ويُدلّ على ذلك:

١ - عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ؛ قال: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعلّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها»^(٢).

وترجم عليه النووي^(٣) وكذا النسائي^(٤): باب الحكم بالظاهر.

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ١١-١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣).

(٣) في «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٣٧).

(٤) في «المجتبى» (٨/ ٢٣٣).

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الذَّهَبِ^(١) بَعَثَ بِهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْيَمَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، فَقَامَ رَجُلٌ؛ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ .

فَقَالَ: «وَيْلَكَ، أَوْلَسْتَ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ».

فَقَالَ خَالِدٌ: أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟

قَالَ: «لَا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يَصَلِّي».

فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مَصْلٍ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أَمُرْ أَنْ أَنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشْتَقِ بَطُونَهُمْ»^(٢).

قَالَ النَّوَوِيُّ: «مَعْنَاهُ: إِنِّي أَمَرْتُ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ؛ كَمَا قَالَ

ﷺ»^(٣).

قُلْتُ: أَصَابَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهُ، وَأَخْطَأَ فِي رَفْعِ لَفْظِهِ وَمَبْنَاهُ^(٤).

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْتَةَ؛ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: «إِنْ أَنَا سَأَلْتُ كَانُوا يُؤَخِّدُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»^(٥)، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ؛ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا؛ أَمَّنَاهُ، وَقَرَّبَنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يَحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا؛ لَمْ نَأْمَنَّهُ، وَلَمْ نَصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنْ سَرِيرَتُهُ حَسَنَةٌ»^(٦).

(١) والذهبية تصغير ذهبية؛ وهي: القطعة من الذهب؛ انظر: «فتح الباري» (٨ / ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٧ / ١٦٣).

(٤) انظر - تفضلاً - كتابي: «سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها» (٨).

(٥) أي كان الوحي يكشف عن سائر الناس في بعض الأوقات؛ انظر: «عمدة القاري»

للعيني (١٣ / ٢٠٠).

(٦) أخرجه البخاري (٢٦٤١).

ثانياً- شعب الإيـان قد تتلازم عند القوة، ولا تتلازم عند الضعف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مَصْرَحًا بهذ الضابط: «إن شعب الإيـان قد تتلازم عند القوة، ولا تتلازم عند الضعف؛ فإذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله؛ أوجب بغض أعداء الله :

كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨١) [المائدة: ٨١].

وَقَالَ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ مِّنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة؛ فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه، ولا يكون به كافرًا؛ كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة؛ لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، وأنزل الله فيه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرِحْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَابْنِعَاةٍ مَّرَضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ﴾ [المتحنة: ١] (١).

وكما حصل لسعد بن عباد لما انتصر لابن أبي في قصة الإفك؛ فقال: لسعد ابن معاذ: كذبت والله؛ لا تقتله ولا تقدر على قتله؛ قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية (٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

ولهذه الشبهة سَمَّى عمر حاطبًا؛ منافقًا؛ فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال: «إنه شهد بدرًا»، فكان عمر متأولًا في تسميته: منافقًا للشبهة التي فعلها. وكذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عباد؛ كذبت لعمر الله لنقتلته؛ إنما أنت منافق تجادل عن المنافقين؛ هو من هذا الباب.

وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشم: منافق، وإن كان قال ذلك لما رأى فيه من نوع معاشره ومودة للمنافقين^(١). ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا؛ بل: فيهم: المنافق المحض. وفيهم: من فيه إيمان ونفاق.

وفيهم: من إيمانه غالب، وفيه شعبة من النفاق، وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان؛ ولما قَوِيَ الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك؛ صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكونوا يعاتبون عليه قبل ذلك^(٢).

فتحصل كان ذلك: «أن إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة؛ فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت، فلو تمزَّق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبَّد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجَّه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجَّه من النار»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/٥٢٢-٥٢٣).

(٣) «الفوائد» لابن القيم (ص ٢١٠-٢١١) بتحقيقي.

فتبين من كل ذلك أن واسطة عقد نظام الإسلام، وسفينة النجاة إلى دار السلام هي قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن^(١).

(١) وللتوسع في بيان أهمية هذه القاعدة: انظر -تفضلاً- «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ١٩٨، ٢٣٤، ٦٤٢ - ٦٤٤)، و«مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (١/ ٥١٧، ٢/ ٢٣، ٣٩١، ٣/ ٢٨٠)، و«إعلام الموقعين» (١/ ٣٠٠، ٢/ ١٢٣)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٥٤، ٢٦٧، ٣٦٢).

ولشيخنا الألباني رَحِمَهُ اللهُ كَلام كثير حول هذه القاعدة جمع ما وقف عليه منه الدكتور شادي آل نعمان في فصل نافع سماه: «جماع أبواب الكلام حول تلازم الظاهر والباطن، فقف عليه في «جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة» (٤/ ٥٩ وما بعدها).

المفسد يعامله الله بنقيض مقصده

بنو إسرائيل قوم مردوا على مخالفة دين الله ، وانحرفوا عن منهجه، وكان تعاملهم معه ضلالات بعضها فوق بعض، كلما خرجوا من ضلاله أركسوا في غيرها جزاء وفاقاً على ما اقترفوه، وعاملهم الله بنقيض مقصدهم:

١- بنو إسرائيل يتخلون عن ربهم.

لقد منَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ على بني إسرائيل، فخرج بهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من مصر:

- أخرجهم من الاستعباد إلى الحرية.

- ومن الذل والاستضعاف إلى العز والكرامة.

... ولكنهم لم يشكروا الله بل ظنوا أن هذه حقوق واجبة لهم على الله، وأنه جَلَّ جَلَالُهُ ينبغي عليه أن يعطيهم المزيد في سبيل راحتهم؛ لذلك لما أمرهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بدخول الأرض المقدسة أجابوه بجواب غاية في الغرابة؛ لأنه يقوم على قلة الأدب مع الله جَلَّ جَلَالُهُ ورسوله ﷺ؛ بل حتى مع أنفسهم؛ فهو جواب قوم استمروا حياة الذل والمهانة:

﴿ يَنْقُورِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَتَلُوكَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٥].

لقد تخلى بنو إسرائيل عن ربهم ضربة لازب؛ فهم يقولون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَذَهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ .. رَبُّكَ يَا مُوسَى وَحَدِّكَ .. وكأنه جَلَّ جَلَالُهُ ليس ربًّا لهم ولموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فاعاملهم الله جَلَّ جَلَالُهُ بظلمهم وسوء أدبهم: أن حَرَمَهَا عليهم، وعاقبهم بالتيه في الأرض:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

٢- بنو إسرائيل يحتالون على أمر الله وشرعه:

من سنن بني إسرائيل في التعامل مع أوامر الله ونواهيه: التحايل على دين الله ، والتملُّص من أحكامه، وكأنهم لا يتعاملون مع الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ كما سبق في «فصل اليهود وصناعة الحيل».

ولقد اجتمعت هذه السنن السيئة كلها في قصة البقرة التي أُمروا بذبحها:

ففي أول موقف مع نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تخلَّوا عن ربهم، وقالوا له: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، وأعادوا هذا السؤال مرارًا مما يدلُّ على أن هذه الأخلاق منهج في حياتهم، وليس موقفًا طارئًا في تلك القصة!

ثم لما رأوا الأمر فَضْلًا وليس بالهزل: أخذوا في نصب شبك حيلهم، ووضع عقابيل^(١) تسويقهم، والتمترس خلف عراقيل مُطْلِهِم . . فشَدَّدَ اللهُ عليهم؛ لتعتهم، وضيق عليهم؛ لتملصهم، ومجادلتهم.

(١) العقبول: الشديد من الأمور، وبقية العلة والعداوة، جمعها: عقابيل.

والعقابيل: الدواهي.

انظر: «المعجم الوسيط» (ص ٦١٣).

وهذه سنة شرعية كونية فيمن عصى أمر ربّه، وتمرد على دينه: أنه يعامله الله جَلَّ جَلَالُهُ بتقيض قصده جزاءً وفاقاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ثم إن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه: يثبته الله؛ فيحفظه في أهله وماله بعده، والمطيع لهواه: يعاقبه الله بتقيض قصده؛ فيذل أهله، ويذهب ماله.

وفي ذلك الحكاية المشهورة: أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك؛ فقال: أدركت عمر بن عبد العزيز؛ قيل له: يا أمير المؤمنين أفقرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم - وكان في مرض موته - فقال: أدخلوهم عليّ؛ فأدخلوهم؛ وهم بضعة عشر ذكراً، ليس فيهم بالغ، فلما رأهم ذرفت عيناه، ثم قال لهم: يا بني والله ما منعكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس؛ فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين:

إما صالح؛ فالله يتولى الصالحين.

وإما غير صالح؛ فلا أخلف له ما يستعين به على معصية الله؛ قوموا عني.

قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مائة فرس في سبيل الله؛ يعني: أعطها لمن يغزو عليها.

قلت: هذا وقد كان خليفة المسلمين من أقصى المشرق بلاد الترك إلى أقصى المغرب بلاد الأندلس وغيرها، ومن جزائر قبرص وثور الشام والعواصم؛ كطرسوس ونحوها إلى أقصى اليمن.

وإنما أخذ كل واحد من أولاده من تركته شيئاً يسيراً؛ يقال: أقل من عشرين درهماً. قال: وحضرت بعض الخلفاء وقد اقتسم تركته بنوه: فأخذ كل واحد منهم ستمائة ألف دينار؛ ولقد رأيت بعضهم يتكفّف الناس - أي: يسألهم بكفّه -.

وفي هذا الباب من الحكايات والوقائع المشاهدة في الزمان، والمسموعة عما قبله؛ ما فيه عبرة لكل ذي لب»^(١).

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ - وهو يعدد وجوه مفسدات الزنا-: « . . ومنها: الوحشة التي يضعها الله جَلَّ جَلَالُهُ في قلب الزاني؛ وهي: نظير الوحشة التي تعلو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أُتْسٌ، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش به.

ومنها: قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف؛ فإنه يرزق المهابة والحلاوة .

ومنها: أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، ولا يأمنه أحد على حرمة، ولا على ولده .
ومنها: الرائحة التي تفوح عليه؛ ليشمها كل ذي قلب سليم، تفوح من فيه وجسده، ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة؛ لفاحت من صاحبها، ونادت عليه، ولكن كما قيل:

كُلُّ بِهِ مِثْلٌ مِثْلٌ غَيْرِ أَنَّهُمْ

من غيرة بعضهم للبعض عدال

ومنها: ضيقة الصدر وحرجه؛ فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم؛ فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرم الله عليه؛ عاقبه الله بنقيض قصده؛ فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور وانسراح الصدر وطيب العيش؛ لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له، دع ربح العاقبة، والفوز بثواب الله وكرامته»^(٢).

وهذه سنة ماضية في بني إسرائيل كلما فسدوا وظلموا وعلوا في الأرض:

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٢) «روضة المحيين» (ص ٣٦١-٣٦٢).

قال الله جلَّ جلاله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُبُّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

فالله أعلم إعلاماً صريحاً: أنه ليعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يهينهم ويذلهم؛ بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه، واحتياهم على المحارم^(١).

وها هم اليوم علواً في الأرض علواً كبيراً؛ باغتصابهم فلسطين المسلمة، وتشريد أهلها المسلمين، والتنكيل بهم، وتشيتهم في الأرض أمماً؛ بدعاوى باطلة، وحجج واهية عاطلة: أنها أرض الميعاد التي وعد الله بها الآباء والأجداد؛ ففي التوراة: أن الله وعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته من بعده أن يعطيه فلسطين؛ لإقامة دولة فيها .

وَأَدْعَاؤُهُمْ - هذا - لنا عليه ملاحظات؛ منها:

أولاً: القارئ لنصوص التوراة التي تؤكد عقيدة أرض الميعاد يلاحظ - ولأول وهلة - أنها نصوص محرفة ومزيفة، مكتوبة بأيدي أحبار اليهود أنفسهم، حيث يجد القارئ:

- أن هناك نصوصاً تحدد أرض الميعاد بأنها أرض فلسطين.

- ونصوصاً أخرى تدل على أن أرض الميعاد هي من النيل إلى الفرات.

- ونصوصاً أخرى ترى أن أرض الميعاد هي كل أرض لمستها أقدام اليهود.

وهنا يأتي السؤال: هل من الممكن أن تكون هذه نصوصاً إلهية مقدسة وبينها هذا

التعارض والتناقض؟!

ثانياً: لو سلّمنا جدلاً بصحة النصوص التي استدلت بها اليهود؛ فإنها لا تعطيم مدّعاهم في أحقيّتهم بهذه الأرض: ذلك أن الوعد من الله كان لنسل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمن هم نسل إبراهيم؟.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٩٧).

هل هم أبناؤه الذين آمنوا به واتبعوا ملته؛ مصداقاً لقوله جل جلاله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨).
وقوله جل جلاله: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وبالتالي يكون الأحق بهذا الوعد هم أمة رسول الله محمد ﷺ؛ لأنهم هم الذين حملوا لواء التوحيد، والتزموا بملة الخليل عليه السلام، وأدخلوا الإسلام فلسطين بعد طرد الغزاة. ولو فرضنا: أن المراد بنسل إبراهيم: أولاده من صلبه؛ فإنه بهذا: يتساوى في ذلك إسحاق وذريته، وإسماعيل وذريته -أيضاً-.

وهذا يعني: أن ذلك الوعد ليس مقصوراً على بني إسرائيل وحدهم، إنما هو لسلالة إبراهيم على الإطلاق؛ لأن إبراهيم عليه السلام جد للعرب كما هو جد لبني إسرائيل؛ فلا اختصاص لهم -إذاً- بفلسطين بسببه، وهذا ما يؤيده نص العهد إلى إبراهيم عليه السلام بامتلاك الأرض من النيل إلى الفرات قبل أن يولد له إسماعيل وقيل إسحاق، فكيف يمكن تفسير اختصاص الإسرائيليين وحدهم -نسل إسحاق- دون إسماعيل -عليهما السلام- وذريته العرب؟ وهو الجد الأعلى لمحمد ﷺ^(١).

فالتعبير التوراتي في العهد مع إبراهيم عليه السلام ينص على «نسلك»، ومن نسله: (إسماعيل) إذ هو أب لعدد كثير من القبائل العربية، ثم إن التوراة تنص على أن الحق لإسماعيل؛ لأنه ابن إبراهيم، جاء في سفر التكوين: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح؛ فقالت لإبراهيم: اطرده هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق، فقبح الكلام في عيني إبراهيم لسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك

(١) انظر: «عقيدة اليهود في تملك فلسطين»، عايد توفيق الهاشمي (ص ٣٣٦).

سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية -أيضًا- سأجعله أمة؛ لأنه نسلك»^(١).

لذا؛ فإنَّ نسل إسماعيل لهم جميع الحقوق، وهم يعدُّون أنفسهم على حقٍّ، وإضافة إلى ذلك؛ فإن عهد الختان إلى إبراهيم في تمليكهم أرض كنعان ملكًا أبدئيًّا كان في أيام إسماعيل .

جاء في سفر التكوين: «وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته»^(٢).

«وإذا كان إسحاق قد ولد بعد عام من ذلك؛ فإن إسماعيل كان عمره أربعة عشر عامًا يوم ولد إسحاق، فإسماعيل هو الابن الأكبر، وهو بكر إبراهيم، وحسب شريعة اليهود؛ فإن الابن الأكبر هو الذي يرث أكثر، كما أنه لا يهم ما إذا كان الابن الأكبر ابن حرة أو ابن أمة»^(٣).

ثالثًا: هل هذا الوعد -إن صحَّ- يمنح هذه الأرض وعدًا مطلقًا أو وعدًا مشروطًا؟ وإذا كان مشروطًا .. فهل تحققت شروطه؟!

الذي يقرأ كتاب اليهود، وخاصة أسفار العهد القديم؛ يجد أن وعد الله لبني إسرائيل إنما هو وعد مشروط:

- بأن ينفذوا تعاليمه .

- ويحفظوا عهده .

- ويصونوا أوامر الرب ونواهيته؛ حتى يكونوا أهلًا لنصر الله وتمكينه .

(١) «سفر التكوين» (٢١ - ٩ : ١٣).

(٢) «سفر التكوين» (١٧ - ٢٥).

(٣) «العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق»، أحمد ديدات (ص ٦٣).

وهذا هو الموافق للعدالة الإلهية والحكمة الربانية: فإن الله لا يعامل الناس بأنسابهم بل بأعمالهم.

اليهود نقضوا عهد الرب:

«اعمل الصالح والحسن في عيني الرب؛ لكي يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلف الرب لأبائك».

هذه النصوص من سفر التثنية- العهد القديم- تشرح الشروط، وتفصّل الأسس التي جعلها الرب «رب إسرائيل» جوهر «العهد».

لكن هل أدّى بنو إسرائيل-الطرف الثاني- والتزموا وحافظوا على ما أمرهم الرب به؟!!

كتاب اليهود الذي هو- حسب اعتقاد أتباعه- كتاب مقدس: نصوصه ربانية، واتباعه طاعة لأوامر الرب يسجل:

١- جاء في سفر الخروج: «فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم واثوني بها، فتنزع كلُّ الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل وصنعه عجلًا مسبوكًا^(١)، فقالوا: هذا آهتك يا إسرائيل: التي أصعدتك من أرض مصر»^(٢).

لقد عبد بنو إسرائيل أصنامًا من دون الله الواحد الذي قام «العهد» بينه وبينهم، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية، وخرقوا- من جانبهم- شروط وأسس «العهد».

(١) الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل؛ هو: السامري، وليس هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بل إن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ نهام عن عبادته، وحذرهم من الشرك بالله؛ كما فصلته في كتابي: «عجل بني إسرائيل ومرحلة التيه: دراسات استراتيجية في الصراع الإسلامي اليهودي»؛ يسرّ الله نشره على خير وبركة.

(٢) «سفر الخروج» (٣٢ / ٢ - ٤).

٢- النبي إيلياء بعد ذلك بزم من طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات: «قد غرت غيرة للربِّ إله الجنود؛ لأنَّ بني إسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا ميثابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي؛ ليأخذوها»^(١).

٣- النبي موسى؛ يقول: «عصيتم قول الرب إلهكم، ولم تصدقوا، ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم»^(٢).

٤- الرب نفسه يقول ليشوع:

«الرب يقول: قد أخطأ بنو إسرائيل، بل تعدُّوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا..»^(٣).

٥- خاطب نحميا بني إسرائيل بهذا القول: «حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا ختتموني يا بني إسرائيل؛ يقول الرب»^(٤).

٦- وفي مخاطبة وجهها موسى إلى بني إسرائيل: «يقول موسى لبني إسرائيل: فهو ذا أنتم قمتم عوضاً عن آباءكم تربية أناس خطأ؛ لكي تزيدوا -أيضاً- حتى (غضب) الرب على إسرائيل»^(٥).

٧- «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بني إسرائيل: الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء، وأورشليم بالظلم، رؤساؤها يقضون بالرشوة، وكهنتها يعملون بالأجرة، وأنبيأؤهم يعرفون بالفضة»^(٦).

(١) «الملوك الأول» (٩ / ١٠).

(٢) «سفر التثنية» (٩ / ٢٣ - ٢٤).

(٣) «يشوع» (٧ / ١١).

(٤) «نحميا» (٣ / ٢٠).

(٥) «سفر العدد» (٣٢ / ١٤).

(٦) «سفر ميخا» (٣ / ٩ - ١١).

هذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم: تكتشف مقدار التزام وطاعة بني إسرائيل لشروط وبنود «العهد»: الذي يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده، ويعقوب من بعدهما.

وأيضًا في العهد الجديد - عندهم - توجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع «العهد المزعوم»:

١- يوجّه يسوع (عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ) المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب: «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إن العشّارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحقّ؛ فلم تؤمنوا؛ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطي لأمة تعمل آثاره»^(١).

٢- يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل: «قال لهم: يا أولاد الأفاعي»^(٢).

٣- يسوع (عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ) نفسه يقول لإسرائيل: «فأنتم تشهدون على أنفسكم: إنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيّات، أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم»^(٣). هكذا: واستنادًا على نصوص توراتية إنجيلية أوردناها حرفيًا؛ يتضح منها:

- أنه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده، ثم إيلياء وأرميا وعزرا ونحميا وميخا ويوحنا المعمدان، وأخيرًا في زمن يسوع عيسى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: خُرِقَتْ من جانب واحد شروط وأسس وبنود «العهد المزعوم» الذي أبرم بين الله وإبراهيم؛ خُرِقَتْ مرارًا وفي عصور كثيرة.

(١) «إنجيل متى» (٢١ / ٣١ - ٣٣).

(٢) «إنجيل متى» (٣ / ٧).

(٣) «إنجيل متى» (٢٣ / ٣١ - ٣٣).

وعليه يبرز التساؤل: هل بالرغم من خرق اليهود عهد الرب لا تزال قائمة تلك الوعود التوراتية في القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة في بلدان ذات سيادة؟ مثل: فلسطين، ولبنان، ومصر، والأردن؟

لجماعات مثل «الفلاشا» الإثيوبيين!

أو المواطنين من روسيا وأوكرانيا!!

أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون في الكمبيوتر)!!

باسم «عهد» خرقه بنو اليهود منذ عشرات القرون- مرات ومرات ومرات- في حقبات مختلفة من التاريخ!؟

هل في مثل هذه المطالبات بحقوق ذرّة: من إقناع أو منطلق أو إنصاف؟!.

٤- لو سلمنا جدلاً بصحة العهود والمواثيق؛ فإن العهود والمواثيق لا تنطبق على يهود اليوم!

فالحقائق التاريخية تنصّ على أن خروج بني إسرائيل من مصر كان حدثاً فاصلاً بين النقاء وعهد اختلاط الدم.

وفي ذلك يقول غوستاف لوبون: «لقد لحق ببني إسرائيل عدد من المصريين الساخطين من الأسارى ومن العبيد، ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم- وهو البحر الأحمر- بدؤوا عشيرة تبدو كأنها نسل رجل واحد، وإن كانت- في الحقيقة- فاتحة صفوفها لجميع المستعدين لانتحال اسمها، وتقاليدها، ومعبوداتها»^(١).

ويقول مارجليوث: «لقد تكونت في الموطن الشمالي لنهر الراين أكبر مجموعة يهودية بأوروبا؛ إذ وفد على ذلك المكان جماعة من أسباط العبريين الرُّحَّل الذين هجروا فلسطين إثر إحدى هزائمهم، واختلطوا في الطريق إلى أوروبا بعناصر سورية وأناضولية، وخطوا رحالهم بالحوض الشمالي لنهر الراين، وبمرور الزمن دخل عدد كبير من سكان هذه

(١) «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين؟» (ص ٣١ و٣٢).

المنطقة ديانة العبريين الوافدين، وتفرع هؤلاء بعد فترة من الزمن فاستوطن بعضهم بولندا، واستوطن آخرون أوروبا، واتجه فريق منهم إلى روسيا.

ويقول لامبروز: «إن اليهود المحدثين هم أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي؛ وهم: عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية، وانضم إليها في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس، ومن مختلف صنوف البشر، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق:

فمنهم: الفلاشا: سكان الحبشة.

ومنهم: الألمان: ذوو السحنة الألمانية.

ومنهم: السامي؛ أي اليهود في الهند.

ومنهم: الخزر؛ ويتتمون للجنس التركي.

ومن المستحيل: أن تصور أن اليهود ذوي الوجه الحسن البديع والشعر الأشقر أو الكستنائي، وذوي العيون الصافية اللون الزرقاء، ممن نلقاهم اليوم في أوروبا الوسطى يمتون بصلة الدم إلى إسرائيل أرض الميعاد، أو يهود فلسطين القدماء، الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن والبلاد المقدسة منذ القدم»^(١).

ويقول «روفائيل بتاي»: «لقد ثبت من كشوف الانثربولوجيا الفيزيقية: أنه لا يوجد جنس يهود خلافاً للفكرة الشائعة».

ويقول جارودي: «إن الواقع يقرر أن (٩٩٪) على الأقل من اليهود المعاصرين ليس من أجدادهم أحد وطئت قدماه أرض فلسطين؛ بسبب التحول من ناحية، وبسبب الزيجات المختلفة خلال القرون من ناحية أخرى».

(١) «اليهودية» أحمد شلبي (ص ٧٦، ٧٧).

ويقول اللورد موين: «إن اليهود الحاليين لم يكونوا أحفاد بني إسرائيل القدماء، وليس لهم شرعاً أن يستردوا الأرض المقدسة في أرض فلسطين»^(١).

وبناء على ما تقدم: يتضح أن الجنس اليهودي تعرض للذوبان والانصهار في بوتقة الأجناس الأخرى، ولم يعد له وجود، وبالتالي ليس لهم أدنى حق في أرض فلسطين.

ولئن كانت الوعود والعهود التوراتية لبني إسرائيل، فليس فيها عهد واحد لليهود: فماذا يملك يهود العالم اليوم من حق في تملك فلسطين؟

ولم تنص التوراة لهم -ولو بإشارة- في حق تملك فلسطين؟

لا بنص اليهود، ولا بنص غير الساميين الذين يمثلون الأغلبية الساحقة لسكان فلسطين؟

وبعد:

فإننا نضع هذه الحقائق أمام كل مسلم، وكل صاحب عقل في العالم؛ ليرى بنفسه المزاعم والخرافات التي لا يملئ اليهود من ترديدها كل يوم: لإقناع العالم بها زوراً وبهتاناً! إن الدعم الاستعماري؛ هو: سبب وجود وبقاء اليهود، ويوم يزول هذا الدعم سوف يزول هذا الكيان الباغي: الذي ليس له مقومات الدول، ولا يملك الشرعية الدينية أو السياسية لبقائه، وسوف يأتي هذا اليوم بإذن الله، وهو اليوم الذي يرويه بعيداً ونراه - بإذن الله - قريباً.

إن المعركة بين قوى الإسلام واليهودية معارك عقيدة، وهي لا تُحسم بالحملات الإعلامية أو المناقشات الفكرية واللقاءات الثقافية، بل تحسم بالعقيدة القوية السليمة، والمنهج الواعي المستنير، والإعداد المادي والأدبي والجهاد المقدس: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ

(١) مجلة الوعي الإسلامي - عدد ذو القعدة ١٤٠٩ هـ / يونية ١٩٨٩ م «يهود اليوم وادعاءاتهم الكاذبة» د. أحمد عيسى الأحمدى. بتصرف.

دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

الله جَلَّ جَلَالُهُ ناصر الحق يمهل ولا يهمل، وسوف يعيد الحق لأصحابه، وهو جَلَّ جَلَالُهُ على كل شيء قدير: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

إن عهد الله قائم ومتجدد: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدَاَنَا﴾ [الإسراء: ٨].

ومن هنا يجب أن تكون ثقتنا بالله كبيرة: فلقد وعد الله ، ولن يخلف الله وعده، إذ يقول جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥] (١).

(١) انظر: «مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية»، (المجلد/ ٢٢ ، والعدد / ٦٨) بحث: «العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري» الدكتور محمد محمد عيسى (ص ٤٠١-٤١٠).

زوال (دولة إسرائيل = دولة اليهود) اللقطة في فلسطين بين الحقيقة والكهنوت

وفي هذا برهانٌ جليٌّ: أن هذا الكيان اللقيط الظالم الغاصب مصيره إلى زوال حسب سنن الله الكونية والشرعية.

فعندما قررت الماسونية العالمية اختراع شعب يهودي^(١)؛ كما قال أوسكار ليفي: «العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية، نحن الذين اخترعنا حكاية الشعب المخترار، والذين نصبنا أنفسنا مُحلَّصين للعالم، وتباهى بخروج المسيح منا، لسنا اليوم سوى مفسدي العالم ومخربيه، وصانعي الفتن فيه وجلاديه، نحن الذين وعدناكم: أن نقودكم إلى الجنة والسعادة، نقودكم فعلاً إلى الجحيم الجديد» . . . اخترعوا: (عصبة الأمم)، ثم أنشؤوا (هيئة الأمم المتحدة)، وسيطروا على (مجلس الأمن)؛ تنفيذاً لما جاء في بروتوكولاتهم من إنشاء منظمة عالمية يخضع لسلطانها جميع ملوك الأرض وحكامها.

قال (إسرائيل زانغويل): «إن هذه العصبة -عصبة الأمم- هي سفارة إسرائيل»^(٢). وقال (ناحوم سو كولوف) في مؤتمر «كارلسباد» في (٢٧ / آب / ١٩٢٢م): «فكرة عصبة الأمم فكرة يهودية، خلقناها بعد صراع استمر (٢٥) عامًا، وستكون القدس يومًا ما عاصمة السلام العالمي، وإن ما حققناه نحن اليهود بعد كفاح (٢٥) سنة يرجع الفضل فيه إلى زعيمنا الخالد ثيودور هرتزل»^(٣).

(١) انظر كتاب: «اختراع الشعب اليهودي» لأستاذ التاريخ المعاصر في جامعة تل أبيب شلومو ساند، الصادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) سنة (٢٠١٠م).

(٢) «حكومة العالم الخفية» لشيريب سيريدوفيتش (ص ١٥٩).

(٣) المرجع السابق (ص ١٦٠).

علّق اللورد (ألفرد جوجلاس) محرر «بلين أنكلش» على إنشاء عصبة الأمم بقوله: «إن عصبة الأمم ستصبح حكومة اليهود المركزية؛ لسيطرتهم العالمية».

وبعد الحرب الكونية الثانية سعت اليهودية العالمية لإنشاء (هيئة الأمم المتحدة) و(مجلس الأمن)؛ بحيث يكون مقرهما الدائم في (منهاتن - نيويورك) حيث يوجد بنك اليهود: مركز النشاط الاقتصادي لليهودية العالمية، وكان معظم العاملين فيها يهود، ولذلك قال (وليام جاي كار) في كتابه «حجارة على رقعة الشطرنج»: «إن الأمم المتحدة ليست إلا حصان طروادة لأصحاب المؤامرات العالمية، وما هي إلا رأس الحربة للحركة الثورية العالمية».

ومما يؤكد هذا الواقع حقيقتان لا يختلف فيهما اثنان:

الأولى: أن كيان دولة اليهود اللقيط في فلسطين المسلمة المغتصبة هو الكيان الوحيد في التاريخ الذي أنشئ بقرار أعمى من الأمم المتحدة.

الأخيرة: أن كيان اليهود في فلسطين المسلمة المغتصبة هي الكيان الوحيد المدلل الذي يتمتع بأكبر قدر من قرارات الحماية الدولية (الفتيو).

... قام كيان المسخ اليهودي في فلسطين على قدميه وسط المسلمين المشدوهين، ووقف المسلم المعاصر مندهشاً أمام هذا التمكن اليهودي في أرض فلسطين الذي تمارسه قيادته السياسية، والتغطرس الذي تمارسه آتته العسكرية؛ لكنه سرعان ما يزول عجبته، ويتلاشى بأسه؛ وهو يتلو قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَتَيْنَ مَا تُخْفُونَ إِلَّا لِيُحِبَّ اللَّهُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَصَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فلن يجيد اليهود أمانًا:

إلا إذا أعطاهم المسلمون أمانًا؛ كما حصل لهم على طوال التاريخ الإسلامي ما التزموا بعقد الذمة، وهذا معنى قوله: ﴿يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ﴾. أو إذا حالفوا دولًا قويّة، وعاشوا في حمايتهم، وهذا معنى قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَحَبِلُ مِنَ النَّاسِ﴾.

وهاهم اليوم يتشبثون بحبال تلقي إليهم من وراء البحار في مصالح متبادلة بينهم وبين دول النصرارى الصليبية التي تلقي إليهم بأنشطة المدد، وثم حبال دون ذلك من المحيط العربي تحمي كيان المسخ في فلسطين، وتتملق لدول الغرب مفتخرة: بأن حدودها مع كيان المسخ آمنة، وأنها لم تطلق عبرها رصاصة واحدة من عقود:

- صهاينة فرحون.

- ومسلمون مشدوهون.

- وفي الجانب الآخر يهود ييكون!!

ففي محاضرة بعنوان: «النظام العالمي الجديد» ألقاها (محمد أحمد الراشد = عبد المنعم العزي) سنة (١٩٩٣م) ذكر قصة عجوز يهودية عراقية؛ قال: «في سنة (١٩٤٨م) وكنت صغيرًا، في بيتنا القديم في بغداد، دخلت جارتنا اليهودية العجوز على والدتي وهي تصرخ وتولول، ولما سألتها أمي عن سبب بكائها؟ أجابت: لقد سمعت الآن: أن دولة إسرائيل قامت، واعترفت بها الأمم المتحدة، إن هذه الدولة قامت لذبح اليهود ولن تدوم..».

بكى هؤلاء اليهود؛ لأنهم يعلمون علم اليقين: أن قيام كيان اليهود الظالم بداية النهاية لوجودهم؛ حتى أن ساسة اليهود المعاصرين وزعماءهم الذين يحكمون: يَغْتَرِفُونَ بِذَلِكَ وَيَغْتَرِفُونَهُ؛ كما يعرفون أبناءهم؛ فهم يقرون: بأنه سيأتي جيل مسلم رباني في يوم ما ليحرر فلسطين من شرِّهم، ويرفع عن المسجد الأقصى نير استعمارهم، ولكنهم يدركون

تمام الإدراك: أن (المسلمين الجغرافيين) ليسوا من ذلك الجيل الرباني في نفيير ولا قطمير، ولذلك فهم يسعون جادّين، ويعلمون كادّين على الفصل التام بين (المسلمين الجغرافيين) وإسلامهم المنزل على محمد ﷺ، ونقله أصحابه الكرام ﷺ. وهذا ما أقرّ به علماءهم وأخبارهم وعرفه زعماءهم:

- ففي تصريح لوكالة (فارس) قال الحاخام اليهودي البارز (آران كوهيه): «إن قيام دولة إسرائيل على غير أساس مشروع؛ لأنه يعارض الأوامر الصريحة للتوراة؛ حيث إن الله يأمر اليهود بأنه لا يحق لهم امتلاك حكومة وبلد مستقل بسبب تعاملهم السيئ». - ونقلت صحيفة (الشروق) التونسية عن الحاخام (ديفيد شلومو فيلدمان) عضو حركة (ناطوري كارتا): «هناك أمر يقلقنا اليوم: نريد أن نقول للعرب والمسلمين: إن الإرهاب والوحشية في فلسطين جانب من الممارسات الصهيونية، وأن في قيام إسرائيل شرًا على العالم».

- ونشرت صحيفة «الاتحاد» بتاريخ (٢٢ / ٧ / ٢٠١١م) تقريرًا جاء فيه: «أثار فيديو لحاخام يهودي روسي نشر على موقع (يوتيوب) انبهار كثير من المسلمين، بعدما تحدث فيه عن عظمة الإسلام من بين كل الأديان، وأنه هو دين المستقبل. كما أكد أنه في حال زوال إسرائيل، والتي أسماها: بدولة الشّر؛ سيدخل معظم سكان العالم في الإسلام.

وأضاف: أن النبي محمدًا بدأ بناء مجتمعه الديني، وعلى هذا الأساس بنى دولة جديدة، مشيرًا إلى أنه يتضح -الآن-: أن التعاليم لديها القدرة على الصمود في وجه التغيرات، وهو أمر جلي في القرآن حتى في الحالات الصعبة، وقال: «تعاليم الإسلام صمدت في الأوقات الصعبة».

وأضاف: «كان للإسلام ميزة تَفَوُّقٍ؛ وهي: ظهوره في الشرق، بعيدًا عن أوروبا وثوراتها الصناعية والاجتماعية، فالإسلام ولد بعيدًا، وتطور بعيدًا، وقوي بدرجة كافية».

وأوضح: أنه في هذا العصر- حيث الإلحاد الجامح- عندما جاءت الديمقراطية وأغرقت العالم؛ لم يتبق من المسيحية سوى المباني الأثرية فقط، كما لم يتبق من اليهودية أي شيء لوقوعها تحت ضغط الصهيونية، ففي العالم اليوم لم يتبق إلا الإسلام.

وأضاف إن المسلمين الذين اتبعوا محمدًا ﷺ هم في اتصال دائم مع الخالق، في أداء الصلوات الخمس كلَّ يوم، عندما يجثون على ركبهم خمس مرات محددة بمواعيد دقيقة.

واستشهد الحاخام اليهودي: بواقعة عندما كان ذاهبًا إلى أوروبا، فكان في المطار مكان هادئ، وعندما جاء وقت الصلاة، وجد المسلمين قد تجمعوا وافترشوا الجرائد؛ ليؤدوا صلاتهم؛ وقال: «هذا هو الإسلام».

وتابع هذا في المجمل له معانٍ كثيرة: إنسان يصلي خمس مرات في اليوم، وعلى الرغم من أنها خمس صلوات إلا أنها ليست طويلة، بل هي جادة جدًّا، وعميقة.

وقال الحاخام: إن العالم يتجه نحو الانغلاق بسبب وجود إسرائيل، وإذا لم يتم القضاء على إسرائيل التي هي في الحقيقة أصل الشرِّ؛ سيزداد العالم خرابًا.

وأكد: أنه في حال القضاء على إسرائيل؛ فإنه بعد سبعين عامًا سيدين معظم سكان الكرة الأرضية بالإسلام؛ لأنه دين قوي بما فيه الكفاية، ويقود الناس في الاتجاه الصحيح^(١).

وأوضح الحاخام: إن انتشار الإسلام أصبح أمرًا بديهيًا ومعروفًا؛ خاصة في أوروبا^(٢)، الأمر الذي دفع بعض الدول مثل سويسرا إلى منع بناء المساجد الجديدة».

(١) انظر -تفضلاً- كتابي: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام» ففيه حسن تأصيل، وبسطة

في التفصيل.

(٢) وفي كتابي: «خريطة المستقبل الإسلامي في ضوء المبشرات النبوية»: تفصيل لهذه الجملة.

أخبرني الثقات من أهل فلسطين المحتلة سنة (١٩٤٨م) - أثناء رحلتي إلى فلسطين سنة (٢٠١٣م) للمشاركة في مؤتمر بيت المقدس الثاني المنعقد في مدينة رام الله - : «أن عبد الوهاب دراوشة - مؤسس الحزب الديمقراطي العربي في فلسطين المحتلة!! - أخبرهم: إنه قاد مظاهرة إلى بيت رئيس وزراء اليهود شارون للمطالبة بمسجد استولى عليه اليهود، ومنعوا المسلمين من الصلاة فيه، فخرج إليهم شارون، وقال: اسمع يا دراوشة إن هذه الأرض هي أرض إسرائيل!

فقال له دراوشة: إن هذه أرض آبائنا وأجدادنا وُجدنا عليها منذ مئات السنين!

قال شارون: هي أرضنا مادامنا نحكمها(!!!) ولكني أعرف: أنه سيأتي مسلمون يذبحون اليهود حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي تعال؛ فاقتله، لكن يا دراوشة يومها سيكون اليهود مثلكم ضعفاء، وتكونون أنتم مثلنا أقوياء؛ لكن لن يتم ذلك وأنا وأنت من الأحياء!!

إن هذا الأمر معلوم بالضرورة عند يهود؛ ففي (٢٩ / ٤ / ٢٠٠٨م) أكد ثلاثة حاخامات يهود؛ وهم: (أهارون كوهين) و(إسرائيل دوفيد) و(دوفد شلومو فيلدمان) الذين يمثلون حركة (نوتورا كارتي - اليهود ضد الصهيونية) التي تأسست عام (١٩٣٥م)، ويسمون أنفسهم: (اليهود الربانيون) ... أكد هؤلاء الحاخامات أثناء زيارتهم للدوحة عاصمة قطر(!) بدعوة من قناة الجزيرة(!!): أن إسرائيل ستزول؛ مستندين إلى حقائق من التوراة، وشواهد من التاريخ.

يقول (يزرائيل ووفير وايس) -المتحدث الرسمي لحركة نوتورا كارتي-: «نحن ندعو حتمًا بالتأكيد لإزالة إسرائيل بالكامل، وليس كما قالت اتفاقية أوسلو أو غيرها من الاتفاقيات التي تقول: إنه يجب أن يكون هناك دولتان؛ لأننا نحن نعمل بموجب التوراة .. إن إسرائيل سوف تنتهي لا محالة؛ لأنها ضد الله .. الله لا يريد إسرائيل».

ويقول (دانيال) في سفره الشهير (٨: ٣-٢٦) بعد تأويل رؤيا طويلة تقوم عليها نبوءته بانتهاك كيان اليهود نهاية شنيعة: «.. فسمعت قدوسًا واحدًا يتكلم، فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب؛ لبذل القدس والجند مدوسين؟ فقال لي: إلى ألفين وثلاثمائة صباح ومساء، فيتبرأ القدس».

وله رؤيا مشهورة تؤكد نهايتهم بدقة هي: «رؤيا الأسابيع» (٩: ٢٤-٢٧) فيها يقول الملك له: «سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدسين، فاعلم وأفهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا.. وشعب رئيس آت يخرّب المدينة والقدس، وانتهاؤه بغمارة، وإلى النهاية حرب وخراب قضي بها، ويثبت عهدًا مع كثيرين في أسبوع واحد، وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة، وعلى جناح الأرجاس مخرّب حتى يتم ويصب المقيض على المخرّب».

بل إن كتبهم تتحدث عن جهاد المسلمين ضدهم؛ ففي «يوئيل سفر» (٤: ٩-١١): «نادوا بهذا بين الأمم، قدسوا حربًا، أنهضوا الأبطال، ليتقدم ويصعد كل رجال الحرب، اطبعوا سكاتكم سيوفًا، ومناجلكم رماحًا، ليقل الضعيف: بطل أنا؛ أسرعوا واهلموا يا جميع الأمم من كل ناحية واجتمعوا إلى هناك أنزل يا رب أبطالك».

ويخيفهم «سفر إرمياء» (٥٠: ٤١-٤٢): «هو ذا شعب مقبل من الشمال، وأمة عظيمة، ويوقظ ملوك كثيرون من أقاصي الأرض. يمسكون القوس والرمح، هم قساة لا يرحمون، صوتهم يعج كبحر، وعلى خيل يركبون، مصطفين كرجل واحد لمحاربتك يا بنت بابل».

ويتحدث «سفر عاموس» (٨: ٢-٣) عن نهايتهم المرعبة: «قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل، لا أعود أصفح له بعد، فتصير أغاني القصر ولأول، في ذلك اليوم، يقول السيد الرب، الجثث كثيرة يطرحونها في كل موضع بالسكوت».

ونحن نصدق بذلك؛ فربنا جلّ جلاله يقول:

قال جلّ جلاله: ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وقال عز ذكره: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَقُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا نَبْرًا ﴿٧﴾ [الإسراء: ٧].

ورسولنا ﷺ حدثنا بذلك:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبي اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»^(١).

وفي الباب عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا^(٢).

لكن من المؤسف جداً أن تتحول هذه الحقيقة من خلال أطروحات المستعجلين، وأدبيات الحركيين الحزبيين إلى كهانة سياسية، وخيانة منهجية: فأحدهم من خلال الوصفة البهائية (العدد ١٩): يتنبأ بزوال إسرائيل سنة (٢٠٢٢م).

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١).

وانظر -تفضلاً- كتابي: «بذل المجهود في مرويات قتال اليهود».

وقائد فصيل فلسطيني في شهادته على العصر يتنبأ بزوال دولة إسرائيل في سنة (٢٠٢٧م).

ومستشار في الرئاسة المصرية يتنبأ بزوال دولة إسرائيل خلال (١٠) سنوات. إن زوال كيان اليهود اللقيط حقيقة دينية وتاريخية وسياسية، ولكنها لا يمكن أن تتحقق إلا باجتماع شروطها:

إقامة العبودية لله في الأرض بالرجوع إلى الدين المنزل على محمد ﷺ، والذي بلغه عنه ونقله إلينا صحابته الكرام، وسار عليه أئمة السلف الأعلام.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلٌّ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١].

اليهود وإيقاد الحروب وصناعة الفتن

اغتيال ذاك الفتى اليهودي عمه؛ طمعاً في ماله، وألقاه بين القريتين؛ إخفاء لجريمته، وجلس يبكي عنده إمعاناً في تضليل بني جنسه، فكادت الحرب تشتعل بين قومه!
هذه الحادثة توضح بجلاء النفسية اليهودية على مدار التاريخ التي لا يقر لها قرار إلا بالفساد العريض في الأرض وتدميرها، وإفساد العالم وخرابه، في سبيل تحقيق مصالحهم، وإيقاع الضرر بمخالفهم.

وإن كنت في مرية من ذلك، فقلّب طرفك في حصاد التاريخ البشري ستجد أن كل فتنة في العالم، وكل خراب في الأرض؛ فليهود يد فيه، ومصلحة من ورائه.

ولذلك؛ فهم يسعون دائماً في إيقاد نار الحروب، وصناعة الفتن، ونشر القلاقل في البلاد، وزعزعة أمن العباد، حتى أصبحت صناعة الفتن وإيقاد الحروب ماركة يهودية مسجلة؛ يشهد لذلك قول الله جلّ جلاله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعُنُوا مَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْثَرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طَعِينًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤].

فعندما نستقصي التاريخ سنجد أن اليهود كانوا وراء أكثر الحروب في العالم وأخطرها:

فقدّموا أشعلوا نار الحروب بين دول الشرق؛ بالإفساد بينهم، وزرع العداوة والبغضاء في ديارهم.

وكانوا وراء الفتن التي كانت تجري في جزيرة العرب في الجاهلية.

وقادوا من وراء ستار معظم الحروب ضدّ الرسول ﷺ.

ونشروا الثورات على الدولة الإسلامية: من حركة الردّة مرورًا بمؤامرات عبد الله بن سبأ إلى ثورة الزنج، وخروج بابك الخرمي، وتمرد القرامطة والحشاشين. وأما الحروب الصليبية في آخر القرن الحادي عشر النصراني حيث استطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس، وعلى شريط ساحلي ضيق، فإنه يتضح من دراسة هذه الحروب:

أن اليهود كانوا من وراء الصليبيين، ومن الأسباب الخفية التي دفعتهم لغزو البلاد المقدسة؛ وذلك: أن اليهود لما رأوا عجزهم من العودة إلى البلاد المقدسة بأنفسهم تستروا خلف النصارى؛ فأخفوا مشاعرهم الدينية خلف المال؛ حيث كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة على الساحل الشمالي للبحر المتوسط، فساعدوا الصليبيين؛ ليقوموا بهذه المغامرة باسم الصليب؛ لفتح الطريق التجاري إلى الشرق عبر فلسطين^(١).

لقد دفع اليهود النصارى دفعًا للأخذ بثأرهم التجاري من الكنيسة عندما صدرت فتوى تقضي بكسر الاحتكارات اليهودية في التجارة والعمللة والمبادلات في أوروبا، لقد دفع النصارى الملايين من الأموال والأرواح لخوض هذه الحرب المقدسة، ولكن الذين كسبوا من وراء تلك الحرب وأثروا ثراءً فاحشًا هم اليهود^(٢).

وجاءت الثورة الفرنسية مستخدمة شعارها المزيف: (الحرية - الإخاء - المساواة) الذي شكّل مثلث الخداع العالمي الذي اخترعته الماسونية اليهودية لخدعة شعوب العالم، وللقضاء على مقومات بقاء الدول، والتحكّم في مصائرهم^(٣).

ولذلك حين اندلعت نيران الثورة الفرنسية كان وجهها يهوديًا تلموديًا ماسونيًا؛ حيث بدت الروح التلمودية في خطط الثورة ودستورها واضحة جلية؛ كما ظهر ذلك في

(١) «اليهودية» للدكتور أحمد شلبي (ص ٩٧).

(٢) «المخططات الماسونية العالمية» (ص ٦٦).

(٣) «الأفنى اليهودية في معاقل الإسلام» (ص ١٢).

وثيقة وجدت بين أوراق (ميرابو) التي ضبطت في منزل (مدام لجاي) زوج ناشر كتب (ميرابو) في (٦ / أكتوبر / ١٧٨٩ م)^(١).

بعد نجاح اليهود الحاسم في الثورة الفرنسية وما نالوه من مكانه مرموقة في فرنسا وغيرها من بلدان أوروبا؛ تشجعوا على التهادي في خلق الفتن، وتدبير المؤامرات، وتحريك الثورات، وتنفيذ الاغتيالات السياسية والانقلابات^(٢).

ولذلك حرص اليهود على إسقاط الخلافة الإسلامية؛ بتدمير الدولة العثمانية عن طريق يهود سالونيك، الذين أظهروا الإسلام، وأطلق عليهم (الدونمة)، وتزعمهم (سبتي سبفي) الذي ادعى: أنه المسيح.

لقد اتجه يهود الدونمة إلى تحطيم الخلافة العثمانية بعد فشلهم في حمل السلطان عبد الحميد الثاني رَحْمَةً اللَّهِ عَلَى مَوَالِهِ هَدَفَهُمْ فِي جَعْلِ فَلَسْطِينِ وَطَنًا قَوْمِيًّا لِلْيَهُودِ، وَدَلِيلِ ذَلِكَ: أَنَّ الَّذِي أَبْلَغَهُ قَرَارَ عَزْلِهِ؛ هُوَ: (قره صو) نائب سلانيك اليهودي، كما دعوا إلى الطورانية في تركيا؛ للتخلص من الإسلام واللغة العربية، وأنشأوا حزب الاتحاد والترقي الماسوني^(٣).

بدأ اليهود يمهّدون للحرب الكونية الأولى؛ فزجوا ببريطانيا في حرب دامية شملت أوروبا كلها، وألحقوا بها الولايات المتحدة الأمريكية، وعملوا على إفشال جميع محاولات الصلح أثناء الحرب؛ فلم تخرج الدولة العثمانية منها إلا بعد هزيمة ماحقة، وخسر العالم ملايين النفوس البشرية، ودفَعوا الثروات الطائلة؛ لكن اليهود كسبوا كلَّ شيء، وحصلوا على (وعد بلفور) بتحقيق أطماعهم في فلسطين المسلمة^(٤).

(١) المرجع السابق (ص ١٤-١٥).

(٥) المرجع نفسه (ص ٢٧).

(٣) المرجع نفسه (٧٤-١٠٤)، و«المخططات التلمودية» (ص ٦٦-١٠٤).

(٤) «المخططات الماسونية العالمية» (ص ٨٥-٨٧).

قال ماركوس رافاج: «نحن اليهود من وراء جميع حروبكم، وإن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم».

وأما روسيا القيصرية التي دمرت (دولة الخزر اليهودية)؛ فرسّخ اليهود أقدامهم فيها؛ حيث سيطروا على الاقتصاد سنة (١٨٨٢م)، وأوصلوها إلى حالة الإفلاس، ثم انقضوا عليها بإقامة النظام الشيوعي^(١).

لقد ركز اليهود على الشيوعية كأسلوب لاقتلاع القيصرية الروسية انتقاماً منها، وعملاً على تمزيق العالم إلى نظريتين متصارعتين هما:

- الرأسالية.

- والشيوعية.

وقد أكد هذا (روبرت وليمز) في كتابه «اليهود في أمريكا»؛ حيث قال: «إن الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمها».

تبدو الشيوعية وكأنها عدوٌ للصهيونية، ولكن هذا تخطيط مرحلي، فهما توأمان ولدتهما اليهودية التلمودية؛ لأن الشيوعية أفكار صهيونية من قبل (كارل ماركس) بوقت طويل، وكلُّ ما فعله أنه جمع تلك الأفكار، وجعل لها ثلاث قواعد في وقت انبيار الحضارة الأوروبية، وزعم: أنه يعيد بناءها، ولكن بأسلوب روائي، فهو إمعان في التخريب، فقواعد الشيوعية الثلاث؛ هي:

١- محاربة الأديان، وتفريغ الإنسان من كلِّ عقيدة دينية، واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية

٢- الانسلاخ من كلِّ انتماء وطني؛ ليظلَّ الفرد عضواً في التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والألوان والأقنعة المختلفة، التي تنبع من أصل واحد، وتلتقي في مصبِّ واحد

(١) «المخططات التلمودية» (ص ٣٨ و٦٧).

٣- مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون^(١).
 إذًا؛ فقطبا الصهيونية والشيوعية تجمعهما اليهودية العالمية؛ ف(موسى هيس) يهودي متعصب معروف بتطرفه، و(كارل ماركس) يهودي قح: والده حاخام يهودي.
 وعليه فإن الماركسية لا يجوز فصلها عن كونها فكرة يهودية قصد من ورائها (كارل موردخاي = ماركس) واليهودية العالمية السيطرة على العالم، عن طريق عقيدة كفرية هدامة: تحارب الدين والأخلاق والقيم، تحت راية العلم والموضوعية والحتمية التاريخية.
 وهذا ما تؤكدُه أصح الروايات، وأوثق الدراسات: أن الصهيونية مؤامرة شيوعية، والشيوعية مؤامرة يهودية، ولا ريب أن (كارل ماركس) حين قدّم نظريته أراد التمويه والخداع؛ بأنه لا صلة له بالصهيونية أو اليهودية جملة، ولا ريب أن الشيوعية تعمل لتحقيق الهدف الصهيوني الأخير؛ وهو: السيطرة على العالم، وأن تعاليم (كارل ماركس) و(فردريك)، و(لينين)، و(ستالين) لا تختلف عن تعليقات بروتوكولات بني صهيون، بل إن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت مبادئ من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة^(٢).

ومما يؤكد بأن اليهود حققوا بغيتهم في روسيا حيث فصلوا أوربا الغربية عن روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحفروا هوة كبيرة بينهما، حفرتها كراهية اليهود، وحافظت عليها بواسطة سلطة اليهود العالمية والتي تعدُّ من أكثر الأشياء قوةً في التضليل والخداع، وأصبح اليهود يسيطرون على كلِّ شيء، فهم يسيطرون على أكثر من (٩٠٪) من الوظائف المهمة في روسيا، وهذا ما يؤكدُه دعاء (لينين) في أيامه الأخيرة - وهو يزحف على أربع في حجرة ويصرخ؛ قائلاً: الله م أنقذ روسيا، واقتل اليهود!!^(٣).

(١) المرجع السابق (ص ٧٠-٧١).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٣٧).

(٣) «حكومة العالم الخفية» (ص ١٤٩-١٥١).

وبرهان تغوّل اليهودية العالمية في روسيا، وتغلغلها في مفاصلها: أن الاتحاد السوفيتي كان أول دولة تعترف بالكيان اليهودي اللقيط في فلسطين المسلمة السلبية؛ كما صرح بذلك (غورباتشوف) في «إعادة البناء»؛ حيث قال: «الغرب يتهموننا بأننا متحيزون مع العرب ضد إسرائيل؛ ونحن أول دولة اعترفت بإسرائيل».

بل إن مؤسس الماركسية: كارل ماركس كان ماسونياً، وحرسته «الشيوعية وليدة الماسونية أو على الأقل تربطها صلة القربى الوثيقة عن طريق الأم -اليهودية العالمية- فقد جاء في بيان الشرق الأوسط سنة (١٩٠٤ م) (ص ٢٣٧): «الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية؛ لأن مؤسسها: كارل ماركس وإنجليزها من ماسون الدرجة الحادية والثلاثين، ومن أعضاء المحفل الإنجليزي، وإنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية، وبفضلها أصدرنا البيان الشيوعي المشهور»^(١).

وقد اعترفت الصهيونية العالمية بأن النظام الشيوعي أكبر عون لدولة اليهود في فلسطين:

قال (دافيد كوهين): «كلما ارتفعت أسهم السوفييت، وعقيدتهم الاشتراكية، وسياستهم في المنطقة العربية؛ ازدادت إسرائيل سلاماً، ورسوخاً في المنطقة»^(٢).
وقال (يعقوب ريفيتين): «سياسة السوفييت في الشرق العربي عظيمة النفع والفائدة والنفع لنا، وستظهر ثمارها على أطيب شكل، وأعظم المواقف لصالح إسرائيل»^(٣).
وقال (شالوم اسش): «إن تعرض الحكم السوفييتي لآية هزة؛ يعني: فناء اليهود»^(٤).

(١) «الأفمى اليهودية» عبد الله التل (ص ٤٩).

(٢) «اليهود» لزهدى الفاتح، (ص ١٣١).

(٣) المرجع السابق (ص ١٣١).

(٤) المرجع السابق (ص ١٢٩).

وقال (يشوعا أرييلي): «إن السوفيت أشدّ حرصًا من أيّ قوّة في العالم على صيانة إسرائيل التي تعتبر نموذجًا بديعًا للتجربة الاشتراكية؛ والشعب اليهودي لا يمكن أن يخاصم زعيمة الماركسية»^(١).

وقد يعارضنا من لا بصيرة عنده بما يراه من تصريحات عدائية تطلقها الحركات الاشتراكية والأحزاب الشيوعية وخاصة في العالم العربي.

وردّنا عليهم: أنهم غابت عنهم الحقيقة كاملة؛ إذا لم يعلموا أن هذه التصريحات إعلامية مفبركة، وهذا العداء مع الصهيونية مصطنع باعتراف منظري هذه الحركات والأحزاب الشيوعية أنفسهم الذي هو سيّد الأدلة:

«وأن التصريحات العدائية: التي تصدر عن الألسنة الاشتراكية العربية، ليست سوى تكتيك دعاوى وتبجح (شوفونيوم)، مرجعه كون الوسط العربي غير الاشتراكي، لا يزال قوميًا في فلسفته، وفي معاشه، وفي تصرفاته. وكلّ ذلك سيزول كلما تعمّقت الاشتراكية العربية قوّة في المنطقة، وكلما تعمّقت الجماهير العربية في فهم الاشتراكية...»^(٢).

ومن اعترافات الحزب الشيوعي الإسرائيلي: «أن التصريحات المعادية لإسرائيل والوعيد بالقضاء عليها، تصريحات لا بدّ للاشتراكية العربية أن تدلي بها بين آن وآخر؛ لتحفظ لنفسها بالمركز القيادي في السياسة العربية، وبذلك تضمن المضي في التحويل الاشتراكي لكل الساحة العربية.

وهذا التحويل الاشتراكي هو السبيل الوحيد للتعايش السلمي بين العرب وإسرائيل»^(٣).

ويؤكد ما جاء في بروتوكولات بني صهيون:

(١) المرجع السابق (ص ١٢٩).

(٢) «موسكو وإسرائيل» (ص ٤٥٦).

(٣) «المرجع السابق» (ص ٤٥٥).

جاء في البروتوكول التاسع ما يأتي:

«وحين تقف حكومة من الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر، فإننا ذلك أمر صوري متخذ بكامل معرفتنا ورضانا، كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية للسامية»^(١).

وجاء في البروتوكول الثاني عشر:

«إن الصحف الدورية التي نشرها سنظهرها كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا، فتوحي بذلك الثقة إلى القراء، وتعرض منظرًا جذابًا لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا، وسيقعون لذلك في شَرَكتنا»^(٢).

لم يكتف اليهود بالنتائج التي حصلوا عليها بعد الحرب الكونية الأولى، بل شرعوا يدبرون لإشعال الحرب الكونية الثانية؛ فأعلنوا المعركة الدعائية ضد (هتلر) و(النازية) التي أظهرت عداها لليهود منذ تسلم (هتلر) الحكم في ألمانيا سنة (١٩٣٣ م)^(٣).

وكيف لا ينجح اليهود في إشعال نار الحرب الكونية الثانية ولهم في الوزارة البريطانية سنة (١٩٣٩ م) عدد كبير من اليهود، وأما فرنسا فقد غدت يهودية من مفرق رأسها إلى أخمص قدميها؛ حيث تم تهويدها -تدرجيًا- بعد الثورة الفرنسية (١٧٨٩ م)، ولم يدخل النصف الأول من القرن العشرين حتى كان اليهود يسيطرون على جوانب الحياة كلها: التجارية، والسياسية، والعسكرية، والثقافية.

(١) «بروتوكولات حكاء صهيون» ترجمة محمد خليفة النونسي، (ص ١٤٤).

(٢) المرجع السابق (ص ١٦٢).

ومن شاء التوسع في هذه المسألة فلينظر: «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد الغادري، و«موسكو وإسرائيل» للدكتور عمر حليق، و«دور الدول الاشتراكية في تكوين إسرائيل» للدكتور إبراهيم الشريقي.

(٣) انظر: «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» (ص ٣٤).

ومما جاء في البروتوكول الثالث: «تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرى: أن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدًا؛ لأنها من صنع أيدينا»^(١).

ومما ذكره (وليم غاي كار) في كتابه: «أحجار على رقعة الشطرنج»: «أنه بعد الحرب العالمية الثانية أضحت الكرة الأرضية؛ كرقعة الشطرنج: عليها قطع من أناس يتخيلون أنفسهم زعماء وقادة دول كبرى، وكانت اليد الخفية تحرك (ستالين)، و(تشرشل)، و(روزفلت) حتى اشتعلت الحرب، وانتهت وتحطمت النازية، وأنشئت دولة إسرائيل، وبدأ السباق رهيب، فلم تنته الحرب بحكم الصراعات الدائرة على الأرض بقدر ما فتحت مجالات أخرى للصراع تكمن في نهايتها الحركة الأخيرة في لعبة الشطرنج الدولية»^(٢).

وهكذا يتبين لذي عينين: أن صناعة الفتن تجري في دمائهم، حتى خيّل إليهم: أن إشعال الحرب غاية وجودهم، ومقصد خلقهم، وسبب بقائهم؛ وذلك بالقضاء على غير اليهود، وتقتيلهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، فمن سياستهم المعلنة: أنهم كل عشر سنوات لا بدّ أن يشعلوا نارًا للحرب:

قال رئيس وزراء دولة العدو اليهودي الأسبق شامير: «يتعيّن علينا في كلّ عشر سنوات مرة: أن نجلس العرب على كرسي طبيب الأسنان؛ كي نقلع أسنانهم التي نبتت حتى لا يعضونا بها».

وقال رئيس وزرائهم الأسبق مناحيم بيغن: «نحن نحارب نحن نكون»!^(١)

وقال عاموس بادين -رئيس المخابرات العسكرية اليهودية- في خطاب تنحيه عن منصبه في (٢/١١/٢٠١٠م): «لقد أحدثنا الاختراقات السياسية والأمنية والاقتصادية والعسكرية في أكثر من موقع، ونجحنا في تصعيد التوتر والاحتقان الطائفي والاجتماعي؛ لتوليد بيئة متصارعة متوترة دائميًا، ومنقسمة إلى أكثر من شطر؛ في سبيل

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» (ص ١٢٩).

(٢) وانظر -أيضا-: «المخططات التلمودية» (ص ٢١٩-٢٢١).

تعميق حالة الاهتراء داخل البيئة والمجتمع والدولة المصرية؛ لكي يعجز أي نظام يأتي من معالجة الانقسام والتخلف والوهن المتشفي في مصر».

إن هذه السياسة اليهودية ليست خطة طارئة، بل هي خيارهم الاستراتيجي الذي صرح به ثيودور هرتزل الملقب بأبي الصهيونية الحديثة في كتابه «الدولة اليهودية»؛ حيث قال: «نحن اليهود عندما نغرق نتحول إلى عناصر ثورية مخربة، وحينها ننهض ننهض معنا قوتنا الرهيبة لجمع مال العالم في بنك اليهود»^(١).

ومما جاء في مجلة (lavielle france) في عددها بتاريخ (١٥ / يونيو / ١٩٢٩ م): «هنالك مؤامرة يهودية ضد جميع الشعوب، إنها تملك قوة المال في كل مكان، وتحارب في جبهتين قويتين: جبهة المال، وجبهة الثورات»^(٢).

وقال هنري فورد: «إنني واثق من أن الحروب تتم ليستفيد طرف ما منها، وإن الطرف الذي استفاد دائماً هم اليهود العالميون، يبدؤون الحروب بالدعاية التي يوجهونها من بلد ضد الآخر، وقبل الحرب يتاجرون بالسلاح والذخيرة، ويثرون من وراء تلك التجارة، وأثناء الحرب نفسها يثرون من القروض التي يقدمونها للطرفين المتحاربين، وبعد الحرب يضعون أيديهم على جميع مصادر الثروة في البلاد»^(٣).

إن هذه الحروب التي يفتعلها اليهود ويخططون لها، إنها هي لنشر الفساد بين جميع العباد، وإيقاع الخراب في كل البلاد، ولذلك ربط الله جلَّ جلاله بين إيقادهم نار الحرب والإفساد في الأرض بقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

(١) ومن تتبع ذبول المشكلة الاقتصادية العالمية (٢٠٠٨ م) سيجد أن جميع مال العالم تجمع في بنك اليهود؛ لأنهم يهيئون العالم لحرب كونية ثالثة!

(٢) «الأفنى اليهودية في معاقل الإسلام» (ص ٣٠).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٠ - ٣١).

وهذا ما اعترف به يهود أنفسهم:

قال أوسكار ليفي: «العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية، نحن الذين اخترعنا حكاية الشعب المختار، والذين نصّبنا أنفسنا مُخْلِصين للعالم، وتباهى بخروج المسيح منا، لسنا اليوم سوى مفسدين في العالم، ومخرّبين له ومدمرين، نحن الذين وعدنا أن نقودكم إلى الجنة والسعادة، نقودكم فعلاً إلى الجحيم الجديد»^(١).

إنّ هذا الإفساد العريض الذي أحدثه اليهود في الأرض مستخدمين كلّ السبل التي توصلهم إلى هدفهم الأخير؛ وهو: حكم العالم من بيت المقدس عاصمة ملكهم الذي يدعون، بعد إقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى^(٢).

ولذلك عندما احتل اليهود مدينة القدس الشرقية وبقية فلسطين المسلمة في (٥/ حزيران/ ١٩٦٧م) كان على رأس العصابات اليهودية (موشي دايان) -وزير حربهم-، وكان معه في دبابة القيادة القس الأمريكي (بات روبرتسون)؛ حيث قام اليهود بهدم حي المغاربة المجاور للأقصى، وعندئذ قال (روبرتسون) -وهو يتفرج فرحاً-: «إن المعجزة الثانية المتعلقة بعودة المسيح الثانية قد تحققت، وإن علينا من -الآن- العمل على تحقيق المعجزة الثالثة؛ وهي: بناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى، وفي موقعه، أما المعجزة الأولى فكانت قد تحققت بقيام دولة اليهود في عام (١٩٤٨م)»^(٣).

ولذلك؛ فاليهود -الآن- يهيئون العالم لحرب كونية ثالثة؛ ليقولوا كلمتهم الأخيرة بتحقيق المعجزة الثالثة:

(١) المرجع السابق (ص ٣٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٩).

(٣) «الأصولية الإنجيلية وتهود القدس» لمحمد السايك؛ مقالة نشرت في «جريدة الإتحاد

الإماراتية» بتاريخ (١٦/ ٤/ ٢٠١٠م).

قال (أوسكار ليفي): «نحن معشر اليهود صنعنا الحرب العالمية، نحن اليهود لسنا إلا مضللي العالم وحارقيه وقاتليه، إن ثورتنا الأخيرة لم تقم بعد، ونحن وضعنا أسطورة الشعب المختار»^(١).

وهذا ما اعترف به (هنري كيسنجر) - مهندس السياسة الأمريكية، وعرَّاب العقائد التلمودية: مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية الأمريكي السابق- في لقاء مع صحيفة (ديلي سكيب) الأمريكية في (٦/ فبراير / ٢٠١٢م)؛ حيث قال: «ما يجري -الآن- هو تمهيد للحرب العالمية الثالثة التي ستكون شديدة القسوة، بحيث لا يخرج منها سوى منتصر واحد؛ هو: الولايات المتحدة! .. إن الدوائر السياسية والاستراتيجية الأمريكية طلبت من العسكريين احتلال سبع دول شرق أوسطية، من أجل استغلال مواردها الطبيعية، خصوصًا الغاز والنفط؛ لأن السيطرة على البترول هي الطريقة للسيطرة على الدول، وأما السيطرة على الغذاء فهي الطريق للسيطرة على الشعوب . . ونحن نهد الطريق لذلك، وبخاصة بعد ما تشن إسرائيل حربًا جديدة بكل ما أوتيت من قوة؛ لقتل أكبر قدر من العرب .. ومن ركاب الحرب سيتم بناء قوة عظمى وحيدة صلبة منتصرة؛ هي: الحكومة العالمية التي تسيطر على العالم».

.. وأخيرًا بعد أن وقفت على نزر يسير من أخبار الفتن السود التي صنعها اليهود، ورأيت آثار الحروب التي أوقدوا نارها.. هل يمكن أن تصدق خرافة السلام العام الذي يدعيه اليهود؛ لتخدير العرب المسلمين بعد ما انتزعوا من أيديهم الأرض المقدسة، وأنشؤوا عليها كيانهم الهزليل.

إن خيار السلام اخترعه اليهود، وصدَّقه المخدِّلون.. وإن كُنَّت في ريب من ذلك؛ فتأمل ما قاله (هتلر) -وهو من خَبَر اليهود- في كتابه: «كفاحي» (ص ٤٩): «وهل من المعقول أن يصافح الشعب الألماني اليد التي عملت على إذائه، ومتى كان الألماني الحقيقي يضحى بمصلحة وطنه في سبيل مبدأ هوائي؛ كالسلام العام الذي هو من ابتكار اليهود

(١) «حكومة العالم الخفية» (ص ١٠٠).

والماركسيين؟»، إلى قوله: «ولن يكون لليهودي وصنيعه الماركسي أي مكان في الدولة الجديدة والنظام الجديد»^(١).

(١) ومع ما فعله هتلر مع اليهود بإحراق بعض اليهود فيما سمي (الهولوكوست)، والتي اتفق عليها مع أبالسة اليهود: الذين ضخموها رغم حقارتها؛ ليجعلوها -رغم هزالتها- مظلوميتهم التاريخية؛ للضغط على يهود العالم للفرار إلى فلسطين، ولتحول -كذلك- إلى قضية تجارية من أجل ابتزاز الدول، وتجويع الشعوب، وتكميم الأفواه التي تنتقد اليهود وتعارضهم. حيث سيعلم هناك عن دولة اليهود في بضع سنين، وقد حصل لهم ما يريدون، وهذا يرجح قول من ذهب إلى أن هتلر هو يهودي دماً ونسباً، وإن حاول إخفاء ذلك؛ كما في «هتلر والرايخ الثالث»، مقالة ليقطان التقي؛ يعرض فيها كتاباً للمؤرخ الفرنسي فرانسوا كيرسودي بعنوان: «أسرار الرايخ الثالث» نشرت جريدة المستقبل اللبنانية بتاريخ (١٦ / ٤ / ٢٠١٣م). وإليكم القصة الكاملة:

في (٣٠ / يناير / ١٩٣٣م) وصل هتلر إلى السلطة، وفي نيسان من العام نفسه حصلت حادثة مهمة؛ وهي: رحلة قام بها ضابط نازي وزوجته مع شخص يهودي وزوجته إلى فلسطين والمشهورة برحلة (تاتش لار - منجلستان)؛ جاؤوا إلى فلسطين لدراسة كيفية تهجير اليهود إلى فلسطين، وكانت هذه الرحلة في (٢١ / حزيران / ١٩٣٣م)، وفي (٧ / آب / ١٩٣٣م) وقعت اتفاقية «الهافار» أو «معاهدة الترانسفير - Transfer Agreement».

و«الهافار» هي الاتفاق الاقتصادي الذي عقد عام (١٩٣٣م)، واستمر تنفيذه حتى عام (١٩٤٢م)؛ لتهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين، وفعلاً في البداية كان اقتراح من مدير شركة الاستيطان بأن يفك الحصار -المفروض من قبل الدول الأوروبية - عن ألمانيا بالطريقة التالية: أن يودع اليهودي الذي يريد الهجرة إلى فلسطين أمواله في بنك في ألمانيا، هذا البنك يشتري بها آلات زراعية وآلات عسكرية ومعدات ويرسلها إلى فلسطين، وهنا يأتي المزارع؛ فيستعيد ثمنها من بنك في فلسطين. وعندما وصلوا إلى هذا الاتفاق احتجت المنظمة الصهيونية؛ لأن هذا الاتفاق حصل مع شركة خاصة، فعاد (هيدرج) الألماني ودعا مسؤول المنظمة الصهيونية العالمية مع رئيس الشركة الخاصة التي كانت عرضت مع (حاييم أورلوزوروف) الذي أرسله (بن غوريون) خصيصاً لهذه الغاية، وعُقد الاتفاق بين أربعة مسؤولين صهيانية مع اثنين ألمان، وقع الاتفاق في برلين، وبمقتضى هذا الاتفاق حصلت عملية تهجير اليهود من ألمانيا إلى فلسطين، وتحت إشراف بن غوريون شخصياً.

وفي سنة (١٩٣٥م) صرحت جريدة تابعة للجيستابو -أي: البوليس السري الألماني-: «بتمويل يهودي سري قاتلة: «لم يعد بعيداً الوقت الذي تصبح فيه فلسطين قادرة على استقبال أبنائها الذين فصلوا عنها منذ أكثر من ألف عام».

إن السلام بالنسبة لليهود؛ يعني: زوالهم من الوجود، ولذلك يتغنون به . . ولكن يفرون منه؛ فقد سئل دافيد بن غوريون -أول رئيس وزراء لدولة اليهود- سنة (١٩٦٧م): لماذا لا تمدون أيديكم بالسلام إلى العرب وهم يمدون؟! فقال: «نحن قوم لا نحيا إلا بعدو، فإذا لم نجد عدوًا صنعنا عدوًا».

هذه الحقيقة التي يتعamy عنها المُخَدَّلون، وَتُجَدِّعُ بها المُخَدَّلون المخدرون.

وهذا ما اعترف به كلُّ الساسة الذين ركضوا وراء سراب السلام ومعاهداته مع اليهود، وعقدوا اتفاقيات صلح واستسلام معهم . . فما رجعوا من عندهم إلا بخفي حنين، ولم يظفروا منهم بأدنى شيء^(١): ﴿أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

تمَّ بحمد الله وتوفيقه وهداه.

لا رب -بصدق- غيره.

ولا إله -بحق- سواه.

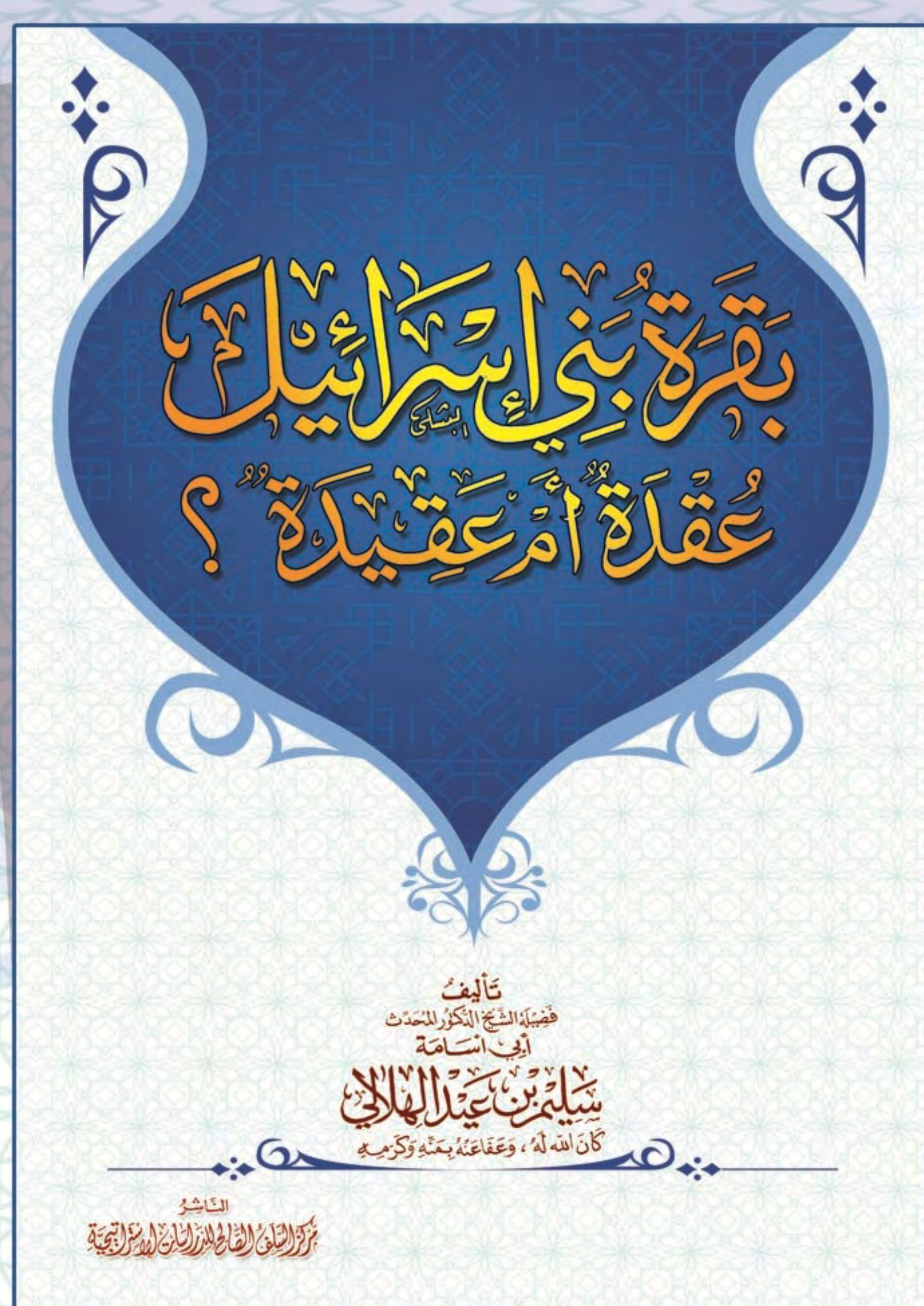
ولذلك؛ فإن اليهود يعترفون بالخدمات التي قدَّما هتلر وحزبه النازي لليهود في العالم؛ يقول اليهودي روبرت ويلتش رئيس تحرير «جودش راندشو» -المجلة اليهودية- في افتتاحية عدد (٤/ نيسان ١٩٣٣م): «لقد قدمت النازية فرصة تاريخية لتأكيد الهوية اليهودية واستعادة الاحترام الذي فقده اليهود بالاندماج. إنهم مدينون لهتلر وللنازية» (!) وانظر-تفضلاً-: «جولة داخل عقل هتلر»، مينا كمال، دار اكتب للنشر والتوزيع، «والأسرار الكبرى للماسونية» منصور عبد الحكيم (٤/ ١٣٠-١٣٦).

(١) وحدثت أمور كثيرة تدل على أن السلام مع اليهود مؤامرة لصالح اليهود لابتلاع الأرض، وتقسيم البلاد العربية الإسلامية بعد اختراقها، وإشعال نار الحروب الأهلية على أساس طائفي وإثني بين مكونات المجتمعات العربية الإسلامية . . وأخيرًا استيقظ العالم الإسلامي على قرار الرئيس الأمريكي ترامب باعترافه في (٦/ ١٢ / ٢٠١٧م) بأن القدس الشريف عاصمة أبدية للكيان اليهودي، وأنه على أتم الاستعداد لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس بلا منوية.

هذا القرار الذي عدَّه نتنياهو في زيارته لأمريكا في (٥/ ٣ / ٢٠١٨م) قرارًا تاريخيًا لن ينساه اليهود، وعدَّه مثل وعد بلفور الذي أعطى اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين سنة (١٩١٧م) . . وبذلك يكون الأمريكيان واليهود دقوا المسار الأخير في نعش عمليه السلام، التي ولدت ميتة في معاهدة الاستسلام (معاهدة أوسلو) كما اعترف بذلك رئيس السلطة الفلسطينية وسائر قياداتها.

الفهرس العام

- فاتحة القول..... ٣
- قصة البقرة في القرآن الكريم..... ٦
- التفسير المأثور..... ٧
- إبراز الإعجاز وإنجاز الإيجاز في قصة بقرة بني إسرائيل..... ١١
- إعجاز علمي في قصة بقرة بني إسرائيل بين كتب أهل الكتاب والقرآن الكريم..... ١٨
- بنو إسرائيل وعقدة البقرة..... ٢٢
- بين الدين والسياسة..... ٣٠
- إن الحكم إلا لله..... ٥١
- الاستهزاء برسول الله وإيذاء أنبيائه..... ٥٦
- سياسة الخداع ودبلوماسية الإقناع عند بني إسرائيل..... ٧٣
- أمر الله تشييت لا تشييت..... ٧٩
- كثرة الأسئلة والاختلاف على الأنبياء، سياسة يهودية وفلسفة صهيونية..... ٨٣
- اليهود وصناعة الخيل..... ٩٦
- بنو إسرائيل والغلو..... ١٢٤
- أهمية قول إن شاء الله في الأمور المستقبلية..... ١٣١
- اليهود وتقديس المادة..... ١٣٦
- بنو إسرائيل بين عقيدة القتل وعقدة سفك الدماء..... ١٤٥
- الاعتيالات استراتيجية يهودية..... ١٥٧
- الظاهر عنوان الباطن..... ١٦٠
- المفسد يعامله الله بتقيض مقصده..... ١٧١
- زوال كيان اليهود بين الحقيقة والكهوت..... ١٨٥
- اليهود وإيقاد الحروب وصناعة الفتنة..... ١٩٤



النَّاشِرُ
مَرْكَزُ السَّلَفِ الْقَائِمِ لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ